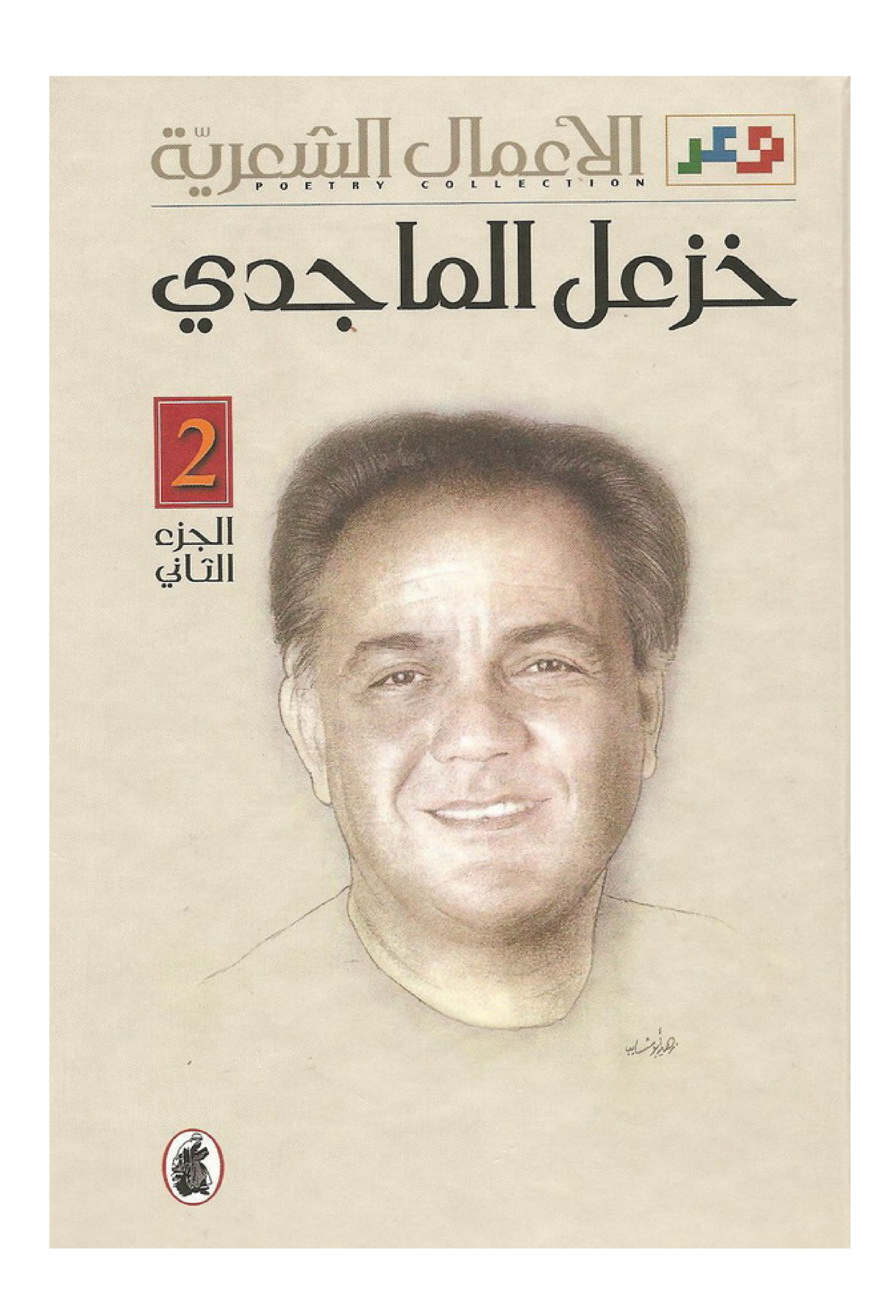


الأعمال الشعرية
POETRY COLLECTION
خزعل الماجدي
2
الجزء
الثاني

الأعمال الشعرية

الجزء الثاني

صدر في 2005

عن

المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت

السحــري والإيــروسيكيمياء اللغة والجسد



لم تكن الفرصةُ سانحةً ، قبل ربع قرن ، لأن أكتب بطلاقةٍ نظريةٍ عن السحرِ والجسدِ وعلاقتهما بالشعرِ لأسبابٍ كثيرةٍ منها أنني كنتُ منشغلاً بالحياةِ وبالشعرِ أكثر من انشغالي بمراقبتهما ووضعهما في إطارٍ عقليٍّ أو نظريٍّ مجاور ، ثم أن النصوص الشعرية أكثر وفاءً للتجربة من النصوص النظرية خصوصاً عند تراكمها وتبلورها مع نضج التجربة وتصاعدها.

أستطيع اليوم أن أطلّ على ذلك السحريُّ والإيروسي الذي تمثلته ، ومازلت ، شعراً وأنضَجتهُ الممارسة الشعرية مثلما أنضجته الممارسة الحياتية ، بكل تفاصيلهما ، وفق رؤيةٍ نظريةٍ تتَّسمُ بثبات أفضل وتفاصيل أدق .

ولذلك كانت هذه المقدمة التي أستطيع أن أعممها على ما ورد في متون المجاميع الشعرية السبع (التي يضمها هذا المجلد الثاني من أعمالي الشعرية) مثلما أعممها على بقية أعمالي الشعرية في المجلدات الأخرى .. لكن هذه المجاميع السبع معنية أكثر بما في المقدمة من محاولةٍ لرصد السحري والإيروسي وهما يوجهان كيمياء اللغة والجسد في هذه النصوص .

الفرقُ كبير بين أن ننظر للجسد كسجنٍ للروح أو كفردوسٍ لها ، فحينما نرى الجسدَ سجناً للروح نقعُ ، مباشرةً ، في ثنائيةٍ وهمية يكون فيها الجسد نقيضاً للروح وقد أطبقناه عليها وبذلك يتحول الجسد إلى عائق أمام انطلاقةِ الروح ويتحول كل ما في الجسد إلى شرٍّ ورذيلةٍ ويصبح الكفاح ضدَّه ضروريا لتحريرِ الروحِ وكأن هذا الجسد قطعةَ لحمٍ ميت تقبعُ تحتها الروحُ الجميلةُ المتحركة . وهنا نقع في الوهم أيضاً ويترتب على ذلك تدمير حياتنا بأكملها لأننا سنهملُ هذا الجسد ونهمل حاجاته وسنراه مثل نفايةٍ ننتظرُ يوم دفنها أو حرقها .

لكننا عندما نرى الجسد وعاءً للروح تتشرب فيه وتسعد بسعادته وتتحرر بتحرره وترقى برقيِّه .. فحين ذاك نرى في الجسد فردوسا لا جحيماً ، نرى فيه خيراً لا شراً . وتكون الروح مثل الموسيقى التي تناغمُ مكونات الجسد وتشيع فيه الإنسجام .

وإذا كانت الروح تسعى للرقيِّ والاتصال بالله والكون رافعة الجسد من محدوديته إلى المطلق فإن النفس تلتصقُ بالجسد وتحرِّك قواه وتكوِّن كيمياءَه المعلنة والدفينة ، إنها تشدُّ الجسد إلى أغواره وأعماقه القصيَّة وتهيئ مسرحَهُ إلى الدراما اليومية من الاتصال والانفصال وإلى أشكال التفاعلات الضاجّة بالحياة .

النفسُ تغوصُ في أعماقِ الجسدِ والروحِ وترفعُ الجسدَ إلى الأعالي وهما يكملان بعضهما .
لكنَّ النفس تحتوي على قوى سايكولوجية إيروسية وقوىً براسايكولوجية سحرية تتناغمُ مع تركيبة الجسد ومادته الغامضة .

وهكذا تتكون من المنظومة الأنطولوجية (الجسد والنفس والروح) منظومة ابستمولوجية هي (الإيروسي والسحري واللوغوسي) ، وتصوغ المنظومة الأولى حياة الفرد بينما تصوغُ المنظومة الثانية قوّته الفكرية والشعرية .

يختزنُ الجسدُ القوى السايكولوجية الحسيَّة والبراسايكولوجية الفائقة (السحرية) ، ويعمل الجسدُ مثل حاشدةٍ كونيةٍ تضمّ داخلها كلّ قوى الكون والأنواع الحيَّة وفيه يتحرك تاريخ الكائنات الحية متطايرا على شكل ومضات نادرة تطلّ على المدهش والكثيف والغامض والجميل .

أولاً: الشعر المقدّس والشعر المدنّس

المقدّس الديني والمقدّس الدنيوي .1

تقومُ فكرةُ الدين ، كلُّها ، على أساسِ وجودِ جوهرٍ مقدَّس تدور حوله كل منظومة الدين ومكوناته (المعتقد ، الأسطورة ، الطقس) ، وهذا الجوهر المقدّس هو الطاقة والشحنة والقوة المركزية التي تشيع الانسجام في المادة وتجذبها نحوها ، وقد عبَّرت عن هذا الجوهر أديان العصور الحجرية بالقوة السارية غير المشخصة ، وهي قوّة المقدَّس الكوني ، طاقة الكون ، التي يشعر بها الإنسان ولا يعرف معناها وهي طاقة تأخذ شكل القوة السارية لكنها تتجلى في بعض مظاهرها العظمى في توازن الكون وقوى الكواكب والمجرات وتناغمها .. ولهذه القوة مظاهر مضطربة أنتروبية تعبر عن التحول من نظام معين إلى آخر وتنفض أعباء النظام القديم عنها وتظهرُ على الأرض في الطوفانات والعواصف والزلازل والبراكين . وقد انتبه الإنسان لهذه القوة السارية ولكنه لم يستطع ، آنذاك ، أن يفسرها علمياً فخاف منها وسجد لها وعبدها تحت مسميات عديدة منها الـ (مانا) عند بعض الأقوام البدائية والـ (سار) عند السومريين والبابليين .

أطلق الإنسان على جوهر المقدَّس الديني ، آنذاك ، أسماء مختلفةً لكنه كان يعني شيئاً واحداً هو الله / الطاقة وهو جوهر الكون. لكن الإنسان لم يتعرف على هذا المقدّس بصيغة واحدة بل بصيغ متعددة تطورت عبر التاريخ من السحر إلى الأرواح إلى الآلهة إلى الله . وتشكل هذه العتبات التطور الروحي للإنسان وهو يتلمس هذا المقدَّس بمراحل متتالية ومتداخلة في آن واحد .

وفي مقابل العالم الديني المقدَّس الذي هو ، عند الإنسان ، استشعار أو حدسٌ لطاقة الكون كان هناك العالم الدنيوي والمدنَّس الذي هو تماسٌ مع المادة ، وهكذا وضع هذان العالمان المتميزان في تضادّ شديد : الأول هو العالم المقدّس الذي يسعى الدين لكشفه والتمثل به ، والثاني هو العالم المدنَّس الذي تسعى الدنيا لكشفه والتمثل به . وكان هذا التعارض ، قديماً وحديثاً ، مثارَ جدلٍ ساخنٍ وتصادمٍ شديدٍ فقد

كان المقدّس يعادل القوة والطاقة والمشبع للكيان والفاعلية بينما كان المدنَّس يعادل الخواء والمادة المتهافتة الزائلة والزيف.

ورغم أننا لا نميل لفصل الدين عن الدنيا فهما متداخلان ، لكننا من أجل الدراسة النظرية وإلقاء الضوء على المحركات الدينية والدنيوية وهي تلتحم وتنفصل رأينا النظر إلى كلّ منهما بمحركاته وقواه الداخلية .

لقد عرفنا أن جوهر الدين يكمن في المقدّس ، أما جوهر الدنيا فيكمن في المدنَّس، وقد حاولنا البحث عن نواة وجوهر هذا المدنَّس فوجدنا أنه يكمن في الجنس، فالجنس هو جوهر المدنَّس وجوهر الدنيا ، مثلما رأينا أن الطاقة السارية هي جوهر المقدّس .

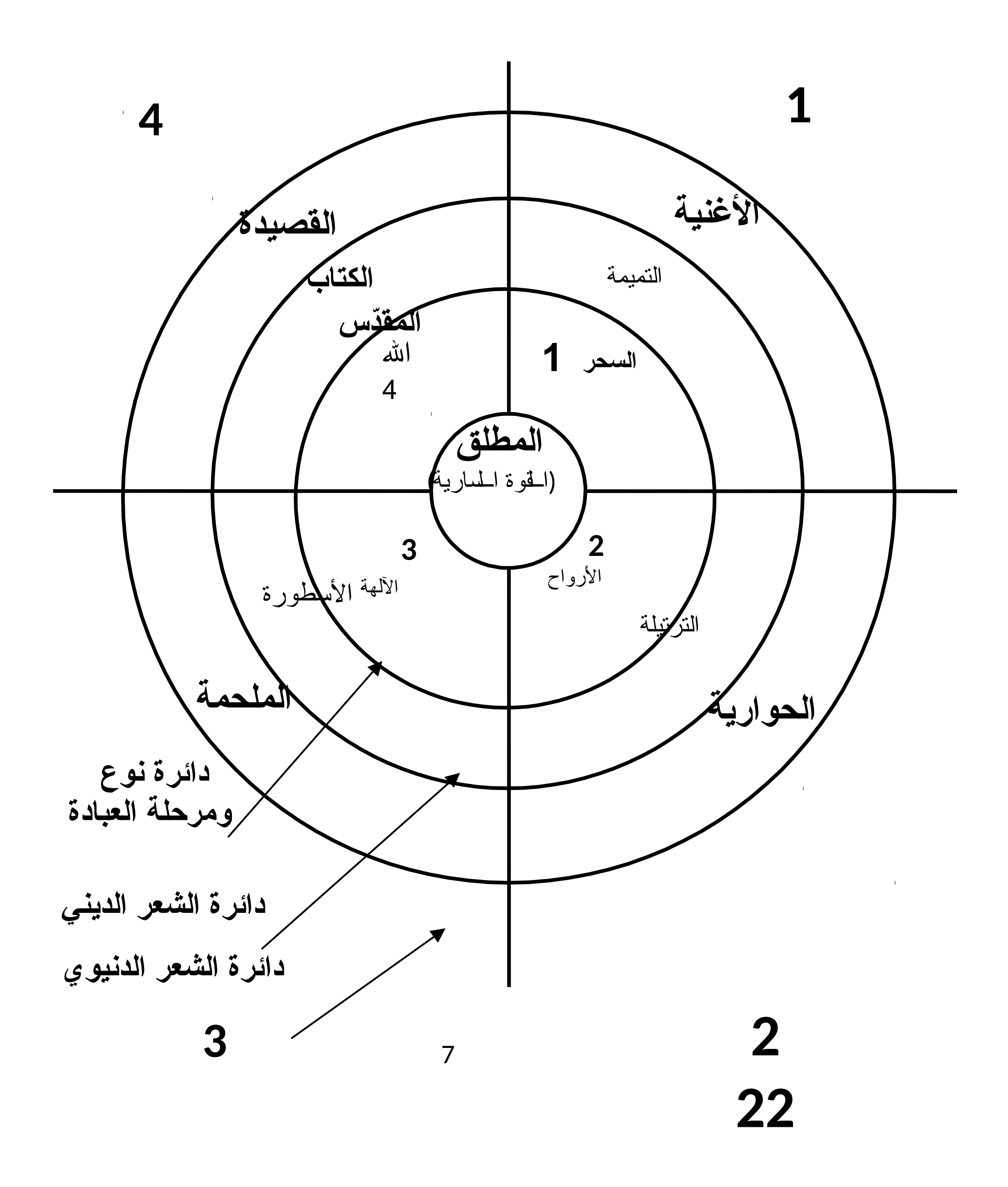
وبذلك نحصل على هذه المتناظرات المهمة (الطاقة السارية، الطاقة الإيروسية)، (المقدّس، المدنَّس)، (الروحي، الجنسي)، (الإلهي، البشري)، (الديني، الدنيوي)...الخ وتشطرُ هذه المتناظرات العالم كلّه إلى متناظرات مماثلة لها فالمكان المقدس والمعبد والعمود المقدّس وسرّة العالم هي أماكن نشكونية مشحونة بالمقدّس وهي مركزية في مقابل الأماكن الكونية التقليدية كالبيوت والساحات والشوارع التي هي أماكن دنيوية محيطية .

وكذلك ينقسم الزمان إلى زمان نشكوني مقدٌّس أسطوري حصل فيه حدث عظيم مثل بداية الخليقة أو الطوفان أو الوحي أو الشهادة .. الخ ، في مقابل زمن تاريخي تقليدي يضج بالأحداث الدنيوية العادية .. وتتم استعادة ذلك الزمن الأسطوري من خلال طقوس الأعياد الدورية التي هي استذكار لذلك الزمن وإعادة تكثيف له وسط تراتب الزمن التقليدي وكذلك تتناظر الرموز السماوية عن الرموز الأرضية ويتناظر النص المقدّس (الكتاب المقدّس) عن بقية الكتب ويحمل النبي كثافة المقدّس أكثر من غيره من البشر وهكذا .. كان المقدَّس منذ العصور الحجرية القديمة أمرا مدهشاً وغامضاً شدَّ الإنسان إلى عالم آخر وجعله يشعر أنه لا يعيش وحيدا في هذا الكون بل أنه مرتبطٌ بجوهرٍ كونيٍّ سرعان ما سيعود إليه ويتحد به بعد الموت . وقد أطلق الإنسان على جوهر المقدَّس آنذاك أسماء مختلفة لكنه كان يعني شيئاً واحداً هو الله / الطاقة الذي هو جوهر الكون ، أما أول طرق التعامل الجدية مع هذا المقدُّس فقد كان السحر (الذي هو أول عتبات الدين) وقد كان السحر أما حقيقياً يتضمن وجود قوةٍ براسايكولوجية خارقة عند المتعبد تؤثر على بعض قوانين القوة السارية ، أو وهمياً شكلياً يحاول أن يؤثر ، من منطلق نفسي ، على قوانين هذه القوة .

وهكذا كان السحرُ أول أشكال العلاقة بين الإنسان والمقدِّس ، ولذلك فهو أول قناة للاتصال بين المقدّس والإنسان .. وتتضمن هذه القناة شحنات إيجابية من الإنسان إلى المقدّس (وهو ما نسميه بالسحر) وشحنات سلبية من
المقد

س إلى الإنسان (وهو ما نسميه بالعرافة) وكلاهما كان من وجهة نظرنا أول شكل من أشكال الشعر ، الشعر بصورته العملية ممارسةً والشعر بما ينضحُ عن هذه الممارسة من كلماتٍ وجُملٍ ثم جاءت مراحل أخرى بعد السحر وهي الأرواحية وظهور الآلهة ومرحلة التوحيد ، وهكذا انقسم تاريخ العالم روحياً أو

تاريخ الروح إلى أربعة مراحل اختلفت في كلٍّ منها طرق النظر إلى المقدّس و المدنَّس ونتج عن ذلك اختلاف في نوعي الشعر الرئيسين الديني والدنيوي (انظر المخطط)



مخطط يوضح تاريخ انواع الشعر الديني والشعر الدنيوي

ويخبرنا هذا المخطط بالتاريخ الرباعي لتطور المقدّس من (السحر، الأرواح، الآلهة، الله)،
ويتبع ذلك تغيَّر نمط التعبير عنه والذي نراه شعرا، حيث يظهر مزدوج شعري يتبع تطور
المقدَّس ، هذا المزدوج يتغير تبعا لتطور الروح وكيفية تحسس المطلق. فالتطور الديني حصل كما يلي:
(التميمة، الترتيلة، الأسطورة، النص أو الكتاب المقدَّس)، والدنيوي تطور مناظرا لذلك كما يلي :
(الأغنية ، الحوارية ، الملحمة ، القصيدة).

سنناقشُ في الفقرات القادمة كلٍّ مرحلة ومزدوجها الشعري الديني والدنيوي وسنحاول فتح أسرار
هذه المتلازمات وعلاقتها ببعضها .

1- مرحلة السحر : التميمة والأغنية.

كان السحر إذن نواة الدين الأولى وقد اجتمعت في هذه النواة شحنة المقدّس الكوني والبشري
فاصبح الساحر بمثابة المتصّل الوحيد بالطاقة الكونية والقادر على التعامل معها وفق ما يريد سواء
بالتحكم بها (عن طريق السحر) أو بالتنبؤ بما يحصل (عن طريق العرافة) .

وكانت مرحلة السحر قد بدأت في العصور الحجرية القديمة والوسيطة وتشكّلت بنمطين دينيين
هما (الفتيشية ، الطوطمية). جعلت الفتيشية المقدّس أو القوة السارية على شكل بؤرة هي الفتيش Fetich
أو الشيء المعبود كالحجر أو الشجر أو العظم حيث تجتمع شحنة المقدّس في شيء واحد ويُطلق عليه
اسماً، وبذلك تكون القوة السارية غير مشخصةٍ بل متخفيةٍ وراء شيء محدد .

أما الطوطمية فقد أعطت هذا المقدّس صورة (جماد ، نبات ، حيوان ، رمز) وركّزت على
الكائنات الحية والحيوانات بشكل خاص وادَّعت أن المؤمنين بهذا الطوطم ينحدرون نسلا منه ، فهي ،
إذن ، نقلت المقدّس من البؤرة الشيئية إلى البؤرة الحيِّة ، وأصبح الحيوان ، بصفة خاصةٍ ، يجسد هذا
المقدّس .

وسواء كان السحر فتيشياً أو طوطمياً على المستوى العملي إلاَّ أنه كان على مستوى اللغة مجسدا
فالساحر يعبر عن (Charm التميمة) في كلامٍ مختزلٍ يُقرأ على شكل
نصِّه السحري في التميمة التي قد تأخذ أسماءً أُخرى حسب وظيفتها مثل <u>التعويذة</u> إن كانت تطرد هذه
القوى الخفية (التي تجسدت في المرحلة الأرواحية بالشياطين) أو <u>الرُقية</u> التي تحاول إحاطة الشخص
بسور من الحماية أو <u>الحجاب</u> الذي يفعل الشيء ذاته وغيرها ..

وإذا كانت التميمة قد عبرت عن نفسها في عصور ما قبل التاريخ بالرسومات والخطوط والإشارات فإن أقدمها وأشهرها رسومات الكهوف والصخور التي كانت تطعن هذه الفتيشات أو الطواطم لتعبر عن صيدها والسيطرة عليها .. لكن الحضارات التاريخية شهدت التمائم المكتوبة على العظام والقماش والحجر والجلد والخشب .. ثم على الورق بكلمات هي أشبه بالصرخات والاستغاثات ومحاولات دفع الشرِّ والأذى أو بمحاولات استدراج القوى
الخـيُّرة لتسوير وحماية الشخص عن طريق الرقى ، والحقيقة أن
كل
ٍّـ هذه المحاولات تدفع بنا إلى اللامألوف وتجعلنا في الدهشة لما يترتب عليها من أخيلة واستعارات غريبة ، ومن هنا نشأ الشعر السحري الذي جسّدته (التميمة) في أفضل أشكاله .

في المقابل كانت الحياة الدنيوية اللاسحرية تحتفي بالجنس الذي كان مشاعاً قبل تكوّن الأسرة إبان عصر اكتشاف الزراعة ، لقد كان الجنس أساس الحياة وتكاثرها وازدهارها لكنّ الدين (البدائي ثم المتطور) كان ينظر إليه ، في الغالب ، نظرة الضد والعداء . ولذلك عمد إلى إخفائه في طبقات من التابو والحرام ثم أعطاه تحديدات شرعية ولم يكفّ عن مطاردته في كل المراحل . وكان الجنس ينبثق هنا وهناك في نسيج الحياة مثل الينابيع لكن الدين كان يغطيه أو يحاول إخفائه .

) لقد كانت الطاقة الإيروسية في الجنس والحب وكان خير من يمثلها على مستوى الفن هي التي لا تعبر عن الإيروس الجنسي فقط بل عن إيروس الحياة كلها . إن هذا الشعر (Song الأغنية الإيروسي تطور عبر العصور مع تطور الحياة الروحية واتخذ أشكالاً متعددة هو الآخر .

لقد كانت الأغاني هي أول أشكال الشعر الدنيوي وكانت ، في الغالب ، مصحوبةً بالموسيقى والرقص وهي تسري على أفواه الصيادين والرعاة ثم الفلاحين في العصور الحجرية وعصور ما قبل التاريخ .. وربما كانت هي السبيل الوحيد للتعبير عن أفراح وأحزان الحياة لأنها لا تحتاج سوى صوت الإنسان وهو يتهدج ويحفل بالإيقاعات .. وكانت هذه الأغاني مباشرة بسيطة لا تفتعل الخيال ولا تلجأ إلى الاستعارات قسراً ، وكانت على قدر حجم اللغة وعلاقتها ومفرداتها المحدودة آنذاك تحاول التعبير عن ما لا يُعبَّر عنه .

والحقيقة أن صيد الحيوان أو رعيه أو عملية البذار أو الحصاد أو الزواج كانت تصاحبها الأناشيد والأغاني ذات الجوهر الإيروسي ، فالخصب هو إيروس دائم.

كانت الأغاني تنطلقُ من الوجدان وكان المغني يؤدي مونولوغاً فهو مترعٌ بالفرح أو الحزن أمام الكون ولم يكن المغني يتحاور مع الآخر بل كان الغناء وجدانياً طافحاً مباشراً لا صناعة فيه. وهكذا نرى أن عصر السحر أظهر لنا نمطين شعريين الأول ديني سحري هو (التميمة) والثاني دنيوي إيروسي هو (الأغنية) ولاشك أن التنافذ والتداخل بينهما كان يجري على السطح أو على المستوى الأدبي ، أما في العمق أو على المستوى الروحي فكان كلّ منهما ينبع من جوهر مغاير .

إن محاولتنا اليوم استعادة التميمة (التعاويذ والرُقى والطلاسم .... الخ) والأغنية في الشعر الحديث تمثل إطلالة على عصر السحر القديم والجديد ومحاولة النهل منه ومن خزائنه الدفينة ، من طريقة القول فيه ومن طريقة التخاطب ، من بلاغته المؤثرة البسيطة ومن معانيه الساذجة والعميقة في آن ومحاولة جعلها تنطق بمضامين جديدة .

ونرى أن التميمة والأغنية مازالتا ، حتى هذا اليوم ، موجودتين بهذا القدر أو ذاك في شعرنا فقد اخترقتا العصور ، تحت الأدمة ، وتسربتا في تربة الشِعر الإنساني ومازالتا تتبعان هنا وهناك عند الأقوام البدائية المعاصرة أو الشعوب المتطورة بنفس القدر ولكنهما دخلتا ، حصراً ، في الغناء المعاصر وفي عمليات استمالة الحظ والقوة .

2- مرحلة الأرواح : الترتيلة والحوارية

المرحلة الثانية في تطور الأديان ظهرت مع الأرواحية عندما بدأ الإنسان يتخيل هذه القوة السارية لا على شكل شيء أو حيوان بل على شكل أرواح خفيةٍ ، وهنا بدأت أول عتبات الميتافيزيقيا في شكلها الساذج .

الفتيشية شخَّصت القوة السارية للكون في شيء والطوطمية جعلتها شيئا حًيا أما الأرواحية فقد جعلتها روحاً بعيدةً . وهكذا
تشكُّل عالم روحي خارج الإنسان يتكون من كائنات روحية كان بعضها مازال يغطس في عالم السحر .

لقد تمّ تصور هذه القوى الروحية التي تسري في الكون والإنسان والأشياء ، بل وتمّ تسميتها ، فقد الذي وجده منتشراً ،على نطاق واسع ، بين (Mana مانا) أدخل العلاّمة كودرنجتن مصطلح الـ الجماعات التي تسكن ميلانيزيا وبولدنيزيا والفلبين حيث يسود الاعتقاد بقوىً خارقةٍ غير مشخصة يطلق عليها اسم الـ (مانا) أو الـ (مانيتو) التي تتبثُ في الأشياء ، والغريب أن الرومان أيضاً كانوا يطلقون اسم الـ (مانا) منذ الألف الأول قبل الميلاد على الأرواح . وقد أخذت النصوص الدينية تتطور من التميمة نحو نصوص تنادي الأرواح والكائنات الروحية وأصبح التوسل والحذر والتعويذ والإحاطة والرُقى موجّهة إلى هذه الأرواح .

(Hymen الترتيلة) لكنّ شكل الشعر الديني الجديد المناسب لهذه الأرواح ، كما نراه ، هو شكل الذي تخلص من المضمون والشكل السحري وأخذ صيغة التراسل الروحي بين الإنسان وبينها .

الترتيلة هي شعرٌ ديني أرواحي المنشأ تسوده لغة الرجاء والدعاء والاتصال مع هذه الروح أو تلك . ومازالت التراتيل الدينية إلى يومنا هذا شكلاً من أشكال الشعر الديني لكنها الآن أخذت مضامين أخرى كما حصل للتميمة عندما انتقلت إلى عصور لاحقة . والحقيقة إننا لا نستطيع الآن استنباط القواعد الفنية الدقيقة لنمط (الترتيلة) القديمة بسبب اندثارها أو إعادة صياغتها لاحقاً ، لكننا ندرك أن هذه التراتيل كانت تطلب الشفاعة والحماية وكان الإنسان أو الشاعر يستخدمها في مختلف تفاصيل حياته ، وهو ما نراه ، مثلاً ، في الحقبة الأولى من الدين الروماني الذي احتفظ لنا بأسماء لا حصر لها لهذه الأرواح (المانات) الخاصة بالموتى الأخيار والأشرار (ماليبوس ، لارفا) والخاصة بالحياة المنزلية (بينات) والأرواح العامة (لارات) والأرواح الحامية الخاصية (جن) وهذه تسيطر على تفاصيل الحياة والسلوك ، ولاشك أن لكلٍّ من هذه الأرواح تراتيلها مثلما لها تماثيلها وأشكالها .. وفي كل الأحوال لم تكن هذه الأرواح آلهة بل قوىً روحيةً دقيقةً.

ولعل أكثر الأرواح وضوحاً في تراثنا العراقي القديم والسامي بشكل عام هي (ليليث) التي تمثل شيطانة الليل ، فهي روحٌ أنثويةٌ مغوية تجذب الرجال إليها وتجعلهم يهيمون وراءها في الليل تاركين

زوجاتهم في البيوت ، وقد تحولت (ليليث) إلى ما نستطيع أن نسميه بـ (حواء الباطنية) فهي روح نارية مثّلت فيما بعد ، شخصية العشيقة الناريَّة التي تعصف بحياة الرجل المتزوج خصوصا .

فقد ظهرت (Dialoge) أما النصوص الدنيوية التي تقابل الترتيلة فكانت تمثل في الحوارية الحواريات بسبب وجود قوتين متقابلتين هما (الروح المعبودة) و (الإنسان) وأصبح الحوار بينهما قائماً ، ثم أصبح الحوار بين شخصين أو بين شخص وجماد أو حيوان أو نبات ، وظهرت في العصر السومري مثلاً حواريات المفاخرات (أدمندوكا) التي تعبر عن تنافس بين (النخلة وشجرة الأثل) و (الصيف والشتاء) و (الراعي والفلاح) ... الخ .

وإذا كانت الأغنية في عصر السحر عبارة عن مونولوجٍ وجداني فإن أغنية عصر الأرواح هي ديالوج حواري شكَّل بذرة الدراما التي ظهرت لاحقا بأشكال متطورة وصيغ مسرحية .

وبذلك يكون الشعر الحواري (الدرامي) هو شعر هذه المرحلة حيث يتناظرُ مع الترتيلة الدينية التي هي حوار مع الأرواح ومناغاة لها . وتمثل محاولة استعادة الترتيلة والحوارية في الشعر الحديث ،عن وعي مسبق ، صيغة حوارية لفتح طبقات أسلوبية جديدة في الكتابة الشعرية .

3ــ مرحلة الآلهة : الأسطورة والملحمة.

كانت الأرواحية تمهيداً للانتقال إلى عصر الآلهة حيث تمِّ تطوير فكرة الأرواح إلى فكرة الآلهة ، فقد تجسدت هذه الأرواح بصيغة بشريةٍ وأصبحت آلهة ذات عقل وقوة وشمول وسطوة والأهم أنها خالدةٌ باقيةٌ بينما الإنسان زائلٌ بائدٌ رغم أنه يتوالد ويتكاثر .

كانت هذه العتبة الجديدة التي دخلها التطور الديني منطلقاً للأديان الوضعية المعروفة وغير المعروفة والتي يُرجِّح أنها اتضحت مع العصر الحجري الحديث (النيوليت) حيث اكتشاف الزراعة ، ولذلك كانت أول الآلهة وأقدمها هي (الإلهة الأم) راعية الخصب في التربة ثم راعيته في الكون كلّه ، وظهر بعدها الإله الأب ثم الإله الابن
وتكوِّن أول بانثيون عائلي للآلهة قبيل العصور التاريخية .. وكان لابد من ظهور أدب قصصي يروي قصة ظهور هذه الآلهة وكان هذا الأدبُ يروى شعراً وهو تحديداً : الأساطير .

الأسطورة شعرٌ سردي عن إله معين أو عدة آلهة فهي إذن قصة محكية عن طريق الشعر وهي ثابتةٌ نسبياً ومقدسةٌ ومربوطةٌ بنظام ديني معين ومتناقلة بين الأجيال، ولا تشير إلى زمنٍ محدد بل إلى حقيقة أزلية من خلال حدث جرى ، وهي ذات موضوعات شمولية كبرى محورها الآلهة ، ولا مؤلف لها بل هي نتاج خيالٍ جمعيّ.

هكذا صارت الأسطورة أحد أهم المكونات الأساسية للدين مع المعتقدات والطقوس . وهكذا صارت هي مادة الشعر الديني المعبر عن هذه المرحلة وهي مرحلة ظهور الأديان الوضعية التي استغرقت زمن الحضارات القديمة كلها .

وتعتبر الأسطورة قفزةً نوعية قياساً إلى التميمة والترتيلة فقد تضمنت في أحشائها العلم البدائي والفلسفة الأولى التي جعلت الإنسان يتأمل الكون ومعناه وغاياته وما وراءه ، واتسعت فيها رقعة الأدب لتشمل السرد والشعر بأنواعهما وانطوت على أخيلة ومجازات واستعارات جزيئة وكلية . وهكذا اجتمعت في الأسطورة أسس (العلم والفلسفة والأدب والدين) في صورتها الأولى الأشد قرباً إلى الناس وقتذاك ، فهي إذن صفحة من صفحات العقل البكر للإنسان والتي تخفي نضارته وطفولته وأول تشوّقاته لفهم وتفسير ما حوله .

يظهر الأسلوب الأسطوري الشعري Methopoetic من خلال مظهرين أدبيين أساسيين للأساطير هما الإيقاع الشعري الظاهر أو الخفي و / أو التقنيات الشعرية مثل التكرار والمقابلة والتشبيه ، ويمكننا تصنيف الأسطورة إلى أربعة أنواع أساسية هي ؛ أولاً : أساطير الخليقة Myths of Genesis) وتشمل أساطير خلق الكون (كوزموغونيا) وأساطير خلق الآلهة (ثيوغونيا) وأساطير خلق (التكوين البشر (أنثروبوغونيا) ولاشك أن نموذجها الفريد هي أسطورة الخليقة البابلية (إينوما أليش : حينما في العُلى) فهي أسطورة خليقة نموذجية في العالم القديم تتضمن خلق العالم والآلهة والإنسان .

وفي أساطير الخليقة تتكون الأنماط البدائية الموجبة Positive Archetypes التي تعمل كحاضنة كبرى لرموز الإنسان التي ستظهر لاحقاً وتشكل بنيته الروحية العميقة .

وتتم الخليقة عبر أحد العناصر الأربعة الأساسية للخليقة (الماء ، التراب ، الهواء، النار) أو بخلط بعضها .

أما النوع الثاني من الأساطير فهو أساطير البناء Myths of construction وهي الأساطير التي يقوم فيها الآلهة بخلق وبناء تفاصيل العالم وتأسيس المدن ومنح الإنسان أدوات العمل والحكم والسلطة والملكية وغيرها وتسيطر على هذه الأساطير المدائح الإلهية ومدائح المدن التي بناها الآلهة وقصائد البناء وتظهر فيها رموز الخير البناء التي تنطلق من الأنماط الموجبة . وتشكل أساطير البناء بمجملها ما يشبه الكوميديا الإلهية المليئة بالأفراح والمسرات والمدائح ولعلّ أرفع أشكالها هي أساطير الحب المقدَّس بين الآلهة وخصوصا الإلهين الشابين اللذين مثلهما دموزي وإنانا (تموز و عشتار) خير تمثيل في المثولوجيا العراقية القديمة .

أما النوع الثالث من الأساطير فهو أساطير التدمير Myths of deconstruction وهي الأساطير التي تبدأ بأساطير الحب المدنَّس حيث نزول الإلهين العاشقين إلى ا لعالم الأسفل وما يتبع ذلك من مراثي الحب . ثم تليها أساطير تدمير المدن وهجرها ورثائها وقصائد البكاء وتبدأ رموز الشر والخراب والدمار بالظهور . ولعل أهم نماذج هذا النوع هو نزول إنانا للعالم الأسفل ومراثي أور وسومر وبابل وغيرها .

أما النوع الرابع من الأساطير فهو أساطير النهاية والموت Myths of death وتسمى (الاسكاتولوجيا) Eschatology وهي أساطير نهاية الكون والآلهة والإنسان حيث يتفسخ الكون مثلما ابتدأ ويعود إلى عناصره الأربعة ، وهكذا يتم تدمير الكون والإنسان أما بالماء (الطوفان) أو النار (الحريق) أو الهواء (العاصفة) أو التراب (الزلازل والبراكين) .

ولعل أهم الأساطير العراقية هنا هي أسطورة الطوفان ، حيث تسيطر على أجوائها الكابوس والدمار والنهاية وتمثل عودة الكون إلى العماء وتحطم الأنماط البدائية وظهور الأنماط البدائية السلبية Negative Archetypes .

هذه هي الأسطورة .. إنها الخزين العميق لكنوز العقل البشري وتطلّعاته
وتشو
ّقاته الأولى .. وهي شعره الديني الذي يمشي بقدمي السرد في دورة أزلية بين الخليقة والموت مراراً وكأنها قصيدة / قصة العود الأبدي .

أما الشعر الدنيوي المناظر للأسطورة فقد كان (Epic الملحمة) التي كانت سرداً شعرياً يدور حول بطل بشريٍّ وليس إله , و لكن هذا البطل يملك قدرات استثنائية ويتحول , عادةً , إلى رمزٍ قوميٍّ تجتمع حوله قصة صعود أمةٍ من الأمم , وتكاد الملحمة تشبه الأسطورة في كلِّ شيء لكنها دنيوية أما الأسطورة فدينية وهي أحد أعمدة الدين الثلاث .

وإذا كانت الأساطير قد توارت نسبياً أمام التطور التاريخي فإن الملاحم مازالت تظهر بشكلها الشعبي وتشكل المتن المميز لبعض الأمم والشعوب .

وقد ظهرت مميزات أسلوبية ومضمونية خاصة بالملحمة مثل التكرار والإعادة واستباق الأحداث وظهور القوى الغيبية وغيرها وهكذا يكون الأدب الدنيوي قد تطور من قصة بين اثنين (دراما) إلى قصة شعب يتمركز حول بطل (ملحمة) وإذا عدنا إلى الموضوع من بدايته فسنجد أن هذا التطور قد حصل كما يلي دنيوياً : من الشعر الغنائي إلى الشعر الدرامي إلى الشعر الملحمي وهو سياق متجانسٌ تاريخياً ويعبِّر عن اكتناز متصاعد .

والحقيقة أن استعادة الأسطورة والملحمة في الأدب الحديث هو الأمر الأكثر شيوعاً فقد احتوت الأساطير والملاحم على كنوز روحية وأسلوبية نادرة كانت تمثل , بلا شك , خلاصة التجربة الإنسانية القديمة في شكليها الديني والدنيوي وقد اختلفت طرق استعادتهما وتمثلهما في الشعر الحديث بين طرق مباشرة وكولاجية وغير مباشرة ورمزية . لكننا اخترنا (في هذه الأعمال الشعرية وغيرها) طريقة شحن النصوص الحديثة بمادة الأساطير والملاحم حيث نعمد إلى تكسير الأسطورة أو الملحمة إلى شظايا صغيرة نزيِّن بها النص الجديد أو نشحنه مضمونياً ببعض شحناتها , فقد وجدنا الطرق الأخرى مباشرة ومملَّة وشكلية .. ولذلك اخترنا طريقاً آخر قد تتضح ملامحهُ في الأعمال الأخرى .

4- مرحلة التوحيد : الكتاب المقدّس والقصيدة.

عندما ظهرت الأديان التوحيدية سقطت الآلهة ولم يبق سوى إله واحد هو خالق الكون والإنسان وأصبح من الصعب الحديث عن أساطير له لأنه
منـزَّه بعيد لا أول له ولا آخر ولا ولد ولا أب له . وبذلك تراجعت الأسطورة ووجدت لها ملجأ في

الحديث عن الملائكة والشياطين والأنبياء في روايات شعبية . وربما بقيت من أسطورة الخليقة هياكل قديمة تذكِّر بكيفية نشوء الكون وأصبحت أسطورة النهاية إنذاراً ووعيداً بالخراب والزوال .

وحلّ (النص المقدّس) أو (الكتاب المقدّس) محل الأساطير وهكذا ظهر الشعر الديني في الكتب المقدَّسة مواربا متخفياً متثاقلاً تحت عبء الأفكار والمعتقدات اللاهوتية من جهة وتحت ضغط تفاصيل الطقوس والفقه والشريعة من جهة أخرى .. وبعبارة أخرى أصبح (الكتاب المقدّس) هو النص الديني الشامل حيث يجمع مكونات الدين الرئيسية الثلاثة : المعتقد , الأسطورة , الطقس , ومكونات الدين الثانوية : الشرائع والأخلاق ، وهكذا أصبح هذا الكتاب المقدّس هو النص المفتوح على العقل والعمل أي أن الشعر أصبح داخل العقل والعمل .. كان الكتاب المقدّس لليهود هو التوراة أو (العهد القديم) وللمسيحيين هو الإنجيل أو (العهد الجديد) وللمسلمين هو (القرآن) .

) وهكذا تحول الشعر من (القصّ المقدّس) في الأسطورة إلى (النصّ المقدّس) في الكتاب وتغيرت وظيفة الشعر الديني كثيرا فأصبحت ذهنية وعملية بعد أن كانت أكثر سعيا . (Bible البايبل وراء الخيال .

والنص المقدّس أو الكتاب المقدّس لا يعدُّ شعرا بالمعنى المألوف الذي عرفناه بل هو نصٌ روحي ديني متماسك تظهر فيه أشكال وإيقاعات وتقنيات الشعر لخدمة غرض روحيٍّ أكبر .

وقد اخذ الشعر في النصوص المقدسة أسماءً جديدةً مثل السِفر في التوراة والإنجيل والمكون من عدد من الإصحاحات ، أو السور في القرآن والمكونة من الآيات . ومهما كانت التسميات فإن الشعر أصبح وسيلة من وسائل المعتقدات والطقوس الدينية ولم يعد له وجود مستقل في الحقل الديني . أما الشعر الدنيوي فقد ظهر في ما نسميه بـ (القصيدة) فهي نصٌ شعريٌ يجسِّدُ مشاعر وأخيلة الشاعر مباشرةً دون مسالك ملحمية أو حوارية , لكنَّ القصيدة تقترب من الأغنية في جوهرها رغم أن القصيدة أكثر تعقيداً وغنىً من الأغنية .

الشعر الوجداني البسيط يعبر عن الأغنية أما القصيدة فتتضمن هذا المحتوى وتتجاوزه إلى أكثر من ذلك فهي تجمع مشاعر الإنسان في كافة اتجاهاتها وأغوارها وتستوعب خياله وذاكرته وحكمته وفلسفته في العيش . القصيدة ، إذن ، نوع أدبي دنيوي حديث نسبياً ظهر بعد الملاحم رغم أنه ينهل من الأغاني القديمة (التي ضاع اغلبها) . وحين يتمّ فتح قناة وصل بين النصّ
المقدَّس والقصيدة ، أي حين تحاول القصيدة الاستفادة أسلوبيا ومضمونياً من مادة النصوص (الكتب) المقدّسة فإن ذلك يجري لجعل القصيدة مكتنزة أكثر بشحنة جديدة .
ولعلَّ هذا الملمح هو أكثر ما نراه في النصوص التي قدمناها هنا وفي (مجاميع أخرى) فهناك محاولة لفتح نوافذ القصيدة أمام رياح الكتب المقدَّس (والقرآن بشكل خاص في أناشيد إسرافيل) . وأخيرا فإننا نرى ، في هذا السياق ، أن النص الشعري الحديث يجب أن ينفتح على كل حلقات التطور التي مرَّ بها الشعر الديني والدنيوي . فالقصيدة الحديثة تستوعب مؤثرات وأسلوبيات الملاحم والدراما والأغاني كما أنها تستوعب شحنات الكتب المقدسة والأسطورة والترتيلة والتميمة . وهو ما نراه مناسباً لظهور نصٍّ شعريٍّ متناسلٍ مع تاريخ الشعر كلّه .

ثانياً: الشـــعر والسحــر

1. أنواع السحر

يسعى السَحرُ نحو التدخل في قوانين الطبيعة .. أما لإيقافها أو لتحويرها أو للتحكم بها , ويسعى الساحر لأن
يسيـ

ـر هذه القوانين وفق ما يشاء وهو بذلك يوقف الإنسياب الطبيعي لهذه القوانين وتكرار حصولها المستمر , أي أن الساحر شخصٌ يعارضُ الطبيعة ويعمل على جعل قدرته تتدخلُ في مسرى قوانين الطبيعة لكي يوجهها حسب رغبته ويجعل هذا التوجه من الساحر شخصاً استثنائياً بين الجماعة أو المجتمع .

ينقسم السحر , من حيث طريقة ممارسته إلى ثلاثة أنواع أساسية هي (السحر الخارقي والسحر هو السحر الحقيقي الذي Parapsychological Magic التعاطفي والسحر الكاذب). فالسحر الخارقي يقوم بالمعجزات المادية التي نتلمسها بحواسنا ونعترف بحصولها دون أن يكون هناك تلاعب أو إيهام لهذه الحواس ويشترط هذا السحر شرطاً واحداً في الساحر هو امتلاكه لقوةٍ خارقة أو إحساس فائق نسميه اليوم (قوة براسايكولوجية) حيث يمتلك عددٌ نادرٌ جداً من البشر قوةً أو قوى براسايكولوجية تمكِّنهم من التدخل في قوى الطبيعة وإيقافها أو التحكم بها أو أن هذه القوى تعمل على تحطيم الفيزياء التي حولنا وتنفيذ ما يريده صاحب هذه القوى ، ولاشك أن السحرة الحقيقيين في الماضي كانوا من هؤلاء فهم بامتلاكهم هذه القوى تسيَّدوا مكانا مرموقاً ومهاباً في المجتمع جعل من بعضهم كهنةً أو ملوكاً أو أنبياء لكنهم كانوا يحملون في داخلهم هذه القوة أو القوى البراسايكولوجية . وقد كشف علم البراسايكولوجي المعاصر بعض هذه القوى في الإنسان مختبرياً وفسّرها .

ظهرت الظواهر البراسايكولوجية التي هي قدرات سحرية ، قبل ظهور علم البراسايكولوجي بمئات الآلاف من السنوات بل إن الإنسان القديم كان يحمل هذه القوى كلما توغلنا في الماضي أكثر لأنه كان يعيش في عالم موحش مظلم غامض مريب وهو ما يجعل هذه القوى تتنشّط أكثر أما عندما تكو

ـنت المجتمعات واختلطت وظهرت الحضارات واستقر الإنسان في المدن فقد ضمرت هذه القوى في الإنسان تدريجياً وقلّ عدد ونوع حامليها إضافة إلى ضمور الغدّة الصنوبرية في الإنسان مع تقادم الزمن وهي الغدة التي لها علاقة مؤكدة مع هذه القوى .

الذي يقوم على محاولة Sympathatic Magic أما النوع الثاني من السحر فهو السحر التعاطفي التدخل بقوانين الطبيعة عن طريق تقليد هذه القوانين ، أي أن الساحر لا يملك قوةً خارقيةً بداخله بل هو يناور شكلياً بقوى الطبيعة ويقلّدها

لعلَّه يستطيع السيطرة على ظواهرها والتحكم بها ، إنه عمل صادق يشحذ الإنسان نفسيا لفعل عمل خارق ولكنه لا ينجح بالضرورة في ذلك ، وهذا السحر على شكلين هما السحر التشابهي Homoeopathic الذي يقوم على أساس أن العلل المتشابهة ينتج عنها نتائج متشابهة حيث يقوم الساحر بصنع نموذج مشابه للطبيعة ويؤثر فيه ليحاول إحداث تأثير في الطبيعة نفسها مثل رسم صورة للعدو ثم طعنها لإحداث تأثير سيئ في العدو . والآخر هو السحر الإتصالي contagious الذي يقوم على أساس أن الأشياء بعضٍ , وأن للجزء تأثيراً على الكل كما أن للكل تأثيراً على الجزء مثل أخذ شعرةٍ من إنسان وحرقها للتأثير على ذلك الإنسان .

أما النوع الثالث من السحر فهو السحر الكاذب Pseudo-magic أو الشعوذة الذي لا يعد سحراً بل هو نوعٌ من الخداع البصري والحواسَّي فهو يفشل تماما مع الطبيعة ويقوم بالتأثير النفسي على الإنسان الذي يؤمن به وبذلك يتحكم به ولا يتحكم بالظواهر المراد التحكم بها .

2. أنـواع الشعـر

إن التقسيم السابق للسحر يصلح تماماً لتقسيم الشعراء إلى ثلاثة أيضاً فالشاعر الخارقي هو الذي ينبع شعره من موهبةٍ قوية فيه ومن فطرةٍ ضاربة في أعماقه وشعره أصيل أولاً قبل أن يكون قديماً أو حديثاً ، نشعر بشعره مثل ينبوع يتدفق عن نفسٍ صافيةٍ عميقة رقراقة ولا يحتاج شعره إلى حذلقات الصناعة الشعرية ولا يتعكز على الخيال المبالغ فيه ، الشاعر الخارقي هو الذي يتقدم نحو الشعر بخطىً ثابتة لأنه قدره المحتوم وهو يسير فيه دون أن يلتفت ويبلغ المستوى الكبير دون عناء ففي داخله قوة شعرية مولِّدة وسيكون عليه بذل جهد معين في وضع هذه القوة في الإطار المناسب وفي الشكل المناسب واختيار المضامين المناسبة . ولكن هذا الشاعر قد يسخِّر موهبته الشعرية هذه في اتجاهات لا تناسبه ولا تناسب موهبته رغم أن قوة موهبته الشعرية واضحة فيها . ولذلك فهو شاعر يذهب إلى الأغوار والأعماق .

أما الشاعر التعاطفي فهو شاعرٌ صادقٌ يستعين بصدق تجربته قبل كل شيء لكتابة الشعر ويجد في الأدب ملجأً لذلك ورغم أن موهبته متواضعة لكنه يناور بأشكال يبتكرها ويخطط لها ، نشعر بقدرته الأدبية أكثر من قدرته الشعرية فهو ينطلقُ من نصوص أدبية بين تجربته وقصيدته ويقيم بينهما صلةً معقولةً . ينطلقُ من التجارب ومن صدق مشاعره التي خاضت هذه التجارب لكنه لا يسبر الأعماق الخفية والعوالم الباطنية .

النوع الأخير هو الشاعر الكاذب وهو الشاعر الذي يعتمد كلِّيا على الصنعة الشعرية وعلى القوالب الجاهزة لهذه الصنعة والشعر عنده مجموعة تقنيات لغوية فحسب لا تنبع من صدق التجربة (كما عند الشاعر التعاطفي) أو من أغوار الفطرة (كما عند الشاعر الخارقي) بل هي عمليات قصٍّ وربطٍ وترقيعٍ وخياطةٍ لغويةٍ يمكن عملها بالكثير من المران والخبرة الأدبية .. ويضعنا هذا الشاعر في منطقة اللعب والتسلية والزخارف الشكلية التي ، يعتقد هو إنها ، ستحيلنا إلى الأعماق ولكنها لا تفعل ذلك لأنها لا تمتلك رصيداً عميقاً وروحياً ولأنها ليست صادقة ولأنها تتوسل الشكليات وتحاول اللعب بها فقط .

ولأن السحر يشتغل في منطقة تحقيق فعلٍ ما فإنه يختلف عن الشعر الذي يشتغل في القول واللغة والكتابة ، السحر يعمل بينما الشعر يقول .. ولهذا يكون السحرُ سحراً عندما يعمل فقط ولا يكون عندما يفشل في العمل وهو ما جعل السحر الخارقي هو السحر الحقيقي أما السحر التعاطفي فنجاحه جزئي في تحقيق الفعل والساحر الكاذب كذلك .

لكن الشعر يكون في منطقة الكلام واللغة ولذلك فهو يتطلب أولاً موهبةً أصيلة (الخارقي) وثانياً صدقاً في التجربة ومرانا أدبياً (التعاطفي) وثالثاً صنعةً وتقنيات لغوية وخيالٌ شكلي (كاذب) . إنه يجمع هذه الأنواع الثلاثة بنسب متدرجة لأنها ، كلها ، تعملُ في منطقة القول والكلام واللغة ، ويقيناً أن وجود الموهبة سيهذب الصدق والتجربة والأسلوبية الأدبية وكذلك سيحدُّ من أمراض التقنيات ويخفف من عبئها وضغطها على براءة الشعر وفطريته .

3. الساحر والشاعر

يشبهُ الشاعرُ الساحرَ في أمور كثيرة مع ملاحظة أن الساحر يعمل والشاعر يقول (أو يكتب) ، ويتظافر الفعل والقول عند الشاعر الحقيقي الذي يصبح رمزاً مشرقاً للصورة الإنسانية في تفوقها الروحي والعملي .

الساحرُ يحاول تحدي واختراق الفيزياء الطبيعية للوجود والشاعر كذلك وينتج عن ذلك رقيًّا وتصاعداً في المستوى الانطولوجي والمعرفي لحياة البشر .

الخارقية السحرية تشبه الخارقية الشعرية رغم أن الأولى حرثٌ في الوجود والثانية حرثٌ في اللوغوس .

كان الساحرُ ، في العصور القديمة ، يشغل أهميةً استثنائيةً في الحياة الاجتماعية والسياسية وكان يشغل زعيم القبيلة وطبيبها وشاعرها وفيلسوفها حيث تجعل قدرته الفائقة على هذا القدر من الأهمية . وكان الشاعرُ يحتل مرتبة نوعية في الحياة السياسية والاجتماعية لكنها لا تضاهي مرتبةَ الساحرِ . ورغم أن المجتمعات البشرية أظهرت تخصصات معقدة في طريق تطورها السياسي والاجتماعي إلا أن مكانة الساحر تدهورت مع الزمن بينما تصاعدت مكانة الشاعر .

والحقيقة أن الساحر والشاعر يحملان القدرة ذاتها ويحققان الأثر النوعي ذاته في التطور النوعي للأمم , لكن الساحر ارتبط بالدجل والشعوذة وخصوصا بعد عصر التوحيد حيث بدا وكأنه يمثل القوة الوثنية في مقابل قوة الإيمان الإلهي .

أما الشاعر فقد تشوهت صورته هو الآخر عندما ارتبط بالبلاط وأكثر من ظهوره الماجن والمغوي وتهاوت صورة الشاعر بقسوةٍ إبان ظهور شعر التكسّب والمديح والهجاء واللهو .

لكن نصاعة صورة الساحر (الشخص الفائق المعرفة) والشاعر (الشخص الذي يمثل الحرية) بدأت بالعودة مرة أخرى كصورة نوعية للإنسان في أقصى تجلّياته المشرقة .

ثالثاً: الشعر والجسد

طاقة الإيروس.1

إن قوة الجسد الداخلية التي احالتنا إلى نشاط مراكز السحر فيه تحيلنا أيضاً وبصورة مباشرة إلى القوة الإيروسية التي تنتعشُ بانتعاش الجسد وتُهملُ بإهماله وهكذا يكون الجسد مركزاً للماجي (السحري) و الإيروسي (الحسي) .

إن الإيروس هو نشاط الجسد الجنسي والعاطفي ويسميه فرويد (غريزة الحياة) وتقع في نطاقها غريزة حفظ الذات وغريزة حفظ النوع رغم اختلافهما , وهدف الإيروس إنشاء وحدات جديدة تزداد حجماً , فهو غريزة رابطة , أما الطاقة التي تعمل وفقها فاسمها (اللبيدو) . ويتصارع (الإيروس) مع الـ
الذي هو غريزة الموت الكامنة في الجسد البشري والتي تحاول تعطيل كيانه وحركته (تانتوس) .

إن هذا الإيروس هو الذي يمدّنا بحب الحياة وعشقها وهو الذي يزيِّن لنا جاذبية الجسد الآخر وهو الذي يُشعل اللذّة فينا فهو نار الجسد وشعلته العظيمة.

يفقد الجسد الكثير من فاعليته عندما يكون هذا الإيروس محجوباً (في حالات التقشف) أو غفلاً (في حالات الخمول الجنسي) أو معطَّلا (في حالات الشيخوخة) , ويعمل الإيروس على تماسك الجسد وإذكاء فاعليته وإدراكه لفحواه وجوهره . وتتجسد طاقة الإيروس بشكل مباشر في ممارسة الحب والجنس والنشاطات
الحسيّ
ة النوعية مثل التذوق المرهف والسماع المهذب للموسيقى والتلذذ بالعطور حيث تتنشط الحواس الخمس وتمارس فاعليتها وامتلاءَها .

لكن طاقة الإيروس قد تتجسد بشكل غير مباشر عندما تتسامى الحواس وتتحول طاقتها لإنتاج فكري أو فني أو شعري متميز . إن التسامي هو فعل إيروسي غير مباشر تقفز فيه الطاقة الحسية وتتحول من طاقة مادية إلى طاقة مثالية يجسدها العمل الإبداعي , وهذا ما يدعونا للتأكيد بأن الإيروس هو المخزن الحسيُّ للإبداع ومنه تنطلق أمواج الشعر والأدب والفن ولكن عبر عمليات داخلية في غاية التعقيد .

إن طاقة الإيروس طاقة نفسية (سايكولوجية) وطاقة الماجوس (السحر) طاقة فوق نفسية (باراسايكولوجية) وطاقة اللوغوس طاقة روحية كونية وبذلك تتظافر هذه الطاقات مع بعضها في عمليات الإبداع .

يتلازم الشعر مع طاقة الإيروس لا باعتباره شكلاً متسامياً لها بل باعتباره ينبوعاً فطريا إيروسياً .
وهذا ما يختلف به الفكر عن الشعر فلو أننا توهمنا واعتبرنا الشعر متعالياً إيروسياً لنتج عن ذلك شعر ذهني أقرب إلى الفكر ، لكننا سنقترب من حقيقة الشعر إذا نحن وضعناه في الجذور الإيروسية لأنه اقرب إلى ينابيع الحواس وعيونها الخصبة منه إلى مجرداتها وسمائها العالية .

إن التأكيد على إيروسية الشعر يشبه التأكيد على فطريته ، فالجسد يجب أن يكون حاضراً بطرواته وحواسه المشتعلة ، بل يجب أن يكون النصَّ الشعري جسدا لدناً متورداً بحواس نشطة ومن هنا تأتي مقولة أن الشعر يؤنِّث العالم لأن الجسد الحقيقي الذي يسعى الشعر لتجسيده هو جسد الأنثى حيث تسعى الأنوثة لصبغ العالم بجمالها ونورها .

رابعاً: كيمياء السحر والجسد في المجموعات السبع

حاولت قصائد هذا المجلد الشعري النهل من تلك الينابيع السرّية للسحر والجسد ، من جاذبية السحر وحقوله المشتبكة وهو يعيش في حواسنا التي ينشّطها الشعر ومن جاذبيته وهو يرسخ في أعماق وجداننا اللا شعوري , ومن عبقرية الجسد البشري المجلجل بالأعاجيب الحسيّة وتورُّدات الغرائز وسعيها إلى الرقيّ .

عندما يحكم الشعر مجالي السحر والجسد فلن يكون هناك نكوص نحو الهاوية والابتذال , لن يتحول السحر إلى شعوذة بل سيكون جزءاً من التركيب الشديد العالي للحواس , ولن تتحول الإيروسية الجسدية إلى غرائز حيوانية بل سيقودها الشعر إلى الرفعة وسينفتح الجسد المخصَّب على حقول الروح والنفس ويغنيها .

الأعمال الشعرية هنا لا تدّعي أنها تطابق التنظيرات التي تحدثنا بها , إذ ما من شاعر يستطيع التوفيق بين رؤيته ونتاجه فالمسافة بينهما قائمة مهما كان صدق الشاعر ونواياه .

لكننا نود التأكيد على أن الشعر لا يأخذ مادته من نظريات الشاعر بل من مادة حياته وتجربته , وربما جاءت هذه النظريات بعد التجربة وبعد الشعر نفسه , وربما لعبت دور الإطار العام والبوصلة الموجهة فقط .. وهذا ما نراه من دور مناسب لها .

ربما كان توجهنا في جمع قصائد هذه المجموعات الشعرية السبع في مجلد منطلقاً من عاملين أولهما شكلي يتمثل في سيادة الإيقاع الموسيقي الشعري المتمثل بالتفعيلة العروضية في اغلب هذه المجاميع وثانيهما مضموني يتمثل في طغيان موضوعات السحر والجسد في هذه المجاميع ، وربما سيكوِّن العرض الآتي الذي سنقدمه لهذه المجاميع مفاتيح هامة في فهم وتحليل وكشف هذه المضامين , رغم أننا اخترنا لغة ذوقية اكثر منها نقدية لبسط هذه المادة لإيماننا الكامل بأن مثل هذه اللغة هي الأفضل في الحديث عن الشعر وأغواره خصوصاً عندما يتعلق الأمر بالشاعر نفسه وبأعماله .

كانت يقظة دلمون باكورة أعمالي الشعرية كلّها فقد صدرت عام 1980 حاوية على قصائد كتبتها في السبعينات وهو العقد الذي ظهرت فيه تجربة جيل شعري جديد في العراق (جيل السبعينات) وكنتُ أحد شعرائه .

قصائد هذه المجموعة أقرب إلى الرومانسية فهي مشحونة بالعاطفة وبالسعي نحو المثل العليا وتلمس عتبات الرمزية في إطارها العام لكن الثمار الخاصة فيها كانت متمثلة في غصنين أساسين هما غصني السحر والأسطورة . فقد حاولت أغلب قصائد المجموعة وخصوصاً في كتاب السيمياء الاستفادة من السحر والأدعية والتعاويذ والطلاسم وغيرها .

كانت محاولتي المبكرة هنا للاستفادة من هذا الحقل المهمل في تراثنا الشعري الحديث استجابة لوعي معرفي خاص بهذا الأمر ولدوافع داخلية ، لا أعرف حتى هذا اليوم أسبابها ، وقد أستطيع العودة بالوعي المعرفي الخاص إلى ميولي الذوقية الشخصية للشرق وللغنوصية والهرمسية واعتبارها منطلقات وعي وفنٍ معاً . لقد حاولت استبطان السحر العربي ومدوناته الشعبية وجاء ذلك على مستوى العبارة والسياق والمخاطبة : لا أصحو .. حتى تأتي إليَّ وتذهب عني تعبَ الدهرِ

يا مؤنس قلبي وصبيّ شبابي وتصالحني

أقسمتُ عليك بروح ساكنةٍ في الماءِ

بأن تخرج من أرضك مفتوناً بي .

كان السحرُ ينهمرُ من تداعيات مباشرة ، وربما كان نيئاً إلى الحد الذي يشبه تقريباً ما تحمله تعاويذ السحر الشعبي :

قُلْ بالذي انزل هذا الكتاب

مكملاً يا سيد الأحباب

ماذا تقول الروحُ في سرِّها

والقلقُ الفاتن فوق الجسد الوثّاب ... الخ

ولنقل هنا أن جمل السحر تحاول أن تفسح لها مكاناً في النسيج الشعري للقصيدة الحديثة فتخصبه مرةً وتجعلهُ مشحوناً مرة أخرى وهكذا ، لقد كان السحر
يمرُّ عبر اللغة اكثر من مروره عبر الفعل وكان ذلك يجد مكانا مناسباً له في أدعية وتعاويذ أقرب إلى العشق والعاطفة منها إلى شيء آخر .

وتعملُ طقوس السحر مع لغة التميمة السحرية في إذكاء الجو السحريّ مثل حرق الآس وانتشار الطواطم في الهواء من الجبّة وتبرج البروج ورشّ ماء الندى ورش ماء الذهب على الشفتين وتنوع ظهور أغصان السحر والحصى والقلم والسدر والزعفران ...

يتراصف الطقس مع المتن ليشكلَّ جوا من قوى السحر السارية التي تريد أن تضع نفسها في الموقع المناظر للشعر ، الشعر هنا يتلاقح بالسحر .

يسأل الشاعر هل رشَّ الهدهدُ ماءَ الذهبِ على الشفتين ليصير الشعر كلاماً عجباً ويوقظ نفسه ويرقي بدمه الخلق المدهشة ، ويصرخ : ها أنت جميل في كلماتي وجميل بين يديَّ ، ويرينا طواويس مسخرة لجنونه وجبالا طائعة لخطاه ومنارات المرو في مملكته ترحل في الليل .

وبقوة السحر وبقوة الإيروس يسأل الشاعر : قرِّب نفسك مني واطرد ما يشغل بالك عني واسع إليّ ، فلقد ذهب العقل وماتت أنوار السبحان ويبس الورد على شفتي وفوق خدودي.يتُّخذ السحرُ من الإيروس الحسي وسيلة وغاية في الوقت نفسه .. ويتحدان معاً في شبكةٍ ماديةٍ أقرب ما تكون إلى الكيمياء ، كأن السحر يلعب دور الطاقة والحس يلعب دور المادة وهكذا يحاول السحر أن يحرك الحسَّ ، الطاقة تحرك المادة ، وهذا يحيلنا إلى مواضبة مبكرة لأن يكون السحر قرين الجنس والجسد ، ولا فرق هنا أن يكون السحر تشبيهياً أو اتصالياً أو أسود أو أبيض طالما أن طاقة اللغة عبر إثارة الحواس تشتغل بقوة .

وتظهر الأسطورة في هذه المجموعة كغصنٍ ثانٍ وبشكل خاص في كتاب دلمون ويحاول الشاعر أن يحفر في الطبقات الرافدينية لذاته ، فيمسك بدلمون رمز الفردوس السومري ويحوله إلى مثل أعلى يحاول العودة إليه أو الصعود به أمام الجدب والصحراء الخاوية التي هو فيها .

تتفتح هذي الآماد الحجرية عن شجر البرقِ فيشرق في الأعماقِ بشير الروح وتسقط أوراق المعرفة وسحر العالم من شجرات الدنيا وأرى الغمر يغطي الأرضَ وروحُ الله يرفِّ على الماء ، ماذا يحملُ هذا الوعدُ ؟ افتح أسرار النفس وأسرار الماضي في دلمون وأطوي في الأرض الخطوات إلى مقبرةٍ سالفةٍ وتلال زرقاء .

وتتجذر دلمون في نفس الشاعر فيعبر عن مثاليته فيها ويعتبرها الأمل القادم ولكننا نلمح انكسار هذا الحلم معبَّرا عنه بنوع من اليأس وضيق المدى والفضاء والزمان العنيد .

ويحاول الشاعر استنطاق رموز مثولوجية عربية قديمة مثل إيل وعثتر ولاهة وهي تنبعث من الصحراء ومن ماضٍ مازال التراب ينهال عليه . ويجد في طسم القبيلة العربية البائدة هدياً لخطاه التائهة الباحثة في حاضرٍ عربيٍّ مظلمٍ فيبحث عنها وعن أهلها ويعيش معهم وينغمر في حياتهم هارباً من حاضره العربي المجدب .

وتقوم طسمٌ من مراقدها وطسمُ وحيدة في الرمل متعبة العيون ، يا ذا الشرى أغفت على روحي السحابة ومضى على أهلي الزمان وتركتني وحدي بلا خمرٍ ولا نارٍ ، فهب لي من قطيعك ناقة في هذه الصحراء تحملني لأهلي وتقود لي خطوي وتمنحني الأمان .

ومثلما تحول السحرُ إلى طاقةٍ لتحريك الحياة الإيروسية تحولت الأسطورة إلى طاقة لتحريك الحياة الروحية . واتخذت لغة السحر من ناحية ولغة الأسطورة من ناحية أخرى دوافع شحن للغة الشعر بل اندست في نسيجه وحاولت تبديل موجهاته المعاصرة .

ليس هناك من تقنيات كولاجية للسحر والأسطورة بل هناك بثٌّ لشحنتهما داخل لغة الشعر وصوره واستعاراته .. ولم يتعلق الأمر بمفرداتهما بل بقواهما وهي تتوقد في النصوص .

لكنه بمقابل ذلك ، يجب الاعتراف أن النبرة الرومانسية والعاطفية التي اتسمت بها القصائد أضاعت الكثير من إمكانيات هذه الحقول في إحداث تأثيرات أقوى وأكثر جدية وستحاول المجاميع القادمة إكمالها .

في أناشيد إسرافيل تترسُّخ وتنضجُ القصائد السحرية والإيروسية حتى أنها تصهر في داخلها كل تجربة الشاعر ورؤاه ومشاعره وعواطفه
ويسلِّم الشاعر عقله للفنون المغمورة .. فنون السحر والتعاويذ والرقى والأدعية والنيرنجات والزايرجة والطلسمات والميامر والإيقونات .. هذه الفنون التي انطوت في هامش أو قاع المتن الروحي والفكري العربي ورسبَّت معها واحدة من أكثر التجارب غنى وخصباً ، فقد حاول الشاعر استعادة هذه الفنون المغمورة وأعاد تشكيلها وجعلها هيكلاً وشكلاً لتجربته الجديدة ، لقد حاول أن يفتتح بها طرقاً هاربة أو قصَّية . ونبش بها القوى الحسية والنفسية الفائقة (الباراسايكولوجية) التي نمت فيه . لقد كان استنطاق هذه الحواس عن طريق آليات السحر القديم أمراً ينطوي على الكثير من النتائج الغريبة .

كما حاول الشاعر في هذه المجموعة أن يفتح تجربته على مصراعيها فهناك تمجيد الحسية والشهوية والخمرية واللذّة والجسد ، وقد حاول الشاعر أن يجعل هذه المضامين الإيروسية الموضوع الرئيسي في هذه المجموعة . وهنا لابد من استحضار تجربته البكر في كتاب السيمياء (في يقظة دلمون) وكيف أنها طغت على هذه المجموعة بأكملها وكيف استخدمت طاقة السحر بأقصاها لتهييج وتنشيط مادة الجسد والجنس .

تتردد في إغواءات شمس اللّذة صورة الفتى الراهب السكران المضمّخ بالندى وسيل الأنوثة وهو يرحل تحت إيوانات الجسد وتجذبه شمس اللذّة إلى الأقاصي وترتخي أعنِّة خيوله لتسحبه إلى أرض بعيدةٍ يفرد فيه صولته لمحاسن ذبلت ويشعل ميسمه فيغطيه بخار الخمر ويغطي نار ريحانه ويبل نحره وأطرافه .. ولكنه يصحو ولا ينسى مهمته كشاعرٍ منتدبٍ لردمِ انشقاقٍ سافرٍ في الخلقِ والتكفير عن ذنب آدمي هو فرقة الفردوس .. وهكذا تؤدي الرحلة التي
زفَّتها أجراس السحر نحو الفردوس الجسدي إلى جحيم روحي أيضا وهو ما يختلط على الشاعر ويكون بمثابة شواش وهيولى .

خاتمٌ لوُّحت الشمس به نحوي فيممت عيوني ، واستعدتُ الجرّة الفخار واسُّاقط حولي ورق النجمِ فهيأت غصوني أفتح الجنَّة تلو الجنِّة ، انهالت شموسٌ في صحوني وارتوى نسغي وطاردتُ الفضاءْ ، محكماً بالحلم هيجتُ نساءً بنساء، وسقاني الغيم خمراً بعد ماء . حلمي أن أحمل الأرضَ وأمضي فوق طبعٍ ليِّن أفلقُ هامات الهواء ، حلمي الآتي وقرآني سطورٌ خفقت فوق محياي وغنّتها الظباء .

لكن

الشاعر يخلط كل هذه الفتوحات السحرية والإيروسية والروحية في مجال واحد هو الشعر لا لكي يصل إلى هدفٍ معين .. بل لكي يبقى في مجال الشعر متوتراً مخضباً فاتحاً عينيه على أقصى انفتاحات الجمال .

إنني أفلقُ صبحاً وأنادي الديكهْ ، لغدٍ أجمل من أمسٍ وأبني مملكهْ ، إنني أرصفُ أحلاماً وأشعاراً وأجتاحُ سماءً منهكهْ ، فأستدر ياوقتُ وأسمعني وزد نبعي وغُذَّ المعركهْ .

وهكذا يظل الشاعر يتقلب بين رائحة الأنثى ومخمل الورد وبخار الخمر ولسع الجسد وريحانه وخاتم النار والياقوت والجمر ودموعه الفرحة بهذا البذخ الحسيَّ .. وعادة ما يختار ساعة الفجر امتدادا مع ليل يمطر باللذة ويوم يتقدم فيها وليس هناك سوى حلم واحد يؤرقه هو أن يمضي إلى أعالي بركة الشمس ليحني مع الشعراء والعشاق بدم الشمس الأيادي ويبنون معاً قلعة العشاق في الضوءِ ويصبغوها ببحّات الدموع وبقول ساحر وآفاق تصلي للشموع .

أما في رُقى المحبة والتهييج فيواصل الشاعر ترقية عشقه برُقى السحر لصيانة جسده وروحه وبثِّ الإيروسية في نفسهما الصاعد والنازل فهو يتوسل بحقِّ نجمةِ المسا وحقِّ آية النسا وحقِّ ما خلّفه الورد على الشفاه والنور على العيون والحنين والأسى وحقِّ ثديين يحطان على عشبٍ فيهتزُ ويصبان إلى نبعٍ فيرتجُّ به الماءُ أن تأتي امرأته لتقيم في شبابه قمراً وتفكَّ في يبابه نهراً هادراً وتستلقي على غصن سحابه وتملك الأشياء .

هذه الرُقى السحرية تتوسل الجسد وتتوسل الروح وتسوِّرهما بالحب حتى يبدو لنا المشهد طقسيا وتتصاعد معه أشجار ٭ لا يمكن فصل جذورها السحرية عن ساقها الإيروسي وعن ثمارها الشعرية ويعمد الشاعر لتزيين هذه الغابة بإيقاعات جديدة وتفعيلات غريبة مثل تفعيلات البند والدوبيت وتنويعات البحر السريع ليمعن في إضفاء جوٍّ لذائذي وقرعٍ حسيّ ، سبحان من هيّج نار الورد في خدِّك واستلقى على الشهدِ وسوَّاك رقيقا عذباً , شمسُ تناديك
وخدَّام يشيلون لك ، الدنيا وترشق ايقاعات البند هذا الجو الباذخ لتزيده التماعاً . هوى الليلُ على الأغصان وانشقت لنا الأقداحُ فاجتحنا نجوم الليل والأنثى بماء الليلِ ترمينا فهيّجنا أغانينا , نشدّ الليل نُذكي نارنا نطعمها خمراً وطيِّنا أيادينا على صدر ذوى من شهقةٍ حرّى , على قدٍّ لهيبـيٍّ إذا ما دار أو غنّى سيهتزّ بساقين على تلّين عفيفين .....

ويستدعي الشاعر ملاكه إسرافيل ليساعده في إيقاظ النفوس الميتة بل وليزيد من قوة الشاعر وبسالته في المضيّ إلى أهدافه المعنية بالجمال والزهو والنشاط الحسيّ والروحيّ . ويستخدم الشاعر لغة السحر والرقى في مناداته لإسرافيل .

عجِّل يا ملك النور وهيِّج نفسي ودمي , وتلقّف بعصاك الديجور وسخُّر قدمي , الماء يبلُّ قلاعَ الروحِ ويضربُ فُلكاً ساكنةً فيَّ ويغمرها بالزنبق والأصداف وآس الماء .. أقسمت عليكَ توكّل باسم نبيٍّ يأسرني منذُ ولدتُ وصوتٍ يسحرني منذ أفقت ونور يغمرني منذ رأيت .. توكّل وانفخ بعصاك وغنِّ الروحَ وحرِّك في أعلاها النار وفي أسفلها الجمر ومرَّ بها في يمِّ الظلمات وذكّرها بالماضين وبالأيام مجمَّعة في كفِّ نبيٍّ ألقِ الروحِ , انفخ بعصاكَ وغنِّ لنا . وهكذا يتحول إسرافيل من ملاكٍ ماردٍ ينفخُ بالصورِ إلى شاعرٍ رقيقٍ ينفخُ بالناي ويقرأ الشعر سبيلاً لممارسة حياةٍ أشد رقياً ورفعة ...

البرقُ يشقِّقُ كفنَ الأجدادِ ويمسك الشاعر وردته منطلقاً إلى الآفاق
ويلتف
٭ على غصنه الناس , ويجلو الأرض بالشعر الهديل وتنحني الأغصان على نهره ويستجيب له طاووس مَلَكْ وأسماء الخدام ..

وهكذا يشقُّ الشاعر وسط زحام التاريخ والحاضر حشود الناس ليقف مزنَّراً بالجمال وملامساً الهياكل العليا صافي العيون وتعيد الرُقى والتعاويذ والحروز قوة السحر إليه فيقرأ ويلفَّ البرد بالجسد

النحيل ويقرأ ويغطي الروح بالأوراق ويكتب أسطراً سوراً ويقرأ ويعلّم كلام الزمرة العليا ويقرأ ويقرأ حتى تتكشف له الحقائق الخفية فيسكر نشواناً بها ويلتفّ بالأقداح ويشقُّ الثوب نصفين ويرقى وردة فوق كؤوس لعبت فيه ويحني رأسه للأمسِ ويلتاع ويشق الحرث والماء بأنفاق صحاريه .

وتحفز الرُقى هاجس القوة الداخلية فيه فتنعقد الغيومُ في بنانه ويلكز النجومَ ظبياً نافراً ورايةً محاربةً ، ويطلُّ على فمه فيجده غائرا في جرحٍ قديم عميق لكنه يتوعد ثبات الأشياء وفيزيائها الراكدة بالسحر :

قلتُ أقرأوا سحراً على سحرٍ

وشدُّوا قصبا بالنجمِ

رتّل يا مغني في الخرابِ

قلت احملوا الأسرار من كتبي

وفكّوا الزِّبرَ ينساب السحاب .

وهكذا تتوالى كلمات الساحر وأفعاله لينال ما يريد فيستعمل في إحدى رقاه (الوحا) ليرفع روحه من ترابٍ سافلٍ ويتخلص ممن حوله الذين يظهرون مثل السكاكين .

ويظل الشاعرُ الساحر مدلهمًّا برماً يحاول دفع سفينته باتجاه الخلاص لكنه لا ينال ذلك الخلاص .. فينهال التراب على قلبه ويخاطب الجموع الخاملة والذين يرونه كطفلٍ مخبولٍ وثنيٍّ يلهو بالكلمات ويلعب بالتيجان ويحيي أحلاماً بائدةً ومسلاتٍ زائلةٍ ورُقى .

لكنه كان يسهر قبالة مجرّة درب التبانّة ليمسك روحه ويرى أنه في آخر قافلة الكهّان يقلّبُ نجماً في الليل ويسكر فجراً ويلوّح للأيام ويمسك نار الخلق ويلعن أياماً ضاعت منه سدىً ويتربص بالموت .. أما الناس فنيام .

ومثلما يتبتل الشاعر مرةً ويتهتك مرة أخرى يعود في الطرازات الماجدية إلى إيروس الخمر والجسد مانحاً إياه السطوة بعد أن ذبلت عيونه من التأمل .. وليكن نبضك شمساً في الأعالي وامنح العمر إلى زمرةِ فتيانٍ وخمّارين منسيين في بغداد واستلق شهياً في النبالِ .

ويهيئ الورد لسليل الورد والكأس العذب ويغني ويبكي على صوت الرحى ويتبع الكأس التي تُشرق في الليل ويطلقُ طيوره من أسر ليالي النار والوجد ومن ليل جذوره ويستجيب لنداء صياح الديك في الفجر لا لكي ينام أو يصحو بل لكي يسكر ويحضن الأرواح الكبرى .

وهكذا يسدر الشاعر في مجونه ويحجب الناس لكأسٍ في يديه ترقص فيها البوادي والسفوح وتفور فيها الشمس وتضوع بعطر يفوح .

أما إيروس الجسد فيشبعه مع إلهة الفجر السمراء التي تجعله يخلع خاتمه ويرمي به في النار ويترك وراءه أوراق الشاعر الصفراء ولياليه الشاحبة فيغوص في جسدها المبتل بالعتمات والعرق

الشهيّ وعنفوان السيل والتيجان والزهر الذي يحنِّي السرَّة .. وينتشي وهو يكسر جراره فجرا ويغازل القدمين ويهبط في براري الجذوة السكرى ويصيح من بلوى : حنانك يا حمام .

وتمضي الإيروسية متصاعدة مع الخلاسية بمخملها الأسود وأكتافها العارية فيلمحها مبلولة بالماء تلملمُ زنبقها وتدير بطاس زمردها الخمر وتركض نحوه فيصيح على مخملها وقلائدها ومعاولها ويصيح على ثديين رخاميين وثغرٍ كالتينةِ ومنارات ترفلُ بالرايات ، وتتحول الشهوة إلى عنوانٍ صارخ في هذه القصيدة حيث أبواق جنونٍ في الشهوةِ ، والشهوةُ كرمٌ في الأقداح وحمرةُ أطرافٍ وخدودٍ وتورُّد أخدودٌ وشموسٌ تنضح طلعاً فوقَ القمم والشهوة فوق خواني وأوانيّ وتحت قميصي وعلى علمي .

يلجأ الشاعرُ إلى فتح القصيدة أمام أسلوبية الكتب المقدسة فيبدأُ بمحاولة الاستفادة من القرآن الكريم في ذكر الأجداد وكيف أنهم احتفلوا بقدومه فيدقُّ على باب السنوات ويهبط عند تخوم الأرضِ ويمسك أحجاراً نقشت بالأسماءِ وزُّينها الزهر بلونِ الغسقِ ويحيي أجداداً نادوا الله وغنوا للأيام وغابوا .. ويستعملُ الشاعرُ طقوس وأقوال السحر حين يترقبُ وقت ظهور الهلال ويخطّ على رقِّ غزالٍ أبيض كلمات خضراء ويمحوها بالماء ويغسل وجهَه فيه ويوشم من ترغبه النفس ويحضنه بفراشه وينام ليصحو تحت مباخر نارٍ ليِّنة وحصىً ولبانٍ ثم يتلو تعزيمته السحرية (أقسمتُ بأن يحضر في رمشةِ عين ويحييني ، أقسمتُ عليكم يا أرواح ويا سكان الوديان وخدُّام الأسماء ، أقسمت بحق الكلمات المكتوبة فوق سرادق عرش الله .... الخ)

وتستمرُ النيرنجات وأعمال الساحر العجائبية من غناء الترتيل الحسن إلى دعوة الأفلاك تركض صوبه إلى توسّل أدوناي واقتفاء مسرى الشمس واستنطاق الأوفاق السحرية ومحاولة صيد الأزل بالشعر حتى الموت وبكاء العصافير وغناء الوعول الشاردة عليه .

والنيرنجات والزايرجة فنون سحرية عربية قديمة تستعمل الأولى لربط أهداف الساحر أما الثانية فتستعمل لكشف طالع وأحوال الناس والشعوب والملوك عن طريق معادلات رياضية وحروفية معقدة .

ويحاول الشاعر الاستفادة من هذه العلوم السحرية القديمة لتحريك نصوصه وشحنها وإخصابها بمادة فائقة تحقق طرازاً جديداً من الشعر ، وتختلط أسلوبية البيان القرآني مع بلاغة السحر ويتهدج صوت مجلجل يشتبك سراً مع اللغةِ العصية ليفتتح أرضاً محالاً باللفظ وبالزبر القديمة وتَضرب الآفاق بالكلمات لينبثق الهلال وتكون مجاميع العشاق قد خرجت وعبرت ظلام الأفقِ واشتعلت لها حقبٌ ومشتبكٌ أتون ، وتمرغت في طينها شوقاً ورجَّت كوكبا تمراً وصاحت خوف ماحيةٍ تكون ليلاً تهدهدُ أو دماً نسراً وتطلقهُ انفلاقاً مخصباً يعلو العيون .

ويعود الشاعر إلى كنزه المفضل إلى هرمس وطلاسمه (وسيكون هذا الكنز هو النبع السريّ لعمله القادم في المجلد الرابع _ خزائيل _) وترِّفُ طيور الغنوصية والهرمسية عليه فيكتشف أوجارها وأعشاشها الخفّية لكه يمسِّها هنا مسَّا خفيفاً في طلسم الإدريس (الذي هو هرمس) فيمجِّد الشرق والباطن والحوريات السرّيات قرب ينابيع اللذّة أو المعرفة (لا فرق) فيجد مصرعه هناك ليقوم بعدها ويشمّ رائحة الآلهة ويكتشف النار من جديد ويرتِّل ترتيلةً غنوصيةً يشير فيها من قريب أو بعيد إلى نقوش العماء والجوهر الغامض والألواح وإلى النبي يحيى الذي له مائدة من عسل البرِّ وإلى الصحف الأولى وإيوان السماء . ويضربُ الشاعرُ هنا وهناك فيجد نفسه مرةً رقماً بين قلاع الزمن الغابر

والعصور أو طفلاً يكتب على باب الخشب طالعه المستمد من حلم رائق يفتك به صغيراً (حلم الشعر والنساء) أو يكتشف الذهب الذي يسري في دمه .... الخ .

لكنّ الشاعر وهو يواجه الحروب والموت أمام دفقه المليء بالحب والحياة يقف مليًّا ليمجّد الشهداء المحاربين المنحدرين صوب الفردوس (الجنّة) بلغة لا تختلف عن اللغة السابقة فهي تحمل الأسلوب القرآني وكأنها عزاءٌ للمحارب وأناشيده التي لا تمجد الحرب بل تمجد الشهادة وتدين الموغلين في الحروب وخرابها فتحكي عن العراق وعن العائدين إلى الجنة والشهداء وزهرة الجنة وبيروت التي كانت تتمرغ بدمها آنذاك بسبب الحرب أيضاً .

ومن ينابيع العشق ذاتها يصعد الشاعر باتجاه القدّيسة ريًّا بعيدا عن الشهوات والجسد ليجرب نمطاً من الحبِّ الصوفي في وهلةٍ هي أشبه باستراحة العاشق الحسيِّ فالله يرعى الصبيةَ المتطيبين بناره ، والله يمنحنا الجرار ويرِّفُ فوق عيوننا ويحيطنا بالسعد والسلوى ويدخلنا جنانَه ، والله يمنحنا حنانهُ من طاقِ عزَّته ومن نُعماه ، من فيضِ الفضا في راحتيه وسُنَّةٍ تعلو بنانَهْ ..
لكنَّ الشاعر سرعان ما يعود إلى الأنثى التي تشهر رياحينها وجسدها ومعاولَها
وتجرُّ نبالها وقتلاها وتصيح لتشعل من جديد إيروسية الجسد فيرتوي من نبعها الفائر محموما ويكسو جسدَه بالعسل الناضح من ميسمها الناضحِ وينحني للثدي ويتضرع لفراشاته ويشعر بسياط حوذيِّه يجلده وتتحول يده صخراً بينما هو يصحو كالجدي المستنفر .

وتعود الرُقى لتجعل الشاعر يهيم في حقوله ورموزه الإيروسية والسحرية ويختار بحوراً غريبةً على الذائقة العربية مثل الدوبيت والبند الفارسية البيئة لينعش بها نصوصه . ثم يفيقُ الشاعر وسط عالمه الحقيقي بعد أن حلَّق طويلا في سماه وغاص في طبقاته الباطنية الرمزية ليجد جسده منهوشاً من قبل الآخرين وأن الحياةَ لا تمنحه ما يشاء من الحرية التي مارسها فيتعجب كيف أنه حارس أبواب الجمال من جهةٍ لكنه يزداد فقراً وتتهدّ على بيته الطلول ويعرى ويجوع .. لكنه يصرّ على أن هذا هو قدره وعليه أن يواصل رغم أن هذه العتبة ستشكل مادة الجدل الشعري في مجاميعه القادمة وذلك الاحتدام الصارخ بين ما يريد كشاعر وما هو فيه كإنسان . وهكذا يقترب من النهاية ليمجّد في آخر هذه المجموعة الشباب المشتعل بالحبّ والحرية والمجون ولا يخفي عذابه الداخلي وافتتانه بما هو أبعد من السحر والجسد ولذلك فانه يطرح نموذجين للشاعر الذي لم يعرف رغم أنه خاض في هذه الحقول الشديدة الإغواء ، والشاعر الذي عرف الحقيقة التي تكشف له عن سرٍّ مغلق يحاول اختراقه لكنه يُذهل عندما يلمحه ويكفُّ عن النطق ويمزق بشعره الذي كتبه ويسد باب بيته ويشعل النارَ ليحترق كلَّ شيء .. وربما الشاعر نفسه .

وهكذا ينتهي الشاعر مع إسرافيل إلى هذه النهاية مثلما انتهى مع دلمون إلى نهاية شبيهةٍ يائساً ممزقاً

محترقاً .. هكذا إذن تقودنا الـمُثل إلى حتفنا أما الحياة فتمنحنا كلّ شيء عبر حواسنا وعبر كشفنا

السحريّ لعجائبها ..

في المجموعة الشعرية الثالثة الياقوتات نكون أمام تجربة شعرية ، لا تتكرر أبداً عند الشاعر أو عند غيره ، وتكمن فرادة هذه التجربة في شكلها الإيقاعي بالدرجة الأساس والذي يستدعي نمطاً أسلوبياً وبلاغياً يتناسب مع ذلك الشكل الإيقاعي الخاص .

الياقوتات خمس قصائد منظومة على طريقة البند وهو مزيج من الرَمل والهزج ، وقد شاع البند في بيئات عراقية خاصة مثل النجف في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ولم يستعمل كقصائد شعرية بل كرسائل أو مقطوعات احتفالية تكرر ذات الأغراض الشعرية القديمة في المديح والغزل والهجاء وغيرها، وتكمن فرادة البند في ذلك الإيقاع المتماوج الذي يسمح بالخروج من الرمل والدخول إلى الهزج دون كسرٍ عروضيٍّ وهو يعطي بذلك بنية عروضية هجينة لكنها في غاية الجاذبية .

لقد كان عليّ ، لكي أخوض في تجربة استعمال البند في الشعر الحديث ، أن أغسل عن البند أغراضه التقليدية وأن أنقيَّه من شكلياته البلاغية الطاغية عليه قديما وأن أعيد تفعيل موسيقاه وأسلوبه في فضاءٍ شعريٍّ حديث شرط أن أحتفظ بطزاجته وأن أُبقي على براءة وعفوية وانسيابية شكله ، وكانت المهمة الأكبر هي وضعه في مضمون جديد .

لم يكن أختياري للبند عرضياً بل كان مقصوداً لأسباب كثيرة لعل أهمها هو جرسه الموسيقي الأخّاذ ، ثمّ لأنه نمط من الفنون الشعرية التي
خمَّرته العصور العربية الوسطى تحت ظروف خاصة وغامضة وقد كنت ومازلت مسحوراً بهذه الفترة التي
أظن
ـًّ أن كنوزها الروحية والأدبية لم تستخرج بعد ، فهي مرحلة ظلام سياسي ولكنها تحمل في داخلها أنواعا وأجناساً أدبية وفنية وفكرية نادرة لا تظهر في عصور أخرى ، ولذلك كان تصيّدي للبند (وقبله الدوبيت) من هذا المنطلق أولاً .

في الياقوتة الأولى يصادفنا أولاً مشهد ليلةٍ حسِّية باذخة حيث تهرق جرار الخمر من حيض دم الظلمة في ساقية الفجر ، ويُسقى الساهرون وزحل الذي يدمع من كيد ، ثم يظهر خطاب الشاعر الإيروسي حيث يلوم صاحبه الذي غادر بحور الجسد المهتاج وأبدله صخراً أصماً جلفاً وينهره : فما خطبكَ لا يرمزُ فيكَ الفصُّ أو يخطفكَ الضدُّ ولا مبسم جرح الماءِ وهو الفاتنُ الثديّ اللطيف الناتئ الغديّ رهط المخمل الناريِّ في الثغر . ثم يدعوه للعيش
الخلاسي
ّ
وللغزو وللرحلة صوب الغامض المجهول ، وكأنه يخاطب نفسه من خلاله وهكذا يختلط الشاعر مع صاحبه ويبدو الكلام موجهاً لشخص واحد وكأنه يحرّض على العيش في
لّذات الحياة وجنونها الفاتن من جهة وعلى العيش الروحي الذي يحمل الشاعر إلى الجمال الأبدي ، للماء .. لهذا الموج أحني جبهتي المؤمنة الحرَّى له للرجفة الأولى التي تزحف منذ الأزلِ الأول .. للغيم الذي حامَ على أولِ خلقِ الله ، تلك الموجة الأولى التي تنطقُ ذات الجملة السريّة الغامضة الأولى ويظهر ضوء اليواقيت إذا ما شققت كالبرعم الصاحي حيث يباهل الشاعر صباه الواثب .

وتمثل الياقوتة الأولى خليطاً من العالمين الحسيّ والروحيّ للشاعر يتنقل بينهما دون عناء وكأنه لا يبالي بتناقضهما الظاهري أو أنه وصل إلى المستوى الضمني الذي تتحد النقائض فيه . إن الشاعر يناور في اتجاهات إيروسية وسحرية ولوغوسية وظاهرية وباطنية في محاولة لمسك الحقيقة الشاردة التي يبحث عنها ، وفي حومة هذا البحث يسمع اسمه ينادى على ساحل بحر من ماضٍ بعيد فيتتبع الصوت ويصل إلى خالقه ، ويُعرَّى لمرأى الروح ويوقف الندى والنار إجلالاً ويخاطب غيره : فمن منكم رأى البيت الخرافيّ الذي عمَّره الشاعر واستلقى به في لحظةِ الموتِ قتيلاً بين حورياته ينـزفُ أزهاراً وياقوتاً وكان الخمرُ في قربتهِ يغلي ويرتَجُّ ، ومن أسس في هيكلهِ الكون وأبقى نفسه منفصلاً مستيقظاً للنارِ ، أبقى روحه في رفعةٍ أعلى من النـزوةِ..من بحرٍ غريزيٍّ ومهجورٍ ؟

وهكذا يتحدى الشاعر الذين حوله أن يكونوا قد فعلوا ما فعل ليصل إلى ربّه وإلى الحقيقة المدفونة في الطبقات السرّية لهذا الكون .

ويعود الشاعر مرة أخرى لسهره ولياليه الباذخة التي تنتهي عادة إلى طريق الروح .. ومن تكرار هذه الأحوال يجد الشاعر نفسه مطروداً من الجنّة ومصاحباً زمرةً من القديسين المعطوبين بالتأويل والباطن والفوق ومعه الكتب الصفراء وكتب السحر فيما يكون قد غادر الحياة الجميلة التي عاشها سابقاً ، بل أنه يرى الشعر قدراً ملعوناً استدرجه إلى هذه النتيجة ويحاول العودة إلى بذخ الحياة وحسيتها لكنه لا يستطيع ويعترف بانكساره وهزيمته ويرى في شاعر صبيٍّ قادم بعده رهاناً على إكمال ما بدأه .

في <u>الياقوتة الثانية</u> يبدأ الشاعرُ من حيث انتهى في الياقوتة الأولى فبعد انسحابه وعزلته يحاول أن يتَّخذ من شاعر كبير قديم عونا على شقِّ الطريق مرة أخرى ويقع اختياره على شاعرٍ عرفاني

طالما سحره بشعره النافذ وهو (أبو العلاء المعري) الذي يشير له بصفة (شيخي الشاعر الأعمى) الذي يرى بأنه سليل الورد والأنسامِ والقرم الذي طوَّع أفلاكا وما سمّى ، إذ اختار مجرَّات له وافتتح الطينة والجرما وقال الشمس في مخِّي .

ويصبح المعري دليلاً في رحلة غنوصية

ة للشاعر داخل العوالم الخفية وكأنه مثل فرجيل لدانتي في رحلتهما إلى الجحيم والمطهر والفردوس وهو ما يشير أيضاً إلى صلة الكوميديا الإلهية برسالة الغفران وإلى أن المعري كان قد سبق دانتي في رسم طريق هذه الرحلة المهولة معتمداً على الإسراء والمعراج .

ويفاجئنا الشاعرُ بأنه يعرفُ ملامح هذه الطرق السرية ، بحكم تجاربه السابقة ، ويطلب من المعري مساعدته للذهاب إلى المنجم التحتيّ : ألقى فيه تمساحي وغصني وأناشيدي الغنوصية والخمر التي عتقَّها قبلي سريٌّون وانسابوا كما كوكب زيت في فنون العقلِ في أنغامِهِ الخمرية الجفرية الأولى لأعلو في نجيع الهدم أُحصي غسق المنفى لينشقّ رمادي وأغني قصة الموتى .

يجدُ الشاعرُ الجمال المثالي فيتبادل معه الحوار ويراه يغمرُ الطبيعة والخليقة كلُّها ، جمال غمر الدغلَ وأرخى فيضَه فوق تلالِ الليلِ أرخى شاله فوق تخومِ الأرضِ لو زيَّنها الركب وفكَّت فوقها الستر

ونامت واستراحت عندها الروح وأعلاها حنين الفتحِ للشمسِ وروّاها زلال النبع حنُّاها دم الفتنةِ واحتكَّ بها النهرُ القديم الأبعد الصافي وفي لفح الندى الغافي على مخملِ أجسادٍ طفت في عُتر الوردِ .

ويناديه شيخه الشاعر الأعمى إلى الجنّة فيذهب ، وتظهر صورته الجميلة العاشقة هناك ويصل إلى الشفرة السريّة للكون هناك ويحاول فكَّها لكنه يتذكر النفي إلى الجحيم إذا فعلها . ولذلك يختار طريق الكتابةِ الناقص أبداً حيث لا يكتمل شيء وحيث تدفع المتناقضات الشاعر إلى بعضها البعض ليظل مبلبلاً لا قرار له .

لكنه يتحسُّر على فقدانه الشفرةَ
السريِّة للكون (لوح الخلق) فيعود بسرعة ليمسك به ويصرخ أنا أول حرف فوق هذا اللوح ألقاه مدى الأيام والنجمُ الذي مازال خفَّاقا بأقصى الكون والساكنُ في الأرحامِ والهائم في البريّة الأولى ..

لكنه يلقى العقاب فيسقط خارج الفردوس يلعنه الطيرُ وتطويه الثعابين ، ويعود الشاعر مكسوراً بعد رحلةٍ حاول فيها الخلاص ووصل إلى الفردوس لكنه ارتكب ذات الخطيئة الآدمية عندما أمسك لوح الخلق (شجرة المعرفة) وطُرد من الجنة .

في <u>الياقوتة الثالثة</u> يرضى الشاعر بقدره كشاعرٍ على الأرض : لا فرحةٌ كفرحة الشاعر ، لا أبهةٌ وسطوةٌ كسطوة الشاعر ، لا إمارةٌ تشبه ما أسَّسه الشاعر ، لا كواكب ترقى ولا عناصرٌ تفورُ مثلما في قدح الشاعر .

ويعود الشاعر إلى ذات الينابيع السحرية والحسيّة التي كانت تغذيه ذات يوم . ويتذكر زمرة الشعراء المقدَّسة التي رافقته من أبناء جيله والأجيال القريبة ، سلاما أيها الصحب الندامى يا نهارَ الشعرِ يا نورَ القناديلِ ، لهم في رفرف الماءِ طيوفٌ هزِّها الشعرى بترتيل ، يشقُّون دم الليلِ ويمشون على أطراف هذي الأرضِ أشباحاً ينزُّ الورد من مشيتهم توتاً ويسبيهم صياح الديك نشواناً ويكويهم ، إذا شمِّوا على أطراف بغداد رياح الخمر هبِّوا وتساقوا .. لكن الشاعر بين أصحابه هؤلاء ينفرد بإغواء الفرس النافرة السكرى وكأنه يشير إلى تفرُّده لكنه كان يرى نفسه ميتا في لحظةٍ من لحظات الخطف أو الحلم ثم يستفيقُ ليرى أنه في رعاية الرحمن وأن الله يناديه : وحيداً صرتَ يا طفلي مذ غادرتَ فردوسي وضُيعتَ بهذي الأرض محمولاً على بحر الخطايا مثقلاً بالإثمِ متبوعاً بناقوسي ، فعدْ يا طفلي الحالمُ من منفاك واملأ وحشتي واصعد بناموسي .

وهكذا يتردد عليه نداء الفردوس الذي فقده يوم حاول معرفة ما في لوح الخلق وتجرّأ على محاولة فك الشفرة الأولى .. ويطول حوار الشاعر مع الله : وها علمتني
ياربَّ أن أنزع من روحي سكون البال والأعماق ، أن ألجم أفعاي التي تدفع بي نحو سفينٍ غارقٍ في اللّذة السوداء ، ها علمتني أن أطبع الأيقونة الطقسية الأولى بنعشي وأهيل المسكَ فوقي وأنادي أربعاً إسطقس .

ويرى الشاعر في غمرته أسئلته أرواح البشر وكأنها في يوم الحشر شبّت واستفاقت مثلما الطوق وغنّت لجمال البشر الزاهي على الأرض ولكنَّ بروقا أحرقتهم واستحالوا ندباً في صخرةٍ ذكرى ، وبذلك يصل الشاعر إلى منطقة اليأس الكاملة فبعد أن فشل في الحصول على لوح القدر ومعرفة أسرار الخلقِ ،

سقط النوع البشري كلَّه تحت البروق رمادا منثوراً ولم يعد هناك خلاص فردي أو جماعي فحتف البشرية واحدٌ ولا خلاص بالمغامرة أو الشعر .

تنتهي الياقوتات الثلاث الأولى بهذه الطريقة بعد أن بدأت بمحاولة اختراق الشاعر للزمن عن طريق نشوته وجسده .. ويشكل ثالوث الياقوتات دورة مغلقةً واحدة لمغامرة الشاعر .

في الياقوتة الرابعة يناور الشاعر بفانوسه السحري وعصاه الإيروسية في دهاليز باطنية فهو يرثي تراجع أنثاه وتحطم تمثالها وسقوط الكؤوس على الأرض وبكاء الخمر ، لماذا انتحبت سيدةُ الشرق وفاضَ الكأسُ دمعاً وتراباً ودماً يطوي وحمى تسكت الناي ؟ لماذا احتجبت سيدةُ الناي ؟ وفي مقطع آخر يتجاذبُ الحبل مع زمانه وينسب له المسرّات السريّة ، ويفتق في طبقاته اللُّذات الخاصة : كثير اللبط مطّار يزيد الأرضَ عشباً والسماءَ إستبرقاً .

ويزداد الإغواء حتى يسرق فهرسة الأرض ويخفيها بدرجٍ تحتَ كفيّه . وفرّ الورد حيران يغني تيه لذات تفلّت وانشوت في دمه واسّطرت في النجم .

وفي مقطع آخر يمثل ذروة السحريِّ في الياقوتات يجعل الشاعر من نفسه ساحرا فعلياً يضربُ مُحَّاً بالتعاويذ فيفري الكيسَ والطورُ له طيرٌ وكافٌ كاغدٌ يلقط معداناً وصوفيين رسّامين زمّارين ، هذي الأرض حنّاها وسوّاها بسيخ أحمرٍ هذّب معناها . ثم يمارس فعله السحري عن طريق الطقّ ، حيث يطقُّ الحرف بعصاه فيجري الشعرُ سيلاً والسماءُ استبرقاً تومض في الكلمةِ والروحِ ، ويطقُّ الكأس ثم الجسد وكأن الشاعر / الساحر يخبرنا عن أقنومه : الشعر والخمر والجنس . وهذا التجلي الشعري الماجي الإيروسي هو غاية ما يريده .

وتكاد الياقوتة الخامسة تسري باتجاهٍ آخر حيث يتحدث الشاعر عن بلاده التي بدأت تواجه الكوارث السياسية والعنف الداخلي , رمت بغداد في أطلسها النار , وفي تاريخها جلجل رشق البرقِ , في تاريخها صفّق طبّالون للوهم, ومن نهر دم يخفقُ من جمرِ ظلامٍ خرجَ السيّاف والصوفيُّ والشاعر وها نحنُ نخيط الجرح بالدمعِ .

كانت بغداد مقبلة على كارثة الحروب والبطش والقهر وكأن عرق دمٍ خفيٍّ بدأ ينبض في تاريخها الحديث .

مجموعة موسيقا لهدم البحر تختار من الناحية الشكلية العمل السمفوني وتتوزع على طريقته في أربع حركات كبرى . الحركة الأولى (الغضب) تمثل انهيار أحلام الشاعر في ثمانينات القرن العشرين وتحطم خياراته الجماعية وسحق مجتمعه تحت رحى العُصاب الأديولوجي والحروب والفتن . فلا يجد الشاعر سوى الغضب ليعبر عن استيائه من خراب الروح وتدمير الجمال ، ثم الوقوف بوجه البحر (الذي هو الماضي والأصول التي تغذي خراب الحاضر) ثم اختيار العزلة كحلٍ نهائي .

كم قيل أن فراشتي احترقت وأني راكضٌ بالزهرِ أتبعُ جمعَ
سريِّن احترقوا وغابوا ، وأنا المغني الأخرس ، أنفك عن رخٍّ قتيلٍ عن مشيمةِ غابة سفلى وأهذي ، وأنا رضيع مفاتن تطفو على بطن الشقائقِ ردُّني تاريخ رجعٍ شاملٍ للغمرِ قيدُّني هتاف مدائحٍ في الوردِ أو تتلى لشمس .

ويقتربُ انكسار الشاعر من وضوحه عندما يرى أن هذا التداعي يحصل بسبب حذف دور الشاعر من مجتمعه واستبداله بدور الطبّال والمدّاح : أ لأنني صنّاجة الصبح الذبيحِ
وغرُّة الشمس البعيدة ؟ أ لأنني أمسكت مرآتي وأطلقتُ الفضاءْ .. من أسرها وكسرتُ كرّات الرماد بجملتي ورضيتُ أن أنساب مثل جداولٍ فوق الرخامِ ومهرجانٌ في دمي ؟ أ لأنني غنيت أغنيتي الجديدة ورسمتُ فوقَ الورد أعلامي وفي كوبي وفوق زمرّدي ، وأنا احرِّصُ طينة الدنيا بقلبي ، وأقيم جوهرةً لشعبي فوقَ تاجِ الأرضِ أنحتُ قُبُراتي ، وأنا أقود الشمسَ وعلاً تائهاً وكذا
. أردُّ جحافل العقبان عن بيتي وأخرج من جروحي ، زهيان .. أرفع وردتي علماً وافتكُ بالقبيحِ

في قصيدة موسيقا لهدم البحر فضح لهيمنة التراث والأصول والماضي على الحاضر وتدميره ، فالبحر هو هذا الماضي الذي هو أشبه بالسديم التياميتي المالح الذي يعيق خلق كونٍ جديد .. البحرُ كان يفيضُ في المنفى وفي الكلمات ، كان البحرُ طيرَ خرافةٍ يجتاحُ غاباتنا ويعلو والبحرُ كان جماجماً
. وجماهراً وحشود متّفقين منطقة لأسر الشمسِ مجداً كاذباً ومعاولاً عمياءْ

يرحل الشاعر مع صديقه الشاعر في هذا البحر لكشف أسراره وتقليب طبقاته وكشف مستوره وفضح

أكاذيبه ثم لعزف الموسيقا التي ستفتته ، إنهما يحاربان الماضي بالموسيقا أو الفن والجمال ولا يحاربان

بأساليب أديولوجية تعسفية هي الأخرى .. وتبدأ رحلة تحدي البحر ويصادفان أهواله .. أنتَ الذي ناداك

حفريون منحنياً بنصٍّ رتبوه ورتبوك ، نادوا ورتّل جنبهم طفلان يقتتلان في القاموس كي يضعا رماد

حلولهم ولكي يردَّا عنهما شبحا قتيلاً أو يقولا قولةً في ما تداعى من رموز الكونِ في ما أقفلت من

فاتحات جموحهِ .

ولكن البحر كان أقوى منهما فيتسرب بقوةٍ إلى لغتهما ونصوصهما وتفشل محاولتهما في هدم البحر : اختصما وناما لكنَّ أرضهما جنون أبيض وسماهما ضربٌ من الجمرات من وردٍ وموسيقا لهدم
. البحرِ ، ناما وأجهز ثالثٌ فقهيَّ بينهما وأطبقت الجهات شملا على طفلين منتخبين للفوضى وهدم البحر

ويتوارى الشاعران عقاباً على محاولتهما في تحدي البحر وهدمه بالموسيقا ويحالان للظلام وتفشل
. هذه المحاولة اليائسة ويزداد الغضب ويختار الشاعرُ طريقاً آخر له

في عزلة في الكريستال يختار الشاعر العزلة بعيداً عن البحر والآخرين .. فهو يرى هنا أن الحلَّ يكمن في التفرد عندما تختلط الأوراق وتتشوه الحقائق . الشاعر في جماله الروحي الصلد .. في كريستاله البعيد عن الآخرين وقد أصبح كل الشعراء حوله في جوقات رديئة الصنع تردد هتافاً مهيناً للشعر. إذن لابد من العزلةِ تماماً فقد سقط المغني وكانت الألفاظُ قبراً للمغنين ، احتمالَ مكيدةٍ ، أو شهقةً للعقلِ في الزبد الطريِّ وفي معادنِ شفرةٍ سريةٍ أو سوطِ أنثى تشتهي سفن الرمادِ ولا تسافرُ أو تلين
. ويسوطها الغرباءُ والغرباءُ نبلٌ أبيضٌ في الشمس لا يتحركون

ويعيد الشاعر برواية حزينة سرد ذلك الماضي الممزق الذي دفعه إلى العزلة .. دلني يا ربُّ ماذا كان غير الريح تعصفُ بالترابِ وبالعظامِ وبالسنين ، وبمن أرى ؟ أ بعينِ ميْتٍ أم أرى بعيون

حفَّارين ينتحبون للماضي لأغرق في الأنين .. ياربُّ .. من أينَ انفصال مشيمةِ التاريخ عن بدني ؟ ومن أينَ الخلاصُ ؟ ومَنْ سيُصغي ؟ شمسٌ تموتُ وتنبتُ الديدانُ شمساً في عماءٍ مقفلٍ ، شمسٌ تموتُ . وتستحيلُ بقاعنا رملاً ونعسُ في الرماد حتى يقال بأننا أبناء منسيين اقتتلوا وغابوا

يتحول السحري والإيروسي هنا إلى علاقة إيروسية وسحرية بين المفردات وبين الاستعارات وبين المعاني ، تتحول الإيروسية من الجسد إلى اللغة وتصبح اللغةُ جسداً ، إخصاب المفردة يأتي من وضعها الجديد في مستوىً آخر وإخصاب الصورة يأتي من شحنتها الحسيّة . أما السحري فيتسرب هو الآخر إلى المفردات والاستعارات والجمل والصور لكن الشاعر رغم ذلك يفصح عن حقيقته دون دفائن لغوية ، ولكم نحنُّ ، ونحن أدرى ، للجنون ولكم نحنُّ لحتفنا . سكرى ولا مجدٌ لنا في الأرضِ لا بيتٌ ولا . لغةٌ نجانسُ قيحَنا فيها لنشفى ، سكرى نجرُّ فراغنا كالكلب من بارٍ لبار ، لحوارنا المقتول في فمنا

لم يعد الكريستال زينةً بل مكاناً للنفي حتى تحول صلادته دون الاتصال بالآخرين وحتى تبقى الكوميديا أو التراجيديا البشرية مرئية دون حاجب وحتى يُستقبل الضوء نقياً ، لكن الروح محطمةٌ . بعزلتها

وتشكل العرافةُ (التنبؤ) الوجه الآخر للسحر ويستعملها الشاعرُ في كشف الحاضر والمستقبل فهو يقول

في ذلك الحاضر العراقي المأساوي : يا بوحُ ..يا أمراضُ ..يا أضغاث عافيةٍ ويا رهبان يقتتلون من أجل

القداسةِ أو حراسة ماسةِ الفنِّ الرهيبةِ يا مجانين انتهت أشواطنا ولذا يرنُّ النجم في شفتي وأسمعُ ما يكسَّرُ

من فتونٍ في النهار .

ثم يرى في المستقبل مصيراً كالحاً : إني أرى شمساً تنام وطينةً تبتلُّ بالمنفى وليلاً لا يليل ، وأرى سهاماً

في عيونِ الشكلِ أُبهةٌ تُرنَّحُ أو تموت ، وكذا أرى فوجاً من الشعراءِ يُصعقُ ، قبُّرات فوقَ نهر الموتِ أو

حجراً يقوم ، فلمن تغني أيها التاريخ أو تبكي سواءٌ ، هذه الآفاقُ رملٌ ضاربٌ في العمقِ أو جثثٌ تعومْ .

في الحركة الثانية (المطر) يلجأُ الشاعر إلى المرأة من خلال همومه السابقة التي جسد

دها موت الجمال وازدياد العنف وسرقة الأحلام وانتصار الماضي والتراث على الحاضر . حيث يحمل همومه هذه ويحاول أن يدع المرأة تعينه على حملها معه .. لقد عاد الشاعر من اللوغوس إلى الإيروس ، وبدأ (المطرُ) الذي يهطل من الأنثى ليليِّن جفاف الحياة : ريثما يهدأُ هذا الشرق قُومي ، ريثما تنفطرُ الأسلحةُ الطينُ وينفضُّ غبار الدم قومي ، ريثما يتعبُ سيَّافوه أو تمضي الجياد فوق تلٍّ شاهقٍ تُلقي . بتاريخ الجياد

وبعد الدخول في العالم الأنثوي الذي يبسطُ أفرشته الحسيَّة عليه وينبض في التفاصيل تختفي الأنثى من حياته بسبب ما كان الشاعر يخاف منه فيتساءَل عن سبب اختفائها ويدعوها للعودة ريثما يهدأ هذا الشرق وتنفطرُ أسلحته الطينية وينفضُّ غبار حروبه .

ويعود في (تمام الجسد) إلى المرأة ويتقلب في طبقات جسدها وكأنه يعود لكأسه المفضل الذي ينسيه الخراب .

وفي الحركة الثالثة (اليباب) تبدأ الفجيعة تحوك شباكها فقد نهضت جوقةُ السيوفِ فارتعشَ الوردُ واستحمت فراشاتهُ بدمٍ ، ربما النهرُ مازال يمضي ربما المطرُ اشتدّ لكنَّ ماء كثيراً تلوَّن واشتعلت سحب بالدموع _ الطفلُ يزّحفُ نحو أفعىً تنام على دميته .

وهكذا يتقدم ثور الفاجعةِ في الدم حتى تفنى الطفولة ويبدأ الناس بالتساقط .. فلا تبقى سوى الأصابع تتلو قصاصَتها ولم تعد الأيادي غير التمعّن في السيوف وغير أبهةٍ محطّمة .. وتزحفُ الفاجعةُ لتحوّل الناس إلى أشباح ودَّع بعضهم بعضا وخاطوا الأنفَ علَّ جروحهم تشفى وخاطوا الحلق علّ جروحهم تشفى وخاطوها لعلهمو يبقون أو يفنون وما زالوا يخيطون .

وترثي القصائد القصيرة (لم تبق غير أصابع)خراب زمن الحروب والعسف والدمار وتكشف بعض تفاصيله ويدعو من خلال جملة سومريةٍ قديمة وردت في إحدى الأساطير (في النهر الصافي يا سوداء العينين اغتسلي) أن يغسل خراب الحروب والأسلحة والمزقَ من أجل بيوتٍ خاليةٍ من دمعٍ ودخان وشظايا ورماد .

وتتوالى قصائدُ الترددِ والخوفِ والشكِ ويتردد بين الرعاة والخمر والأوجاع والجنون فقد غدت حياته ملعباً للأشباح الضاغطة عليه .. أشباح الخراب .

وفي الحركة الأخيرة (الأفول) يتجولُ الشاعرُ في ما تركته الحروب لوطنه من خراب وينعى وطناً كان في عين طفل ينام بعد أن كانت خشيته وخوفهُ من هذا المشهد قد اتضحت في (اجرسيني أيتها الكلمة) لكنه هنا يتلمسُ بيديه نهاية الفاجعة ، رمادٌ على ماءِ بغداد أَم وردةٌ أم دفوفُ .. رمادٌ على دجلة يرشقُ خدَّ الرصافةِ والكرخ دمعاً دماً ودخانا ، رمادٌ على الجسر ينـزفُ في النهر تاريخَهُ وهواه .. ويترادف الرماد والدم في كلِّ شيء ببغداد بعد هذه الحروب وتخرج العامرية داميةً بعد أن ضُربُ ملجأُها وسقط مئات الأطفال والنساء ضحايا هذه المجزرة البشعة .

لكن الشاعر يكمل أغنيةَ الأفولِ هذه عندما يتحدث عن كل هذه التراجيديا التي بدأت بها المجموعة حين يكتب ما يشبه (القصيدة الرسالة) أو

(القصيدة المكتوب) إلى صديقه الشاعر فوزي كريم في (شاعر سرقته الخيول) ليبوح له بما لم يبح

به من خلال تذكر أيامهما السالفة في بغداد السبعينات حيث بداية الدويَّ ، سرقتك الخيولُ إذن ، لا سرج ، لا زوَّادة ، لا كأس ، أفق تسدُّ منافذه الخيولُ الهاربةْ ، أفقٌ غبارٌ لا رنين به سوى بقايا صوتكَ المطعون يقرأُ آخر الليل القصائد شاحبٌ ومقطعٌ ، ودمٌ على موائدنا .. سخامٌ .. ثمة طائرات قربنا وممزقون .

وتتعممُ صورة الخراب لتشمل الشرق كلّه .. يا صديقي لو أنك رأيت أوبئة قارتنا لصمتَّ وما قلتَ شيئاً سوى طرف سبِّابة تشيرُ إلى الشرقِ تلعنه .. ثم تبكي عليه . ماذا سوى جثثٍ ودمعٍ لا يجفُّ ؟ ماذا سوى حجرٍ من جنونٍ يصيح ؟ ماذا سوى فك الحمار يلوحُ أبيضَ رمَّدته أتونها ؟ ماذا سوى الأغصان تشهقُ : لا أحد ؟ كلبٌ هزيلٌ راح يلوي ذيلَه ، كلبٌ هزيلٌ .. آخر صورةٍ للموتِ ينبشُ قلبنا ورؤوسنا ، كلبٌ يجرُّ خرافة سوداء تنحبُ أو تشيخ ، عرباتُها تمضي بنا تعوي فنودعُ ما ادِّخرنا من جمال في السواقي ثم نصمتُ ناطرين .

وتلتقطُ التراجيديا صور شعراءٍ آخرين طوتهم السنين ، ويظهر تمثال صديقه في الكرِّادة والذي كان جدول ماء يفيضُ من لحيته ومن كتفيه مثل الإله السومري إنكي وكانت الأسماك تلعبُ في عيونه وفي حقيبته ويديه لكنه ، وهو داخل التمثال ، كان يسخر من هذا التمثال ومن هذه التحايا ويمزح مع حارس التمثال .. وتشكِّل هذه الصورة سخرية سوداء من حشود التماثيل ، التي ملأت بغداد ، بطريقة غير مباشرة ، وتنتهي القصيدة بصرخةٍ مريرة : كان يمكن أن أسلخَ حنجرتي واستبدلها ببوقٍ لكي لا أجوع ، ولكنني اختفيتُ وراء حنجرتي أدوِّن النهار والليل وهما يتلاحقان مثل قط وفأر . وتعبتُ ذات يومٍ من التدوين ، أين حنجرتي ؟ سرقوها إذن ! ، حسناً .. أين نوتاتي ومدوناتي ؟ يا إلهي .. لم أكن أكتبُ بحبرٍ .. كنتُ اكتبُ بماءٍ .

وبهذه السخريةِ المرِّة وبنصوصِ الماءِ التي لا تُرى ولا تُقرأ ولا تُؤرخ يطلقُ الشاعرُ الرصاصةَ على الشِعرِ الذي يكتب هناك : هل لابدِّ من استبدال الحنجرة ببوقٍ لكي يبقى النشيدُ عالياً ، هذهِ مهنةٌ مُرهقةْ ، وداعاً أيتها المهنة المرهقة ، وداعاً أيها الشعر .

وهكذا يهيئ الشاعر أمتعته ويخرج من بلده مكرهاً مودعاً شعره وذكرياته هرباً من الجوع واليباب والعنف والظلم .

في مجموعة خواتم الأفعى تنفتح التجربة الإيروسية على مصراعيها مخضَّبة بدمها وعذابها وكأنها مجموعة اللذَّة والألم معا حيث الألم يرافقُ اللذّة . يرحل الشاعر من بغداد إلى عمّان وهو مجذوب إلى امرأة استثنائية تبدو كما لو أنها كانت خارجة من عالم الأساطير ، امرأة تشبه الإلهات الآشوريات الفخمات المترعات بأجسادهن ومجونهن وميولهن المتطرفة . ربَّة من ربّات الحصاد والمطر تلك التي تُخصبُ الحقول وتحمي المدن ، ربَّة اللحظة الشاردة المترعة والحظ الوفير (تايكي) .. فيتقدم الشاعر

إلى بيتها يسوطه نداءٌ غامضٌ إليها ولكنه يرى في حديقة بيتها ثلاثاً من سادنات الأقدار العجائز ، ساحرات ثلاث تمسك الأولى ريشةً تقدِّر بها عمر الإنسان والثانية صحيفةً ملفوفةً ومغزلاً تقرأ فيه مصير الإنسان والثالثة تمسك كرةَ العالمِ وتقرأ خطوطها ومصائر بشرها . فينصحنه بأن لا يدخل إلى بيت هذه المرأة لأنه سيجد المتاعب الكثيرة والألم ، لكنه يسخر منهن ويرمي أغراضهن فوق سطح البيت فيطلبنَ منه أن يعيد أغراضهن إليهن لكنه يرفضُ فتهدده إحداهنّ بقطع خيط عمره بالمقصِّ إذا لم يفعل ذلك . فيرمي لهن أغراضهن ويدخل بيت المرأة

يُفاجأ أن بيتها يشبه شكل رحمٍ تالفٍ وكأس مكسور وقبضة محكمة .. وتبدو هذه الإمارات وكأنها نذيرٌ بالألم والعذاب لكنه يتوغّل في بيتها ويبحث عنها فيجدها نائمة على سريرها الجميل وتبدأ رحلةُ الإغواءِ العنيفِ بينهما ، كان بيتك المتاهة الصغرى وكان جسدُك المتاهة الكبرى وكنتُ مسجوناً في المتاهتين أتتبعُ الإشارات على الجدران ، وكنتُ كالغزال جلدي يلمعُ تحت نجومكِ وكنتِ ظلامي .

يمد صولجانه فيحول نهر أحزانها إلى فراتٍ ويرمي فيه أسماكَه ، كانت آثار الأحزان على مواعينها وفي كوؤسها ، الغيومُ على الأباريق والفناجين ، الدموعُ على سلَّم البيتِ ، عرشٌ مخٌرب عبثَ به اللصوصُ وأقواسٌ حزينةٌ في الممرات . يُخرج صايته الحمراء ويلبسها ويعزفُ على الناي فتخرج ضحكاتها من شرانقها بطيئاً ثم تصير أعنف من مارش ملائكي محتشدٍ تفقّس البيوضُ في سلاَّتها وتتنفس . ويتحول نهر أحزانك إلى أمواج غبطةٍ

يتحول جحيمها وخرابها إلى فردوس عدن فتبدأ الحياة تدبُّ في المرأة الأفعى . عدنٌ .. وأيدينا تُحيكُ الليلَ

بالشهقاتِ والشهقاتُ بالأُذنينِ , بالعينين بالوجعِ ، عدنٌ مضببَّةٌ نشقِّقها وندخلُ في مغاورها ونُشعلُها

مشاحيفاً وشمعا . لكنها تبدأُ بنفث سمومها ببطء .

يزداد الشاعرُ التهاباً في عشقه الروحي والجسدي وتزداد هي تحولاً إلى أفعى ثم تتحطم أجنحة الشاعر

وتتبدِّل صايته إلى رداء سمكيٍّ يلحقُ الأنهار ويحمل النجوم إلى رحم المياه كي تلد الكلمات والأعاجيب ،

صايته الحمراء تتبدل إلى جلد ثعبانٍ لتدخل في الأغوار وتحملُ المشهد إلى العالم الأسفل حيث الموت ،

لقد تبدّلت هي إلى أفعى .

وتتجاور لذة الحياة (الإيروس) مع لذة الموت (التانتوس) في جدلٍ صيانيّ وتهديميّ متصل حتى تبدو قصة الحب هذه مثل فسيفساء مرصوصة بالإيروسي والتانتوسي : اخرجي السيوف المتّقدة الحمراء التي كنت تطوفين بها على مُكحُّلي العيون ومسدلي الشعر على المتون ، العاشقون الفاتنون الذين عصفت بهم جُملُ الدمع في عيونهم فأحبوا وهاموا .. أخرجي عليهم سيوفَ الرمادِ . وأفزعيهم بها وأعيدي لي أنفاسي الحرّى أعيدي لي مرشَّات الطلع التي كنتُ أرشِّها بك

يتطلع الشاعر إلى جمع خرق اليوسفيين وبقايا أجنحته
المحط

مة وأضغاث الشهقات وبقع النبيذ لكي يرحل .. لكنها تتوغل في نزعتها التدميرية وكانت تساعدها
. وصيفة بائسة تترك تمغة العنكوبتة وراءها دائماً

يرى الشاعرُ أن عليه أن يحمل (خواتم الأفعى) إلى نبعٍ ويرميها هناك لكنَّ النبع يتحرك بالحياة وتحضر الأفعى فيحاورها وكأنها الأفعى الكونية الخالقة ولذلك تأتي قصيدة (حينما في الأسافل) لتلقي وإلى الأبد هذه القصة إلى الجحيم، حيث يفيق الشاعرُ من كابوسها المعتم ومن شباكِ فجرها ومن جنون ليلها الصارخ باللذّات ، وتترادف في استذكاره لها طبقات
اللذ

ة والألم وتنفتح هذه الطبقات على شحنات وبساتين إيروسية حقيقية وخادعة . يستعيد الشاعر هذه التجربة بطريقة جديدة لكي يصل إلى نهاية حاسمة . أ لأني أترعتُ كأسَكِ تماماً ! , أ لأني سقيتكِ حباً لم تذقه امرأة ! أ لأني هيَّجت رموزَ الماضي فيكِ (فضحكتِ منها) أ لأني أحرقتُ قامتي وأضأتكِ ! أ لأني دخلتُ فيكِ وتواريتُ ! أ لأني أغلقتُ شبابيكي عن سواكِ ! أ لأني أرضعتكِ وجعلتُ اللبنَ غزيراً في
! ثدييكِ

وتستمر لغة التذكّر ويصل الشاعر إلى حقيقة هذا الحبّ فلا يجد سوى كلمة (كذب) مناسبة له ويبدأ الشاعر بالانفصال النهائي ،سوف ألغي كلَّ ما يربط نعلي بترابِ الأرضِ .. فردوسٌ من الكارتون ، فردوسٌ من الباغةِ ، فردوسٌ من الغيمِ سألغي كلّ ما
خطَّته تايكي وسأرمي في مياه البحر تمثال إنانا وسأرمي ناي بارات وكتب وسأبقي كلمة واحدةً
.(كذبْ)

ويذكِّرها بأكاذيبها وتناقضاتها ويطلب منها أن تعيد له صولجان الغسق لأن إيزيس تريد هذا الصولجان الذي أخذه من الإلهة وأهداه لها وأن تعيد له شهوات فجر إنانا وفضة ماء أترغاتس وأجنحة
. ضوء ليليث وتاج قلعة تايكي وخاتم خيزل سدوري ... الخ

هكذا ينبش الشاعرُ في الطبقات الإسطورية والحسيّة ويفرغها من مادتها الماثلة ليستعيدها منها . وليلقي بقمامات ما تبقى إلى البحر الذي يهبَّ إليه هو الآخر ليغسل جسده من الأدران .. فيخرج من بيتها عاريا وحاملاً مطلقةُ في صرةٍ وتحت أقدامه أنينها وقد غدت أشبه بتيامت إلهة الكون العتيقة المليئة بالشر والقبح لكنه يخرج ويندفع للبحر وتنتفضُ البروق لتضرب تيامت وهنا نستعيد أسطورة الخليقة البابلية (عندما في الأعالي ، إينوما أليش) بشكل مختلف حيث يحاولون خلق السماء من نصفها الأعلى لكن هذا لا يحصل وتخرج نجوم سوداء ولا تنبت النباتات على نصفها الأسفل الأرضي ويتعطل صنع العالم لسنوات طويلة .. أما الشاعر فلا يظهر مثل مردوخ مقاتلاً ومنتقماً منها ، بل يخرج بسلام من هذه الحكاية تاركاً البروق والأقدار تلعب بها لكنها يقيناً كانت قد وقعت ، إلى الأبد ، في الأسافل ..

في مجموعة <u>حزيناً عند عمود السماءِ</u> يشدُّ الشاعرُ رِحاله إلى ليبيا فيلج عالماً جديداً غامضاً وغريباً عنه ، ويتخيل من شدة اضطرابه أن خيولاً ركضت خلف عرباته وأسرته لكنّ امرأة اسمها (لموع) تتلقّفه ، كانت مياه البحر الليبي مثل خمرةٍ قويةٍ وجبال الجنوب الليبي أعمدة السماء ، لقد كان أقوام الأطلس (الأتلانت) الليبيين يسمون بلادهم (عمود السماء) بسبب جبل تغوصُ قمته في الغيوم ، يبحثُ الشاعر عن عمود السماء فيجده ويتسلقه لكنه لا يجدُ أرضاً ولا سماء ، كانت الأوهام تتناسلُ وإذا به يقبع في غرفةٍ يطحنُ بها رغباته وأوهامه ، أما لموع فتبدو له أشدَّ بعدا مما كان يتصور وهكذا يدور حول عمود السماء بلا نهاية .. وتعمل دوامة الحياة المكررة هناك على جعله في ما يشبه المتاهة .

تستقبلهُ مدينة درنة في ليبيا وتضمِّد جراحه وتُشعره بالأمان لكنه مازال تحت أوجاع قديمة لا يعرف ماذا يفعل . يضع على الطاولة (رصيعة المتاهةِ) وهي لعبة متاهة في وسطها مركز يحاول اللاعب أن يُدخل قطره الزئبق في هذا المركز وهذا كله ترميز لمتاهته الجديدة ويومه المكرر .

تخرج لموع من درنة لتقوده إلى نهرها ، كيف أطلقتِ على درنة موسيقا من الورد
وزيِّنت يديها بالخواتم ، كيف ألبست ذرى درنة تيجانَكِ فاجتاح سماها الزهو وانشقَ بها نهرٌ
أسمُّيه (لموع)، سكن البحر ولم يسكن لموع ، حرَّك المرسى وساق السفن الغرقى ولم يسكن وناداني إليه . أخذت الرصيعة ووضعتها في حقيبتها ، قلتُ هاتي خريطتي ، قالت هي خريطتي وسأدفعكَ ببوصلتي إلى جبالها ووهادها وسأوصلك إلى النقطةِ .

وتبدأ رحلةُ حبٍّ غريبةٍ تنحتُ طريقها بين قليل من الحقيقة وكثير من الخيال ، حيث تظهر لموع وكأنها كائن أثيري لا تفعلُ شيئاً سوى إثارة مواجع الماضي ودفع الشاعر إلى النهوض من جديد بعد كلِّ ما حصل : أخذت من نهرها حفنةَ ماءٍ ثم رشّتْهُ على جُثةٍ تاريخي فقمتُ حيثُ قامَ الزرعُ طولي ثم قامت قبَّة من رشقات الماسِ ، قامت شهوةُ النارِ وقامت بي سيولي . أخذتْ من شعرِها العطرَ ورشّتني به . قامت خيولي

ويتّضح لهبها فوق المياه حيث لا يكون في معبدها الضوئي سوى خاتمها يسقي الشموع فيحاول أن يمدّ كفيه إلى سلّتها فلا يجد سوى كنز نجوم ويمدُّ كفيه إلى أعماقها فلا يجد سوى منجم ماس ، كانا يخلطان على الساحل يديهما وكانا يزرعان المحار والحصى ، كيمياءُ البحرِ تعلو وتشتدَّ زرقةُ المياهِ ويعلو زَبَدَهُ ، وكانت الطيورُ تصفِّقُ والمرايا تتناسلُ ، ما هذه الفتنةُ التي يتوضأُ بها وأيٍّ عذاب هذا الذي يصلّي به .

كان جوادُها يعدو من ساحلِ درنةَ إلى ساحلِ سوسةَ وهي تلمُّ في حقيبتها الجبالَ والرجالَ اللاهثين وراءَ شموعِها ، وكانت تنفجرُ ضحكاً ومرحاً وتقطفُ الطيورَ من السماءِ والعيونَ من الرجال اللاهثين .. تعالي وافتحي بيوت النساءِ اللائي رحلنَ من حياتي ، غيمةُ الموسيقا تهبطُ في سلَّتها وتنامُ ، لماذا تتقاطع الأيدي في تصافحٍ وعِراكٍ ، تأملي في صورِهنَّ وحقائبهنَّ ومكحلاتهن وقمصانهن، تأملي في ما تركنه من الخواتمِ والقلائدِ وتأملي في عرباتهنَّ الواقفةِ حتى هذا اليوم مع خيولٍ كسيرةٍ ، تعالي انظري إلى . أمشاطهن وعلب العطور والمكياج

وفي سوسة يقف الشاعر مع لموع في لحظة نهايةٍ عجيبةٍ حيث تبكي أقدامها وتغني وهي في الرملِ تغوص ، وأنا أحملُ تمثالكِ ، من خوفٍ , وأعدو ، أقلبُ الدنيا على سافِلها . أفخاذُكِ في الرملِ تغوصُ ، أضربُ الريحَ برمحٍ ويرتفع البحر وتستسلم لموع للرمل الذي يسحبها إلى الأعماق ويغوصُ . الليل في الرمل وفي الماء ولا شيء سوى كفِّ الشاعر والرمل ولا شيء سوى لمعةِ ضوءِ وسكون

هل كانت لموع واقعاً أم خيالاً .. لا أحد يستطيع معرفة ذلك ولا حتى الشاعر نفسه .. لقد بدأت أشباح النساء تظهر في حياته لا النساء أنفسهن .. تُرى هل هذه من صفات عمود السماء أيضاً .. ربما ؟

في عربات كيلو باترا يتماهى شبح / واقع المرأة مع التاريخ فتظهر كيلوباترا في صورة جديدة تحفُّ بها حياة الطوارق (التوارق) ، ويأخذ النص الشعري شكلا جديداً حيث تشكِّل الألغاز والأحاجي والأمثال التوارقية وصلات ربط بين أمواج التاريخ وأشباح الحاضر ، السماءُ والنجومُ .. شيخٌ يغربل البرقوق ، سقط البرقوق على الأرض وأنبتَ الناسَ ، ظهر الناس من صلب الأشجار وانحدروا في الوديان والجبال . ماذا يتبع هذه القصة المؤلمة للخليقة سوى العطش ، كانت الغابات تجفُّ والناس . يزدادون نحافةً

ويظهر البسولي وهم أقوام ليبية قديمة بين أهل ليبيا المعاصرين وهم أقوى مناعةً إزاء لدغ الثعابين والأفاعي . وتظهر المرأة وهي تنـزلُ في بئرٍ ليبي لتجد كيلوباترا الحقيقة ممددة في قاع البئر تمسك صولجانها وعصاها ، ويداها متصالبتان والنور يخرج من عظامها (ترميزٌ لتجاور وتواشجِ حضارتي مصر وليبيا) .

وتخلع المرأة ثيابها وتنـزل إلى البئر وكأنها روح كيلوباترا (با) التي تنتظرُ العودة إلى جسدها ، وهكذا يتم اتحاد الجسد بالروح وتخرج المرأة وكأنها كيلوباترا جديدة وتتجه بعرباتها إلى درنة .

وفي درنة تلتقي الشاعر وتدخل شوارع المدينة وشعابها وتطلي جسدها بالقرمز والنور وتظهر صورتها على صلاّية النسور الفرعونية المعلقة في أحد دكاكين درنة . ويظهر الوشم على يديها وبطنها وكتفها وقدميها وهي عادة من عادات تجميل أجزاء الجسد عند الليبيات .

خسارتي مضاعفةٌ وأنا أتّصل بأشباحَ الماضي ، لم يعد هناك ما يُغري ، حقيبة سوداء هي
كلُّ ما خرجت به من بلادي ، بكت على آلامي الطيور ، كنتُ أُخيطُ جراحاتي وأتقلّب وحيداً ليس معي
. سوى أشباح التاريخ تلعبُ و لا أستطيعُ ملاعبتها

لكن الشاعر يلعب لعبة الـ (شغرغم) التوارقية الليبية مع الناس فيخرج خارج اللعبة لأن خياله هو الذي يحركه بينما الواقع يحرك الناس . لابد من الخسارة في البلاد الغريبة ! .

يدفع الشاعر صندوقه في (شارع الظلام) وهو أحد شوارع درنة في انتظار عربات كيلوباترا ليشتري لها أدوات زينتها وذهبها لكنها لا تأتي فيركضُ في الشوارع الخالية من الحب وحول عمود السماء فتذبل مائدته وثيابه تفقد أصباغها ويصبح شعره رمادياً وتزداد دوخاته وتسقطُ كيلوباترا من عربتها بعد أن عضّها الثعبان المخبأ في سلة التين (وكأن كيلوباترا لابد أن تعود إلى مصيرها وتنفصل عن امرأة درنة إذ لا فائدة من هذا الاتحاد القسري ولا بد من نهايته) ويصرخ الشاعر عبثاً في شوارع درنة لينادي واحداً من (البسولي) الذين يعرفون دواء عضة الثعبان لكنهم كانوا قد انقرضوا جميعاً .. وينحني الشاعرُ على جسد كيلوباترا ويلفّه بعباءته ويضعهُ على العربات التي ساطتها الرياح بعيداً .. بعيداً .

وفي عمل (قبلِ تلويحة الوداع) يكتب الشاعر قصائده إلى امرأة تتماهى مع الإلهة (تانيت) التي تظهر مهمومةً ومعذبةً بسبب بحثها القديم عن
(أتلانت) أخيها وحبيبها .. الشاعر يركض وراءها وهي تركض وراء أتلانت الذي
مزّقه العطش .. لكنها لا تلتفت إلى الشاعر بل تمضي في رحلتها إلى الأقصى حيث يحاول الشاعر أن يصنع من هذه المرأة تانيت معاصرة جديدة لكنها تحب مصيرها وهو الهرب وراء شبحٍ زائل .

أحبُّ الأغاني الحزينة .. تُذكرني بكِ ، أحبُّ الألم الذي فيها .. يجعلني أتحسس المسافةَ التي بيننا ، المسافة التي صُنعت من فولاذ ، أحبُّ الأغاني الحزينة وتجعلني أُفكر بكِ ، أحبُّ بكاء المغني لأنه يشبه بكائي ، أحبُّ يأسَ المغني لأنه يجعلني استحضرُ بقوةٍ رحيلنا المحتوم .. وتندمج صورة الشاعر بصورة أتلانت عندما يتساقط ورقهما ويظهر أتلانت وهو يجرُّ شبكته الفارغة حول عمود السماء وتتساقط ثماره وتتساقط جمراته ، لحيته تطول وجدائله تتجعد على متونه ، يده الآن لا تقوى على النداء ، يده الآن في جيبٍ مثقوب ، أغنامه فرّت منه وقصبةُ تحطّم ولم يعد في رأسه سوى الوجيج .

ويتناقص الإيروس إلى أقصى حدوده في هذا العمل حتى يبدو وكأنه يختفي تحت طبقات الوعد بالأمل ، ماذا يحصل لو أنكِ ألقيتِ شالكِ ؟ ماذا يحصل لو أن خيولكِ مزقت الستار بيننا ؟ ماذا يحصل لو أن تمركِ سقط في فمي ؟ ماذا يحصل لو أن طيوركِ حملت من أنهاركِ سمكاً إلى أنهاري ؟ ماذا يحصل لو كشفتِ عن آباركِ ؟ .. قليلٌ من الضوء .. قليلٌ من المخبّأ فيه الكثير من السعادةِ لكِ .. ولي .

وتستعد اليد التي ستشير بالوداع إلى الظهور بالأماني الواعدة كسراب : يدٌ للمسِ الضوءِ على وجهكِ ، يدٌ لزرعِ الندى في روحِكِ ، يدٌ لمداعبةِ فراشاتكِ ، يدٌ لشمِّ عسلكِ ، يدٌ لكي أُتبِّل قمركِ ، يدٌ لكي أغرفَ خمركِ ، يدٌ لكي أخوضَ في حرائقكِ .. يدٌ .. يدٌ .. وتتناسل الأيدي دون جدوى لأنها مازالت في الجيوب

، لكن يد الوداع هي التي تحاول الارتفاع فلا يقوى الشاعر على رفعها وتبتعد امرأته في الآفاق .. ويظهر عمود السماء وكأنه عود ثقابٍ مقلوب قابل للإشعال في أية لحظة .

في (لوبا) تظهر امرأة تحاول إنقاذ الشاعر من حزنه فتبحث عنه ، لكنها لا تراه ، إنها تشمُّ رائحته لكنها لا تصل إليه ، ورغم أنه قريب منها يلاقيها في الشوارع والأماكن الكثيرة في درنة وهي تحملُ ناظوراً لتبحث عنه لكنه كان طريحاً قرب عمود السماء لا تقتربُ الطيورُ منه ولا يدلُّ عليه دخان ، كانت (لوبا) عاليةً وكان هو متناثراً في جحيمه ، قررت أن لا تعود إلى الأرض لكنّ منطادها هبط في باب طبرق وسدَّ الشوارع والطرقات . خاطت له قميصا وشرشفاً وخاتماً وهي تمشي على خيط بين وتدين في المدينة لكنها لم تصل إليه .. ولكنها تجمع بقاياه من الشوارع والبحر والبيوت والأزقة حتى تكتمل هيئته فتتعرف على شكله وتبحث عنه فتجده خاوياً عند عمود السماء فتحمله إلى كهفها (وهي الذئبة العاشقة) وهناك تداوي جراحه وتطببه وتمسح جسده وتجعله يفيقُ شيئاً فشيئاً ويشعر بأنه كائن بنهرين وتعود له رموزه وأساطيره التي فارقها ويفتح عينيه عليها ويعانقها ثم يطمسُ جسدهُ في عسلها ويحاول العوم لكنها تدفع به إلى الأسفل حيث يتلألأ ذهبها ويكتبان كتابهما الوحيد (المخابيل) بأصابع أقدامهما على ساحل المتوسط وعلى شوارع درنة وعلى سجادة كهفها وعلى الرملِ ومدافن الماء ، خلعنا أحذيتنا ودخلنا إلى بحر درنة ، يدي في يديك ، ودمعكِ كان غزيراً جمعته مثل عشٍّ على البحر ، وضحكك كان غزيراً جمعته مثل زهرٍ ، كنتُ على راحتيكِ أغني من وجعٍ وكان الموجُ بيننا يحصي الكلام الماجن الجميل الذي يتساقطُ في البحر . لكن الشاعر يحزمُ حقائبهُ ليَعود إلى بغداد ويضعُ فيها أبراجهما الإثني عشر التي ظهرت في كهفها ودارت أقدارهما في دائرة هذه البروج لتظل تدور حيثما ذهبا . وبذلك تكون الذئبة لوبا قد أنقذت الشاعر من دوامة عمود السماء ووضعته في دائرة البروج الجديدة منعشةً آماله بتكاثر حظوظه وطبقات تجربته الحسّية والروحية .

في مجموعة <u>السومرية أحلام .. في اتِّضاح جحيمها وفراديسها العالية</u> يحاول الشاعر أن يسلك طريقاً وعراً إلى حبيبته الأولى (أحلام) فيجد أنه لابد من معراجٍ يمرّ فيه بجحيم نزواته السالفة لكي يطهِّره هذا الجحيم بناره ، فيتخذ من (ليليث) رمزا شاملاً للمرأة المغوية التي ظهرت في أكثر من تجربةٍ في حياته.

ويبدأ القسم الأول <u>في ظهور ليليث</u> بطريق ضائع مدلهم يخترق الشاعر المجروح فيه جراحاته :
متى تداوين جروحي .. أرسلتِ حيّاتك لي ، حيّتك الملتفّة على أعمدة بيتي ، حيُّتكِ النائمةُ تحت سريري ، حيُّتكِ الواقفةُ في نافذتي ، حيُّتك التي تقمِّطني ، آه متى تأتين أنتِ . تظهر ليليث وتفرك السنابل على المياه وتصعد الجبل وحصانها يثير شهوة النبات . تتعرق رقبتها ، يتعرّق الثديان ، يتعرَّق ظهرها ومطرها ينـزل في كفوفي ويطليني . أنتِ لمحتِ خضابَ عيوني ينتشرُ ولمحتِ نحاسي يتفطَّر ولـملمتِ ثيابكِ ودثَّرتني بها ، طينكِ صارَ خبزاً لي وكان فجرٌ وكان ضمٌّ .. شملٌ واحدٌ . يظهر الجحيم وكأنه المنفى الذي يُبعده عن أحلام وهو خليطٌ من الجنيّات والحوريات والآلهة القديمة والنساء المندثرات اللائي يتنازعن قيعانه السفلى . إنه جحيم السحر الأسود واللّذات السوداء وعوالم الشبق والكحول والحنين والبكاء والخبل وجحيم إغواءات الليل والنساء والمجون .. جحيم خراب الروح وهياج الجسد في كلِّ الاتجاهات، الجحيم الذي لا تقطف منه إلاّ ثمرات الجمر .

يتوقد الشاعر في ظلام جسد ليليث وتكتب جسده كأنها تعيد تشكيله وتطلقُ فيه السماء ، كان نملُ الشمس يدبي في جسدكِ الخرافيّ والأعشاب المتراصَّة تسيل في محوركِ سيل أطلس البروق ، ضرباتٌ عبديَّة وتصادم خيولٍ في جسدكِ . وهكذا يتوغلُ الشاعرُ في أقسى رحلةٍ إيروسية داخل الجسد الأنثوي حتى توصله إلى الجمر المقدَّس وإلى تخوم العالم ويدخل غياهب التاريخ ،
حنَّاء بيزنطة على أطراف أوراقي ، راعي المياه يتأوه في دمي .. صرخاتُ الشعوبِ المقهورةِ تخرجُ في

كتاباتي ويخرجُ معها ولعي برمادِ الحضاراتِ ، طبولُ الشرق تسكتُها بنـادق الغرب .. مشهدٌ صامتٌ يفضحُ الإنسان .

ويصبح الجسد هو المحور ، فهو الذي يوصل إلى المطلق : خلطت الأقدامُ أعمارَنا بالترابِ ولم نتعب بعد من التحديقِ في المطلق ، كنتُ فلقتُ تلالَكِ بفمي لينشقَّ نرجسٌ تحت لهاتي وليتكوَّم الماس الأسودُ في الهاويةِ ولترجِّ الشمس إيقونة الفم ، وكنتُ أرشقُ الفراشاتِ المتطايرةِ من أعضائكِ ببخاري هاشَّـاً على البعيدِ ليتكوَّم في طاعتكِ ولتتشاور أقدامُكِ ، في الغاباتِ ، معَ جذورِ الشمسِ الضاربةِ في العالمِ الأسفلِ .

وتختلط ليليث الشيطانة بأناهيت الإلهة وتقع الأساطير فرائس في كمائن الجسد .. وينفتح التاريخ بورده وجنونه على المدن الحاضرة ، من ساحةِ الأندلسِ تأتي .. من شارع حيفا تأتي .. تستعمر ليليث الشوارعَ وأمام البابِ ستعثرُ على تميمتها .. صليبٌ معقوفٌ مصنوعٌ من الرصاصِ ، سلسلة أنسابكِ تنفرطُ على العتبةِ .. وتسقطُ علبةُ السجائر ، أمزجتي غيرُّتها الأهواء .. القرونُ الوسطى تشجعني على ممارسةِ الحبِ أكثر من الدخول في طبقاتِ العقائدِ .

لم تعد الكلمات تنفع . رحلةٌ في الطريقِ الغامضِ .. شمُّ العنبر وشمُّ النهود وشمُّ الفضةِ وأعلق في يدي سورةَ الرعدِ وأكتبُ على يدي الأخرى (أجهرط) وترُ القزِّ يلمعُ ونورُ اليافوخ يغلي والحديدُ يتفطرُ ، ينقلبُ خاتمي إلى أسدٍ يعضّني وينقلبُ زغبُها إلى حريرٍ والحوتُ والقمرُ في ميزاني يصعدُ من هنا وينـزلُ من هناك .. رائحةُ الفروِ تبسطني وأنا أفكُّ أزرار السماء وأفكك زناجيلَ الكواكبِ كوكباً بعدَ آخر ونقاطُ جسدِها تضيّعني ، أشيلُ صفحةَ النورِ من بشرتها وأشيلُ صفحةَ الحضرةِ والحمدِ وأشيلُ الثلج وأشيلُ طبقةَ الحمامِ وانفخُ في المسبرِ أنفخُ في كراسي الحروفِ وأحفرُ .. أرفع مصباحَها لأدخلَ في ظلامِها وأفكُّ شفتينَ وأبوس .. أتنصتُ لأنين الزمان وأتوسلُ بالعروة .. فكّي همّي .. أتوسلُ بشبّاك إيل : فرِّج عني . أغمطُ أنعطُ أنمُ أهوي وفمي حصاني .. فمي الذي أدرك به القمر وأذوق به الظلام . وبعد أن اتحدت ليليث بأناهيت (الشيطانة والإلهة) تقتربان من (أحلام) لتتحدان بها .. وهكذا تتحول العشيقة الشيطانة والعشيقة الإلهة في حوّاء .. وتستعيد المرأة صورتها السوداء والبيضاء في حلم واحد وفي أحلام الشاعر .

وفي القسم الثاني فردوس أحلام .. يكون الشاعر قد اجتاز أهوال جحيم الجسد والليل واقترب من فجر الفردوس الذي هو فردوس أحلام حيث أمواج الأغنيات الدافئة الحنون والبوح العاشق والصبر العاشق والأمل ، حيث سلام الجمال والحب والحقيقة ، إنه وضوح الروح وسحر الوله ورُقيّ اللذّة وتعاليها .. لكن

أحلام لم تكنِ موجودة في فردوسها ، لقد رحلت إلى بغداد وتركت عاشقها وحده مع الذكريات القريبة والبعيدة سعياً إلى لقاءٍ يجمعهما في المستقبل . يبدأ الشاعر بعزف قصته مع الفراشة التي حملت على أطرافها ذهب الزمان وصاحبة العيون المثلثة التي تصطدمُ خيولُ الضوءِ بخيول الظلام فيها ومع سحرها المطلق الذي يجعلها ترفع المنارات في روحه وتنشر الطيور تحت سمائه . ويستعيد بندمٍ بعض ذكرياته معها : من سيغفرُ لي ، لو أنكِ ضِعتِ ، وأنكِ ، مثل دموعي ، في غربتي ، من عذابٍ سَرحتِ ، لقد كنتِ وردي وروحي وقد كنتِ غصنَ الجمالَ أجوبُ به الكونَ أو أتَّقي به برص الآخرينْ . ويزور ينابيعها وينابيعه في العراق حيث طفولتهما وصباهما في الشطرة وكركوك وأربيل والبدعة والمحاويل ، ويتذكر أسراره القديمة لكنه يتدفأ بها ولا يبوح بها لها ويرصد ما فعلته به فقد حوّلته من جوّال إلى مغنٍ وزرعت في فمه البذور وجعلته يطوف البلدان ويغني ، وهي التي عجنته ووضعته في القمر فأخذ يتأملها من هناك ويمدُّ لها ذراعه . ويطلب من إله الحسرات المقيم معه أن يربط النهر الذي جف بقلبه بندى دجلة يجتاح دمه الطوفان : ضمِّ الضفتين ولنكن في ضفة واحدةٍ نحيا فقد طالَ الشُتات . وتظهر أحلام وكأنها

البؤرة التي تجتمع فيها نساء التاريخ والأساطير (حواء ، عشتار ، إيزيس ، مريم) وتظهر وكأنها الرابط بين أم الشاعر وابنته . وحين يرى آخر صورةٍ له معها يجد فيها الأمل والقوة والبسالة والجمال وأنه يتكئ على معمارها ولكنه حين يتذكر منظر وداعها له يشعر بأن الموت يحفر فيه : أيام فاضَ الدمعُ من أحلى العيون وبلَّ دربَ النارِ ، بلَّ قوافلاً تمضي وترجعُ صوبَ بغداد الجريحةِ ، بلَّ الناس تخرجُ من مقابرها تودِّعُ آخر الأحبابِ ينحدرون من ليل الحروبِ مطوَّحين بصمتهم وتتحول إلهة الأحلام السومرية (مامو) إلى أحلام بعد أن تمنحه التمائم ليتحول نحوها . ويتذكرها وهي تغني في عيد رأس السنة وهي تجمع المطر والجمر في كيانها وهي ترسل إغواءاتها له فالأشجار بعض ترجمات فيضها العجيب والأنهار نبضها ، ويستدعي الحمائم بهديله شجنه وشجنها فتصبح نداء الـ (ياقوقتي) رسائل له ولها . لكن حلمهما الراسخ في الحب والحرية هو الأقوى والذي يخترق كلَّ هذه المتاعب ، كم لوحُّنا لبعضنا بالوداع ؟ كم افترقنا ؟ كم حملت حقيبة سفري وأنتِ تبكين ؟ كم تسلقتُ طرقاً صعبةً ؟ كم تعبت أقدامي من السير ، ولكن حلمنا لم يفارقنا ، حلمنا بالحب والحرية لم ينطفئ . ويزداد الإصرار على أن حبهما وحريتهما وحرية بلدهما هي أساس ما تبقى من مستقبلهما .. قد نتسلق الجبال من حديد ، وقد نقطع البحار وقد نكتب رسائل الفراق والألم .. لكن حلمنا بالحب والحرية يكبر مهما طال الفراق . وهكذا يعود الشاعر إلى حبيبته الأولى التي بدأ بها في بداية هذه المجاميع فقد كانت (بوبولينا) في أول قصائد يقظة دلمون هي (أحلام) التي يكتب عنها في آخر قصائد هذه المجاميع .. فهل يريد الشاعر أن يقول لنا بأنه يحاول إقفال الدائرة أو إكمالها .. هل يريد أن يقول بأنه لابد من حبٍّ حقيقي في اليد لكي يكون تعويذة اختراق هذه الأهوال والغابات والمصاعب والرحلات التي خاضها . ربما .. وربما كانت رحلته هذه هي نوعٌ من تخصيب ذلك الحب الفطري الرومانسي وجعله حبًّا ناضجاً ممتلئاً مشحوناً متوتراً قوياً. هكذا إذن تصعد وتهبطُ قوة السحري والإيروسي وهي تمضي في رحلتها الطويلة هذه ، وهكذا تنفتح اللغة على كيمياء الجسد لينتج منها ما هو روحي فائق متصاعد وما هو حسّيٌّ طافح بالملذات العنيفة ، هكذا يظهر الجحيم متبوعاً بفردوس والفردوسُ متبوعاً بجحيم في دورة لا تنتهي ليقطر من خلال كل هذا الشعرُ ولتظهر في آفاقه كل هذه الحيوات والمصائر المتصارعة.

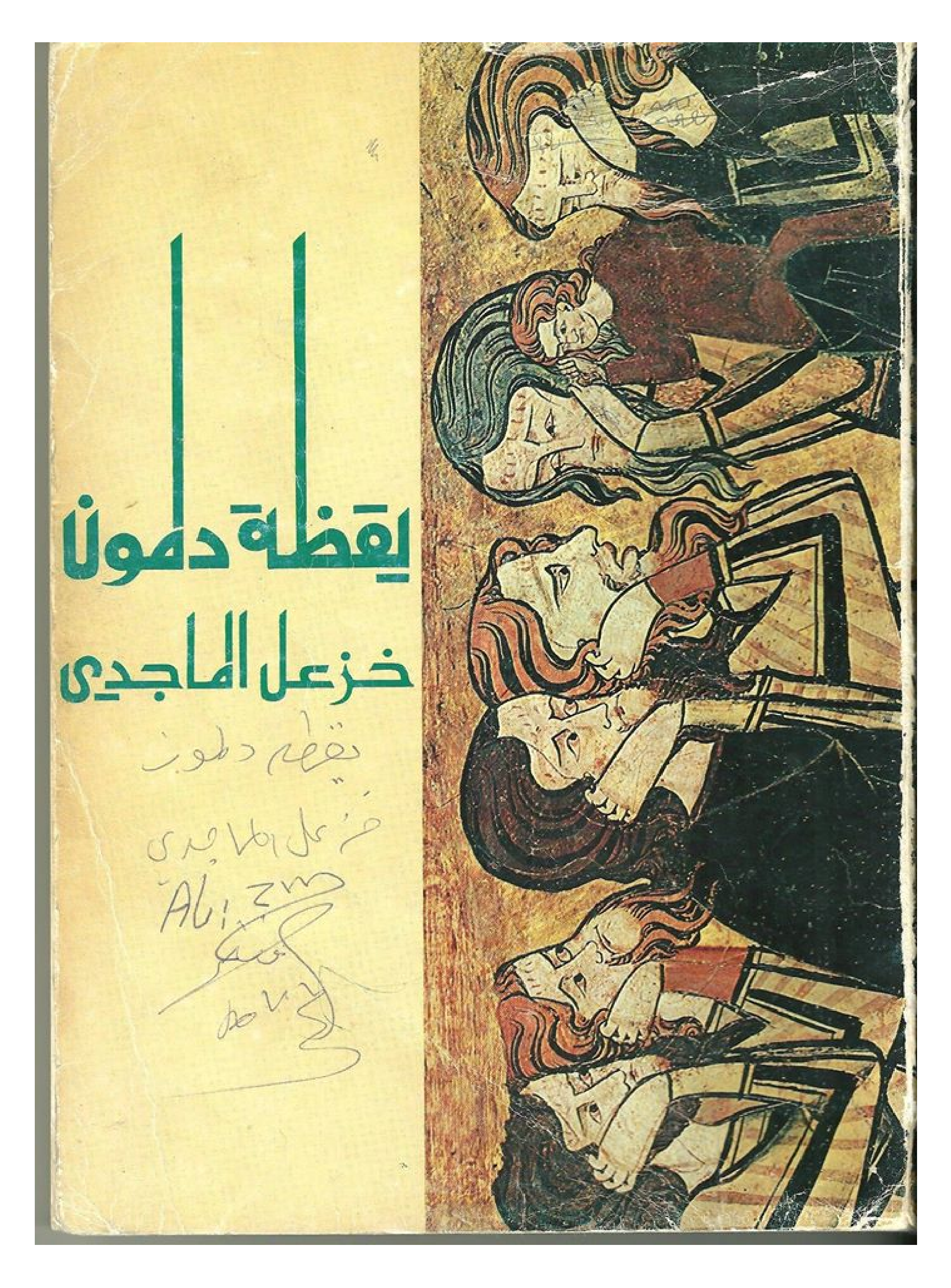
خزعل الماجدي

درنة / ليبيا

11/ 7 / 2003

a_khazal@hotmail.com

يقظة دلمون



1980

لا تاريخ
إلاّ تاريخ الروح

سان جون بيرس

كتاب بوبولينا

أن الرجـــــــــل الـــــــــذي تنـــــــــدَّى طويلا من جـــــــــوّ المـــــــــرأة الـــرخي

، من عطر يـديها، من نـهدها، من ركبتيهـا ،من شـعرها ،ومن ثيابهـا المسترسـلة اكتسـب رقةً في البشـرة وأنـاقـةً في اللهجـة وضـرباً من التـأنث إن خلت العبقريـة منـه لم تسـتوفِ شروطها الفنية مهما بلغت رجولتها وعنفها، إنني عنيت بقولي هذا، إن الميـل المبكـر إلى عالم المرأة.. إلى هذا الجهاز الموّاج، البرّاق، المعطّر يخلق العبقريات السامية.

بودلير

بوبولينا

سأغني

عندما تهبطُ في الأرض المسرّة

وأسميها بلاد العشبِ والماءِ

أسمّيها المجرّة

وأناديها طويلاً

بانتظار الفجر والطير الذي يسعى مع الصبحِ

ويستلقي بروحي.

إنها عند ضفاف النهرِ،

هذا الماءُ منها

وضبابُ الليل منها

ليتها تمتليءُ الآن جنوناً

فتُغني..

تسرجُ الخيلَ وتأتي

من تُرى يعرفُ ماذا تفعلين؟

ربما يأخذُكِ الرقصُ من الليل إلى الفجر

فتلقين إلى الفجر يديك

وتموتين..

فيرمون إليكِ

وردةً في القبرِ

من يعرفُ، يا سيدةَ السهلِ، الذي فيّ

ومن يقربُ مني؟

ها أنا الآن مع الطير الذي عاد

أنادي: بوبولينا

إنها بين الرعاة الطيبين

يدها في يدهم، ماءُ صباها

من ندى الصبح عليهم

إنها تقفلُ في البحر كتاباً

وتغني عنده الريح

وأفواج الطيور الراحلة

بوبولينا..

معي الآن من الشعر قليل

ومن الوجد كثيرٌ

ولي الشمس وعيناكِ

ونارُ الزمنِ المرّ

وأحلامُ الصغار.

هل تعودين إلى أيامنا والوجدْ؟

هل تأوين للبرّ مع الغزلان عند الليل؟

ما زال الرعاة

عندما تقتربُ الشمس من الماء

يغنون طويلاً:

غَرُبَتْ شمس النهار

غربت عنا وصار

بيتنا ملجأ أشجارٍ غريبة

غربت طفلتنا وسطَ البحار

يا ندى الغيم أطعنا

إننا في السهل ما أتعبنا الليل

ولكنّا مع العشبة ضعنا

هاهمو، سيدتي، بعض رعاة السهل يأتون خفافاً

حين استوقفهم

يُشرقُ فيهم ثمرُ الروح

ويستلقي، على أغصانهم،

مطرُ الله

فألقيه سؤالاً :

إننا أبناءُ عمّ يا مطر

إننا في النور

في ماء القمر

دمنا.. ماءٌ ودفلى

دربنا.. دربُ السفر

سرْ بنا وامطر علينا

واسقنا واستلقِ فينا.

أنتِ...

يا آلهتي الأولى.. أعيني

فارساً لا يعرف الموت

ولا يحني الجبين

أنتِ يا آلهتي الأولى.. أعيني

جسدي المتعب

والروح التي تذوي وقلبي

فأنا جامع أوراد أغني

ثم أُلقي الوردَ في الماء وأمضي

إنني أكثر خالقِ الله عشقاً

بوبولينا

إنني أعذبهم قولاً

فقولي للسهول

دمُهُ حمرةٌ ورد الأرض

والسحبُ النبيلة ◦

عقدةٌ في حاجبيه.

أناشيد

نشيد الغريب

عيني على الولد المسافر في مجاهلها

وسيدها الأشّم ٭

عيني عليكَ.

ظمئتَ !

ما كانت لك الحسرات

غير أنكَ مستباحٌ

كلما غادرت بيتكَ

في الشوارع والروابي والعيون

كلَّما نبتت على دمك الغصون

كلَّما بارزت كان السيفُ في يدكَ الجميلة ٭

وردةٌ ترشقها في الأرض

كي تشتعلَ الأرضُ وروداً مستحيلة ٭.

نشيد الخمر

يا صبا قلبي

طفا الخمرُ على ثوبي وأكتافي

وناداني جنوني

في بلاد الله للعشقِ .. فقمتُ

وسما الخمرُ إلى رأسي وأغمضتُ عيوني

من تُرى يسمعني الآن إذا غنيت؟

والماءُ شهيٌّ

نازلٌ من شعركِ الأسود للثديين

للخاصرة الوسنى

وللبيت الذي أسكنُ فيه

نازلٌ للقدم الثابت حيث النبع

والأرض البعيدة.

نشيد المسرة

هكذا نبقى

لنا أن نسقط الآن وأن نرقى

فكــوني..

غابة مشتعلة ◦

وأبدأي.. هزّي بروحي

شجر الخلق تريني...

ساقطاً زهراً

فيا سيدتي العذراء: في العينين أُلقي جسدي

- أندى من الماء –

وفي الجفنِ أنامْ

في يدي زهرةُ غاردينيا

وفي قلبي المسرّة

وعلى الأرض السلام.

أخافُ عليكِ من لوركا

الفراشات صفراء

كيف الذين أبادلهم تعبي يرحلون◦

وكيفَ النهارات والنارُ تغفو

وكيف الجفون◦

تسلّمني للنعاس

وتتركني هادئاً

والسنون

تغادرني مثل طيرٍ أليف !

* * *

الفراشات ميتةٌ فوق مكتبتي

والزمان

ساكنٌ في مكاني، وفي راحتي

وقد ذبلت شفتي

واحتواني الذهول

وما زلتُ ألقى الطيور

وأسألها عنكِ

عن طفلةٍ

أراحت حقائبها في بلاد

هوى عندها غصنُ لوركا قتيلاً

المرارات فيّ،

المنارات في قبر لوركا

وقلبي يبادلك الحرقة الآن

كانت لنا

بلادٌ نقلبها في اليدين

وأرضٌ تحاصرني في المساء.

* * *

الكتبُ الواقفة الآن على الحائط

ما عادت كما كانت

ولا كلّ صحابي الطيبين

الشعرُ ما عاد

وما بي ليس شعراً

إنها الوحشةُ يا سيدتي

فلتقفلي الساعة جرحاً

عند غرناطة

ولتأتي

كما تأتي الطيور

* * *

قبرُ لوركا قمرٌ

يخشعُ في الليل ويحني

جبهة - الأرض وأبراجَ السماء

اسم لوركا مطرٌ

يسقي الزمان

خمرةَ الدنيا

ويستنطق روحَ الشعراء

دمه، مثل ورود البحر،

ضُميه بكفيكِ إلى صدركِ

وابتلّي..

وصلَّي عنده الفجر

وغني عندما يغفو على شعركِ

وانسلّي مع الصبح إليّ

* * *

يا صديقي الكبير الذي داهمت بيته الريحُ

كيف انطفأتَ

وكيف اشتعلتَ بنار السماء

القميص الذي عند لوركا قميصي

العيون التي عنده في جبيني

الشفاهُ.. شفاهي

الرصاصُ الذي فيه فيّ.

تعال..

تعالي.. أخافُ عليكِ

فلن يذرف الدمعَ لوركا إذا ما أتيتِ

فما عنده.. ليس عندي

وما كان عندي

يروح إليه..

* * *

صغارٌ نحنُ

كالأطفال

ما بالي إذن لم أنسَ حبكِ !

ملقىً في رائحة غيابكِ كالقديس

"غداً.. وغداً

وغداً كلُّ شيء "

وكلُّ غدٍ لا بد آتٍ

وتأتينَ

نأتي معاً

وننسلُّ في برد هذا العذاب

لفاتحةِ النهر

نُلقيه زهراً

ونُلقيه سراً

فأمضي

لعينين واسعتين حدُّ السماء.

الليالي بعدكِ

يجالسني كلٍّ يوم صديقي

وننتظرُ الخمرَ

أبهى من الخمرِ روحي

ومائدتي مورقة ◦

ويشتعل الخمرُ

أُلقي بنفسي

لنارين.. نارِ الجنون

ونارٍ مسعَّرة في الجسد

وأستلُّ سيفاً خفيفاً

أبارزهم واحداً واحداً

يسقطون،

فتأخذني النارُ وحدي

وابتلُّ بالماء حيناً

وبالليل حيناً

أنتِ التي قلت يوماً

وكفاكِ فوقَ جبيني

وعيناكِ في الغيم:

هذا طريقٌ طويل

وآخره الموت..

رائحة غيابكِ

صديقان

كفي وكتفاكِ

لا زهرةٌ في المضيقِ ولا الماءُ

نحنُ اللذين ابتلانا هوانا

بأن نودعَ البحرَ سراً

وأن نطأ العشبَ سراً

وأن ندخل الغابة الصافيةْ

وأن نحلم العمرَ

بعضٌ من العمرِ يمضي

وما صرتُ إلاَّ الذي كان

محترقاً في هواي

وممتلئاً بالجنون.

وحيداً.. مع صداقة كتفي

أنتَ يا بحرَ الطفولة

شُدّنا من شعرنا

وازحف علينا

مرةً

واقطف لنا الشمس الخجولة

أنتَ يا بحرُ اشتعل فينا

وعلّمنا الجنون

قدرٌ منطلقٌ، يا بحرُ،

هذا العمرُ والنارُ وريحُ العربة

ودمٌ يصرخُ في الليل

وروحٌ تعبة

ترتقي الماء

وأرضٌ خربة.

شاحباً في الصبحِ أرعى

غيمة الحزن

وفي الليل أناديكِ كأفعى

وحدي الآن.. بعيدٌ

كتفي أجملُ أصحابي

وأشعاري، مع الوحشة، تسعى.

أحزان الولد المرّ

واضعاً يدي بين نهرين

مستسلماً للرقاد،

ومنحنياً فوق ماء من النور

ألقي السحاب زهوري

وفي الروح أنتِ

مناراتكِ الصافيةْ

وأبوابك المقفلةْ

وأغصانك الغافيةْ

فهل تذكرين الليالي؟

ويومَ استرحتِ على راحتي

ويومَ التقاني اليمام

وحدثته عنكِ قال: احترسْ

وأيقنتُ أني احترستُ

فحدثتُ عنكِ الفراشات

فاستوحشت

وقاربتها منكِ

وبادلتها سرَّ روحي فقالت:

لك الله

كيفَ ابتليتَ بهذا ؟

* * *

استكيني على كتفي

ولنَمُتْ،

منحنين ببعض

ومستسلمين، الشوارع كسلى

وساكنةٌ روحنا

والذي كان،

يطوي جناحيه فينا ويهدأ..

وفي قاعةٍ، حجرٌ ساكنوها، انتهينا

وعينان مثل اللآلىء

تقولان شيئاً عجيباً

أمن قدرٍ ثابتٍ أو حنينٍ جليل

أو النار تبكين ؟

- خذني

وما بعدها من كلام.

* * *

وحدي

بين جموع متعبةٍ

لا أفقهُ أيُّ الخطوات أ قدُّم

وأيّ الصبوات أغني.

كيفَ رحلتِ

وكيفَ وطأتِ بلاداً قاسية وهضاباً باردةً

سيدتي: طوعُ يديكِ سماءُ الدنيا

طوع يديكِ الولدُ المرُّ

سيدتي..

أبكي وأجرجرُ خطواتي نحوكِ

لا ألقاكِ

فأصرخُ: صحبي

لا ألقاهم.

أحني رأسي وأهيمُ

* * *

تعبٌ

تخشاكَ البريةُ والطير

لا أنتَ مطيعٌ لسماكَ

لا أنت مطيعٌ نفسكَ

فمالك تقرأ شعراً وتغني؟

قل أينَ مسارُكَ؟

هذا الجمعُ

صحابٌ ألفوا الراحة

وماتوا قبل الفجر

ما بالكَ تقرعُ أجراساً في الليل

وتصرخُ

قلْ..

هل من تعبٍ هذا السفرُ؟

هل من قلقٍ؟

هل من رغباتٍ كاذبةٍ؟

قلْ أين تريدُ

وماذا تبغي ؟

* * *

يقفلُ هذا الولدُ المرُّ كتاباً

لينام..

ويفتح آخرَ في الصبحِ

ومثل بلادٍ أولى

يعلو الشعر وتعلين

فلا الشعرُ يكون أليفاً لولاكِ

ولا أنتِ تمرين على حقلٍ ميتٍ

إلا ونمى.

كتاب النبلاء

إن لم تكن تشعر بتأثير السماء عليك سرًّا

وإن لم يكن نجمكَ، حين ولدتَ، قد جعل

منكَ شاعراً فمن الأصوب أن تزرع الكرنب.

بوالو

آخر النبلاء

مطاوعة جبهةٌ لا تخون

وطيِّعة خطوةٌ للجنون

وفاتنةٌ روحُه الحالمةْ

ومأخذوةٌ بالمسرّةْ

أساريره الساهمةْ.

فيا للأمير الذي، ذات ليلة،

رمى رأسه فوقَ سفٍ

ونام

ولكنه لم يمتْ

* * *

أجبْ.. يا صديقي الوحيد

أما أتعبتكَ الليالي الغريبة ؟

وقد كنت تسعى لفجرٍ جميل

وما زلتَ تطوي الطريق الطويل

وتسقي صباكَ بخمرٍ لذيذٍ

لتنسلَّ مبتعداً

حائراً

إلى قلعة تالفةْ

وتنتظر الفجر سكرانَ.. تهذي

بأغنيةٍ سالفةْ.

* * *

مرةً قلتَ :

كلُّ النساء

تجمعنَّ في امرأة

فضيعتُ روحي بها

وأودعتُ سرجي لها

وأرخيتُ صدراً ينازلها

وارتويت

فراقصتها مثل أيّ أمير

وغيبتها مثل لصٍ جليلٍ

وقبّلتها وارتحلت.

حزينٌ

وبي فرحةُ الطير

أمضي خفيفاً

ويحملني فرسي

فوق غيمٍ

مسافرةٌ أذرعي في السماء

وثابتةٌ أرجلي في الحجرْ.

في الشمس أكثر مما ينبغي

العربات

واقفةً في المضيق

فماذا يريد الفتى ؟

وأيُّ سماء ينازعها ؟

أيُّ برّ يعاكسه ؟ ، والرياح

رمت شعره فوق كتفه.

ألم ينته للسماء التي قالَ عنها !

ألم ينته إلى مدنٍ في البحيرات مملوءةٍ باللآلىء

ألم يحترق في الجنون ؟

الخمور؟

النساء؟

إذن أين يمضي؟

وأيُّ الخيول يحمّلها ما يشاء؟

أفق

مستكينٌ لهذي الجنود الخفية فيكَ

ومستسلمٌ خدرٌ

والسماء

مشعشعةٌ زاهية

وقد حان وقت المجاهيل

والروحُ سكرى.

يجرجركَ الآن قلبٌ

إلى ساحلٍ لا يلين

إلى بيتِ آبائكَ الأولين.

* * *

له بين كلّ الرجالِ عيونٌ

مُسعَّرة

مُرَّة

مُشتهاةٌ

له روحه الهائمة.. لنا النظرة الساهمة

له الخمرة الصافية.. لنا الحكمة الشافية

له الأغنيات الكبيرة.. لنا الكلمات الصغيرة.

* * *

لمولاي

عمرٌ طويل

بدايته صيحةٌ في الطفولةُ

وآخره كِبرٌ لا يخون.

قلعة روحية

فسيحٌ صباكَ الذي لا يطالُ

وموحشةٌ مثل روحي

نهاياتك المقفلة

فلا زمنٌ يصطفيكَ

ولا كوكبٌ ينتهي فيكَ

صبحٌ يفوتُ عليك

وليلٌ يحاذيكَ لا تنثني.

فيالي وللشعر

هذا الصديق الوحيد

له أنحني وجلاً وأصلي

له ينحني ملكٌ وأميرٌ جميل

أفي زمنٍ متعبٍ مثل هذا تغادر؟

أفي طرقٍ ضيّقة؟

تضيّعنا يا صديقي

وتُسكننا التيه.

مثل السحابة

تجرجرنا للبعيد الذي فيكَ

تمضي

وتتركنا لهوانا نغني.

* * *

يغنون نخبَ الزمان وأهوائه

والزمان..

يجرّحهم بالليالي الطوال

ويزهون

عرشاً وحلوى

ومائدةً لستَ تهوى

إذن ليس جلداً أميراً عليك

ولا عنباً في الشفةْ

ولا خمرةٌ مترفةْ

ولكن قرعاً نبيلاً يناديك

يدعوك سرًّا

إلى قلعة شامخة

ستدخلها وتقول : السلام.

* * *

هنا..

بعد غفوٍ لذيذٍ وصحوٍ كسولٍ وشمسٍ خفيفةْ

أناديكَ.. أصبو إليك

فلي مقلةٌ لا تنام

ولي كلمةٌ كالمُدام

ولي فارسٌ لا يخون

يعلمني السحرَ والشعرَ والهمسَ للروح

سيفٌ نبيل عصاه

وخميته قلعةٌ واحتفال عجيب

وبردته نبعُ أهلي القدامى

وخلوته خمرةً وندامى

وأوله غامضٌ مستريب

وآخره معتمٌ لا يدانى

فهل تعرفين الذي يحتمي بالشجر؟

وهل تعرفين الذي يختفي في المياه؟

وهل تعرفين الذي في الجسد؟

يجرجرني كل ليلة

إلى ميتةٍ زائفةْ

إلى مستقرٍّ مليءٍ بروح المحبين

فرسانهم

قائديهم

شعراء عزيزين.

هذي العيون

تعذبني كل ليلة

وتزحمني بالجنون.

* * *

مغلقٌ..مقدٌّس.. مكتوٍ باللهبْ

خافقٌ نابضٌ في دمي

ينحني للمشاعلِ

لا ينحني لحاملها

ملجمٌ هامةُ البرقِ

لا يستريح

ذاهبٌ للأقاصي البعيدةْ

عاصفٌ مثل ريح.

* * *

أيها الشعر

ألقي خطاي

إلى النهر.. مستلقياً فيه لا ألتفت

سأتركها قلعةً فارغةْ

وأتركهم شعراءً صغار

مهادنةً روحهم

ومستعذبون لجاماً

ومستسلمون لأقدامهم

لسوارٍ بأعناقهم.

حُلّني يا صديقي

سأسرقها نبتةً مثل شوكٍ قديم وأحيا

ففي الروح بعض الصدى والشجون

لآلهة ما أفاقوا

وآلهة متعبين

هنا أيها الزمن السلحفاة

أقدَّم خطوي أخيرا

فلا الشعر باب الخلاص

ولا القلعة الساكنة.

على فرسي والزمان معي

أطوي ايامي بين يديّ

وأتخذ الطيرَ صديقاً

والبريةَ قمراً أسكن فيه

مفتوناً بغناء السفن الطالعة

من أعماق البحر

وبالمدن المنهارة فيه

وبالموتى المرفوعين جباهاً

تحت الأغصان، عبرتُ

وكان الحطّابون يميلون إلى حقل بريٍّ وسماء صافيةٍ

كنتُ أصادفُ أحراشاً سوداء وغاباتٍ من ورد أحمر

وأسوقُ قطيعَ الغيم إلى ضفةٍ نائيةٍ وأغني

مأخوذاً بصفاء الفجر

ومقاداً بجنون العاشق للشمس

الماضي غسق مرويٌّ بجذوري

وفضاءٌ محتشد بطيوري

والأرض مطاوعةٌ قدمي.

لا اذكرُ..

كانت أيامي تتزاحم فيَّ وأخرج فرحاً

لا أذكر..

يومَ وجدتُ قلاعاً شامخةً وموائدَ تُشعلُ شمعاً

ودخلتُ إلى صالات فارهةٍ ومداخل صفراء

وآلهةٍ من وحي قرونٍ غابرةٍ

وسكنتُ لمائدةٍ سكرى

وشدوت..

كنتُ مليئاً بالفرسان وبالنبلاء بالأطفال الروحيين

أشدُّ يميني

وأبارزُ آلهة الليل.

غناء الفارس

حين حركتُ خطوي

والطريقُ استراح إليَّ

ولمحتُ الفراشات تزهو على مرمرٍ فاتن

وتنامُ على ورقٍ ذابلٍ

حين حركتُ خطوي

والطريق استكان إليَّ

لا الجراحُ الحبيباتُ نامت ولا الفجرُ

والفجرُ جرحٌ صغيرةٌ على شفتيّ.

البلادُ التي سكنت فيَّ صبعةً

والسماء التي أقفلت كالمحار

أحتوتني ..ونامت على كتفي

والطريقُ الذليلُ ارتخى تحتَ ساقي

* * *

ناذرٌ فرسي والنهارُ الأصيلُ لشعبي

حاملٌ وهجَ آبائي الشامخين القدامى

سائرٌ والندامى

قمرٌ لا بس حُلَّة العرب

ودمٌ فاتنٌ في الشفاه

والصبا والغضب

ماسكٌ غيمَ أرضي بروحي

وصديق الذرى واللهبُ.

أمير الغيوم

إني أتمايلُ بين الغابات الأولى والفجر الأول

لا أعلمُ ماذا أهوى

أو كيف اقرُّب شطاناً صاخبةً

هذي الآماد

تقود إلى الماضي مزهواً عبقاً

للنهر أقودُ خيولي

واباركها بالماء

وأقولُ لكل فراشات الروح

انبعثي لهباً

لا الحبُ جوادٌ أبديٌّ

لا الشعر جوادٌ ابديٌّ

لا الصفو المائلُ في زاوية الكأس جوادٌ.

للشامخين فقط

حين حركتُ خطوتي

والطريق اصطفاني

نبتَ الوردُ والقصب

والسنون الثقال أخرجت

رايتي العاشقة.

فجاةً كلُّمتني المياه

وصاحبني الطيرُ

وغدا الكون قبةً

وردائي دثارها

حين حركتُ خطوتي

طاوعتني الكلمة

وبدت لغتي غابةً وغصوناً

كلُّ حرفٍ يحيطُ بخاصرةِ الأرضِ

والأرض مسكونةٌ بحروفي

صارت الكلمات عناقيد

والعناقيد ابراجَ مملكةٍ في السماء.

فجاةً..

هيأت نفسها الكلمات إليَّ

وهيأت نفسي إليها..

كلُّ عربيٍّ نبيٌ

وخطوته مملكةْ

وبردته خيمةٌ

وجناح المدى مستقرٌ عليه

وليلته الحالكةْ

موطنٌ لابتهالات آبائِه

هل تحدِّث عن زهوه؟

عن مقاماته ورحيلِ السنين

التي طلعت لؤلؤاً في يديه

عن الشجر المستقيم إليه

عن الروح مشبوبة في خلاياه.

عن صبوةٍ ترتقي فيه للصلاة

عن سحاباته واحتراقاته

عن الجرح في جذعه وهو منتصب

قائمٌ عند أرض

ووحدةُ أيامه في السماء.

شاعرٌ يستقبل الفجر

أرسم قمراً محترقاً

وفضاءً محتبساً

لا النار ملامسةُ جسدي

لا الماء قريبٌ من كفيّ

أنادي أصحابي الضّالين

وأحملُ نار الصبوات

حيث الماضي يُشعلُ فيَّ سهولاً وبقاعاً

سأقودُ إذن عرباتي نحو خيامٍ هادئةٍ في الشرق.

* * *

أين جموحك يا ذا العينين الباسلتين

وأين هيامك بالخمر

أين حنينك للماضي الغابر

لا تُبقي السنوات عليكَ إذن شيئاً

فتقودُ القدمين إلى وادٍ كهلٍ

وتنامُ على أغنيةٍ كسلى

يا صوت الفرسان أغثني

يا صوت الأمراء المزهوين

جفّف جرحَ صبيٍّ يكتبُ آخر حرفٍ من مجد الذهبيين

مملوءٌ بالفتنة والأيام الأولى.

في الصفوة

وحدي أختار ملاذي وأتربص بالشمس

وراءكِ

أميلُ إلى حقلٍ بريٍّ ثانية

مسحوراً بعصافير تغني

وعصافير تُعاد إلى منفى

تأسرني وتنامُ بروحي

الجمرُ لصيقُ الروح

وأرضي خاليةٌ من ينبوعٍ يطفيء جمري

أنت طويت سنينك في يوم كهلٍ

وعبرتَ نهارات صافية وجناناً

من سبخ الجنات الكبرى

وندمتَ كثيراً يومَ أفقت

على وحدة ايامك وضجيج لياليك

وأجيئكِ يا أيامي المسكونة بالريح

أقودكِ في ليلٍ صافٍ

يتساقطُ منكِ النور

وأسرار الروح وغابات الورد

وربات الشعر الأولى

وصراخُ الشعراء الموهومين بحقلٍ صافٍ

* * *

افتحُ ابواب مدينتي الكبرى

وأرخي رأسي فوق السور

وأحلمُ بالفرسان المزهوين.

الأوراق

ورقة السيف

يُلقى على كتفي رداءً

ثم يقرأُ كلمتين

ويفرُّ من كفيَّ محترسا

فأُذهلُ..

كيفَ طارَ وخلَّف الجسدَ الشقيّ

وكيفَ طار..

وأسكنَ الشفتين عشباً يابساً

ودماً كئيباً

كيف طارَ..

وما أطلَّ مودعا

وحدي إذن أبقى لآخر ساعةٍ

ويغادرُ الفسان مائدتي فأذبلُ

لا الحبيبةُ..

لا القصيدةُ في يميني

نفسي تجرجرني إلى الأبهى

فأسكنُ كوكباً

وأديرُ كاساً في الرمال وأهتدي

للشاعلين صباهموا في الشعرِ

للمستوحشين

للسائرين إلى الأقاصي

للذاهلين بنبتةٍ

والغارقين بغابةٍ.

يبقى معي سيفي فأنهبُ وردةً

وأشدُّ فارسةً إلى جسدي، الغبارُ أليفُ نفسي

والهوى

يطفو على جفنيّ

لا الدنيا مشاغلةٌ عيوني

لا الزمانُ محركٌ قدميّ

أتعبُ !

ما أقولُ تعبتُ

تحضنني الشواطيء مرةً

وتقودني أخرى إلى موتي

فأجهلُ ما أريد.

بيْ سيدٌ يسعى إلى الصبوات

يُركبني جوادي

ويشدُ لي سيفي

ويأمرُ بالرحيل.

ورقة الطريق

كيف

لا تُمسكُ السماء ؟

بيديك الغصون

وعليك امتلأُ الحروف وأشكالها

والقصيدة سفرٌ أصيلٌ

وأقدامكَ الطيعات إلى الزهوّ تمضي

لعينيكَ فتنتها والنبوّة

قدرٌ جوهرٌ في اليمين

وللشمسِ يومَ ابتلتكَ الصبا

وللشعرِ يومَ ابتلاكَ الجنون

فكن كوكباً للذين استفاقوا

وللشامخين

وللخارقين سماءَ العصور

وللطائعينَ انبعاثاتهم والمغنين فجراً

وللنور مُنزلقاً في يديك.

* * *

صبيٌّ ينادمني كلّ ليلة

ويُسكنني التيه والصحو

يعلمني أن أنادي السماء

وأن أطأ الموتَ حراً

وأن أعتلي فُلكَ الأنبياء

لي الان ألاّ أكون

ولكنني سوف أمضي بعيداً

ليبتلّ بالفجر قلبي

وتبتلّ بالشمس روحي

وأخلقُ من كلمةٍ ممكلةْ

وأنساقُ في طرقٍ مهلكةْ

وأصنعُ من لؤلؤ الفاتنين

طريقاً مليئاً بصحوتهم

وانحدار السماء إليهم

بصيراً بأسماءِ أهلي القدامى

ومَلقى لوحشتهم والندامى

ومنتشياً زاهياً بالغناء.

ورقة الزمان

أول الأرضِ قبةٌ

واستدار عليها رداؤكْ

نائمٌ في براريكَ

مدّثر في سمائكْ

كنتَ تُلقي مفاتنها جانباً

وتنادي الأصولَ العتيقة والنبعَ

أبهى لياليكَ مسكونةٌ بالجمال

ودنياكَ مملوءةٌ باللهبْ

وعيناكَ موقدتان بسحرِ الزمان

وقد مرَّ عام.. وعامان

قيلَ انتهيتَ

وقيلَ بكيتَ صروحكَ

واستوطنت فيكَ ريحُ العذاب

وغادرتَ أندى لياليكَ

أيقنتَ أن الزمان انتهى

وأن المحبين ضاعوا

وها أنتَ تفتحُ روحكَ

ثم تضيع..

الصحابُ، الشوارعُ.. والخمرُ

كل الذين انتقيتهمو للمهابةِ ضاعوا

وفارقهم نغمُ الوجدِ

والصبوةُ الشامخة

إذن أنت ملقىً لغيٍّ الزمان

وملقىً لأفلاكه والخرابْ

فأيُّ الزمان إذن أنتَ فيه

وأيّ العذابْ.

ورقة السؤال

أمنْ تعبٍ كلُّ هذا النداءْ الأصيل؟

أمنْ كلمةٍ بائدة ؟

أمنْ طوطمٍ في ثنايا العصور وأحجارها

كلُّ هذا العذاب

أمنْ شغفٍ في ارتقاء السماء وأفلاكها؟

أمنْ شعلةٍ بين عينين؟

أمنْ رعشةٍ في تواريخ آبائيَ الشامخين؟

لمن كل هذا العذاب؟

أ للهِ فوق يدي؟.. أم لعبدٍ

يشدُ على طارف الغيم روحاً

ويبغي الشواردَ في روحه .

للمهابة ..

وللمجد أو وردةٍ في السحابة

وللموت مستسلماً في الخطى

وللعصف

كانت لياليّ أبهى

وعيناي أندى

ونُعمايَ روح الزمان

وكأسي من الطيبِ

كانت ظنوني

تحدثني عن قصيٍّ غريب

وتُقلقني صوب أرضٍ

تنازعني المُلكَ.

كانت ظنوني

تغالبني

فافترقتُ بعيداً

وأيقنتُ أن العذاب

مصاحبني في رحيلي الطويل.

ورقة الليالي

أخذتني من الرقادِ

ثم قلتَ يا حبيبي

غفا السهادُ في السهادِ وانطوى

قلبي على ثنيةِ كفيكَ

فبالغريب

أرشقُ أسماعكَ.. ليت الكرى

ينامُ في روحك

ليت الكؤوس

تحطُ في كوكبكَ القريبِ.

ريقكَ.. أم خمرٌ على شفاهي

شعشعَ في الليل

أم الوردةُ !

أم فراشةُ !

مثقلةٌ بالنورِ والطيوب

تهزُّ أغصاني

فيندى دمي

وتتحني الليلةُ في الدروب.

ورقة المتنبي

لستُ نديماً

كان أحلى الزمان

عيشُ أبي الطيب

كان المدى

كأساً، ويلقى الكأسُ في أيّ حان.

لستُ نديماً

كانَ أقسى الزمانْ

موت أبي الطيبِ

كانَ الردى..

سيفاً، ويُلقى السيفُ يومَ الطعان.

لستُ نديماً

زال كأسٌ وسيفْ

وفي أبي الطيب يِبقى الزمانْ.

كتاب التجلّيات

يجب أن تسكروا بلا انقطاع لئلا تشعروا

بعبء الزمن الفظيع الذي يحطم كاهلكم

وينوء عليكم بكلكلهِ

ولكن بأي شيء نسكر؟

لكم الخيار بالخمرِ أو الشعر أو الفضيلة

ولكن اسكروا.

بودلير

تجلّي الأرض

قالت الأرضُ لنا: الآن قفوا

حين وقفنا

قلتُ في شيءٍ من الحبِ لها:

سيدتي هل تأمرين؟

لم تعد وقفتنا أمراً

ولكن..
نحنُ طولَ العمرِ كنا واقفين.

تجلّي الوحشة

تعباً يتكيء التمُّ على صدركِ

يختطٌّ له بينَ ثنايا الصدرِ درباً

- هل هو الدرب الذي أسلكهُ

بين المقاهي ساعة الوحشة؟

مثلي ينزوي طائركِ التمُّ

ويستلقي على الساحل ميتاً

أقفُ الآن وحيداً

بيتنا أُغلق

والبارُ بعيدٌ والصحاب

هجروني

وبكى القلب الحزين.

التجلّي الأول للغريب

تُرى..

كيفَ لي أن أقودَ العصافير صوبَ الجفون

وما مسَّني الحب ما لمَّني ليل غابة ◦

وهذا غريبٌ إذا مسَّهُ الليل لاذَ ببارٍ

وجالسهُ الحزنُ قالَ الغرابة ◦

وما كان في روحهِ غير غصنٍ تفتَّح ليلاً

هوى كالسحابةْ.

(إلى البحر) صحتُ ولكن

هوَ البيتُ والفارسُ المنحني

وما جاءني الحزنُ إلا بظل

خفيفٍ أرى فيه كأساً وناراً

وما كنتَ لي

غيرَ أني هنا لكَ الآن أُفضي عتابي اضطرارا.

تجلّي المدن الحارّة

عابرٌ للمدنِ الحارة

لا تأخذني لومةُ أخطائي

ولا صحبةُ قلبي

حاملٌ بينَ يديَّ الحسرات

ترتخي الأرضُ

ويسمو قلقي الفاتن

والوجدُ

وابتلَّ بروحي.

تجلّي الصبا

لا تحذرْ

هذا بابٌ مفتوحٌ

وصبا يقفزُ بين الشفتين

وروحٌ طافرةٌ فوق الماء

فهيء نفسكَ للصبوات

وقاتل زمناً صلداً

وأفرحْ

وأسرجْ روحك للأيامِ

وغنّ

وغامر

واخلق زمناً بين يديكَ

وشُدَّ على الكفِ السقطات.

تجلّي الحقول

يا لقلبي ..

ويا للزمان ..

أيتركني قدرٌ مستبدٌ أُغني؟

يشاغلني بالقصيّ المضيء

ويزحمني بالعذاب

أبهى من القيد روحي

ومن مدنٍ في حقولِ السحاب.

تجلّي سيدة العربة

هنا.. هنا

أذرفُ عند الساعة الموحشة

دمعيَ

كم علَّمني الدمع جنونَ الحبِّ

خفقَ الشفة المتعبة ◦

فلتنشري شعركِ فوق الماء

واستلقي على الزرع

ولُمَّي طرف الثوبِ

وخلّيها تمر العربة.

تجلّي الراعي

مثل طير البحر، مهزوماً

سأفضي لكِ سراً

ثم أرعى غنمي

أضربُ في الأرضِ عصاي

وأموتُ الليلة الأخرى لوحدي

في فمي الماءُ

وفي قلبي المسرّةْ.

التجلّي الثاني للغريب

هنا

عند تلكَ السماءِ الأسيرةِ بين الأصابع

تطاوعني الزرقة الذابلة

وأسأل: كيف الزمان يجرجرنا كالشياه

ويسلبنا تاجَنا والأكاليل.

هذا الزمان

لنمسكه بيدينا

ونعيد الذي ضاعَ منا

فيستغربُ السابلة

ويهمس بعض لبعض:

أكاليلُ ماذا؟

وتيجانُ ماذا؟

وأيُّ زمانٍ يُخبّرنا عنه

هذا الغريب.

تجلّي القلب

لي مع الركن الذي أخترناه بيتْ

لي مع السرّية المختفيةْ

في جفون العين بيتْ

لي مع الوقفة بين الشفتين

قدرٌ أحمي به خوفي.

دعيني

عندَ هذا الركنِ أبكي

جالساً قلبي صديقي

وغنائي ألفُ بيتْ.

تجلّي الرحيل

ما لي أرى كلّ شيء

يطوي جناحيه

ويستأذن ثم يرحل

فكلُّ من أحبه يرحلُ

وكلُّ من يحبني يرحلُ

المركبُ خلفَ الموج

والشمسُ وراء الغيم

والأيام بي ترحل.

تجلّي فروسي

افتحي يا قراراته المغلقةْ

نفسَهُ والرياحَ على كتفيه

افتحي يا قراراته النبتة الغامضةْ

وامنحيه المقام بأرضٍ

وناديه.. أسماؤنا في يديه

والشباكُ التي نحنُ فيها إشاراته

والندى دمعهُ

والخطايا انكساراته

وبردته الأرضُ سكرانةً

والخطى..

حفرٌ للوقوع بأسر محبتهِ

فافتحي يا قراراته المغلقة

سلًّما للمدى وانصتي للصدى.

تجلّي الجنون

يدي...

فوقَ نبعٍ مقدّس

وعينايَ في الشمس

والأولون ربىً في حياتي

وراياتهم فرسٌ جامحٌ في السماء

وفي الأرض خفقتهم

والرياحُ على شفتيّ وفوق عيوني

فدعني إلى كوكب مارقٍ مسَّهم.. مسَّني

فعذابي نهارٌ مشتتةٌ ناره

وجنوني صدىً لعقولٍ نساها الزمان بروحي وغاب.

تجلّي الظهيرة البهيّة

فتحتُ كلٍّ باب مغلقٍ في الحلم

فطاوعَ البحرُ يدي ونام

فتحتُ كلٍّ كوكب في الصحو

فقاتلتني صبوةُ الأيام

فتحتُ ما فتحتُ

كنتِ مرةً مخاوفاً

ومرةً نوافذاً

فانكفأت سحنتنا المرّة

صحتُ: الشمس

تمسحُ كل شارعٍ برئتيها الحارّتين

فابدأي الكلامْ.

تجلّي الشواطئ المهجورة

ما الذي أفعله

مطرٌ..

لا ينتهي للأرض

للحقل الفسيح

مطرٌ..

يسقطُ في القلب

وهذي لعنةُ الشعرِ

فكيفَ الآن لي أن أستريح.

تجلّي العصافير

تُـــرى..

كيف حالُ العصافير

كيف الزمان

تُرى هل تغنون؟

هل تعشقون؟

وهل ترقصون الليالي الجميلة؟

وهل – مثلُ قبلٍ – تحبون شعراً

وتأتون سحراً

وتحكون مثل الصغار؟

تُرى.. كيفَ حال العصافير

طارتْ !

أم الزمنُ الحلو طارْ.

تجلّي وردة السهد

جدولٌ ينتهي

ونبيٌّ حزينٌ يطالعهُ صامتاً

وعيونٌ من الجمرِ مبلولةٌ بالندى

والردى بعضُ أحواله

لا يريدُ

ولا يبتغي شاغلاً

فهو منشغلٌ كلِّ أيامه

يتبعُ الموجة الباردةْ

يلقطُ الكلمة الشاردةْ

ويغني الأصولَ العتيقةَ

يطوي بأيامه النورَ

كانت لياليه مطوية في يديه

وأيديه مطوية في الجيوب

وأثقاله في العيون

فمن يفتحُ الآن باباً له

من يقربهُ من صدره

ضفةٌ من جديلتهِ في السماء

ضفةٌ من جديلتهِ فوق نهرٍ

ضفةٌ ثالثة..

أيُّنا يا غريبَ العيون

فارسٌ

لن يخون؟!

تجلِّي أنت المراد

أداهمها.. صعبةٌ

وصباها الذي يُسفرُ الآن صعبٌ

وأرقبها.. قلعةٌ لا تُنال ولا تُرتجى

مطاوعة نفسها مثل فجرٍ يُفيق

وضاربة أعينَ الناسِ

مثل البروق.

تجلّي الزمرة المقدسة

الفتيان النبلاء

عراةٌ

وعفيفون

لا يسترُ أرواحهمو شيءٌ غير الضوء

شبابٌ مكتهلون عقولاً

محترقون بنارِ الشعرِ

وتوّاقون إلى الخمر الصافي

والصبوات.

ومبتهلون

يشعُّون شحوبا لا يُنسى.

التجلّي النبيل

يخرجُ من غفوته السيدُ ذو العينين المتعبتين

ويأتينا..

مولىً للعادات الملعونة

- كيف غفوتَ؟

وكيف تطلُّ الآن علينا مثل الغيم

ومثل سيولٍ تنحدرُ وتعلو

وتثير غباراً كي تبقى

وتُزيحُ سنينَ الماضي

لتحدق فينا

وثيابكَ مثل ثياب القديسين

وشعركَ يزدادُ سواداً.

تجلّي النجوم

كلُّ النجومِ

لا تقدرُ

أن تضيء راحتيه.

تجلّي الوحيد

مشاعلٌ

أسكنها في الليل يا سيدتي

أفتحُ فيها ليلتي للعربات السودِ والمقاهي

وأستطيبُ خمرةً

لكنني أبقى وحيداً قلقاً

فهل تتازلين سيداً في السنة العشرين؟

هل تقضينَ هذا الليل في حضرته؟

تغفين فوق شعره؟

فيستريح.

تجلّي في ترحيل البحر

عندما تلدغُ شمسُ الفجرِ ظهرَ البحرِ

تتداحُ جموعُ البشرِ الفانين

في الأرض

وتبقى الكلمة

أول الأشياء في الروح

وتبقى الصبوات

أول الأفعال في العمرِ

وتبقى حيثُ أنتَ

شاغلاً منشغلاً بالجملِ الأولى وبالشعرِ

وتبقى حيث أنت

وارثاً روح الذين ارتفعوا فوق الزمان.

تجلّي ما في العيون

خُذي جرحي الآن

خيطيه حُباً

وسمّيه باسم الغصون الأليفةْ

وسمّيه برد الصخور الخفيفةْ

فآتيك بالسحر من كل بابْ

ومن كلِّ أرض وبحرٍ وغابْ

خُذي جرحي الآن

خيطيه جمراً

وشدَّيه نورا بهذي العيون

وزيدي عليَّ هطول الندى

وزيدي عليَّ رفيف الجنون.

تجلّي السنونوة

وأنا تعبٌ ..

تلتمُّ الأحياءُ عليٍّ بناصية وتهددني

أطلقْ روحكَ في الفلوات

وأروِ يديكَ بسحر الدهرِ

يا من ألقيتَ الحبلَ على غارب أيام مقفلةٍ

وليالٍ كابيةٍ

ونهارٍ صلفٍ

وصحابٍ ضالين

وأنا تعبٌ ..

ترقبني في النافذة سنونوةٌ خارجةٌ

من غابات الطرقات

وتلعنني:

ماذا تبغي أن تفعلَ يا مجنون

هل بعد سنين تالفةٍ

تطوي رأسكَ لتنامَ

وتبحث عن دفء سريركَ ؟

أصغي لسنونوة خارجة من غابات الطرقات

وأصغي لسنونوة خارجةٍ من نفسي

وأصغي لليل

وأبكي...

تجلّي لاستنزال العطف

لا تكن مندهشاً

شدَّ بجفنيكَ على بعضهما

وأثبت على الأرض

وكن صخراً ..وهيّا..

اسقني النعمى

وهبً طيفَ دلالكْ

للذي نادى بجيشين من الفُلك عليك

للذي صاح وأصغى

والذي صاع وأبقى

والذي علُّمه الطير النواح.

تجلّي النبي الأندلسي

مولاي.. شفاهُك ما زالت خضراء

وضوؤكَ ما زال شجيًّا

وجوادكَ ما زال قويًّا وخيامكَ في الوديان

فكيفَ رحلت؟

وكيفَ وطأتَ بلاداً قاسيةً وهضاباً باردةً؟

هل تذكرُ يا لوركا فرساً غيَّبك بعيداً في الأعماقِ

واليوم تمرُّ العرباتُ القادمة من غرناطة

لـ((عين الدمع))

ولوركا ما زال يغني

أنصتُ في صمتِ الليل وحيداً

عند مضايقَ موقدة بالنجم

فأسمعُ صوتَ نبيّ أندلسي يبكي:

لا أحد ينامُ بهذا العالم

لا أحد ينام..

لا أحد.

التجلّي المقدس

يجلسُ الشاعر مزهواً على الأشياء

مسحوراً بفجرٍ طالعٍ

يأمرُ الريحَ ويستنطق صخراً

يُشعل البحر ويجتاح الحقول.

يجلسُ الشاعر مزهواً على التاريخ

محمولاً لأرضٍ سالفةْ

يبصر الشرقَ ويستوقف غرباً

ثم يستلقي كسولاً بين تيجان الملوك

وينحّيها ويمضي.

يجلسُ الشاعر فوق الأبجدية

ويشدُّ الطاء بالسين

ويرمي.. جبلَ الكاف ببحر النون

مزهواً ينادي بجلال الأحرف الأولى

وبالشعر.. ويشدو.

تجلّي في أتّباع السحابة

أنا في الشمس

وهذا الزمنُ الضُّال

سحابٌ هرمٌ

أيكٌ قديم.

أيُّ نفسٍ هذه الفارٌّة من مخدعها

أيُّ سحابة

أيُّ صوتٍ جرجرَ الروح وأدماها

وطار.

تجلّي السنين

سنونٌ من الوجد أتعبنَ حالي

سنونٌ أقاتلها كلّ مرّة

وأدفنها في الجراح القديمةْ

سنونٌ مضت في الظلام

ألاحقها

ساهراً لا أنام.

تجلّي إلى البحر

إلى البحر..

هذا ندائي القديم

وللبحر.. هذا صراخي

فبالله كُفّي السؤال

وبالله كُفّي النواح

فهذا حبيبكِ سارَ طويلاً

وشاخت به الأرض

ما مسَّها

ولكنه عابرٌ كالرياح.

تجلّي آخر الليل

تعومين في أول الليل

مثل المراكب

تعومين في آخر الليل

مثل الزنابق

تعومين منذ سنين

وتمتنعين مثلَ بلادٍ قديمة

تعومين منذ قرون

كآلهةٍ لا تنام

على كتفها الريح تغفو

وفي كفُّها الفلكُ تطفو

وإذ ترفعين العيون

أناديك أسمو إليكِ

فتبقين مثل الزنابق

تعومين في آخر الليل.

تجلِّي في تاريخ الروح

من يقود الجسد البارد للنار؟

ومن يحملُ هذي الروحَ للأبهى؟

وهذي الروحُ

مثل الأشنة

نُقشت منذ زمانٍ آفلٍ في الطين

وانسابت على الأرض

وقامت

ثم غابت في سجون الجسدِ

من يقود الروح للأعلى

وما زالت شروري في بطون الظنِّ

أو فوق يدي.

تجلّي المصلوب

مررتُ بالشاعر بعد صلبـِه

وقلتُ: ما الحياةُ؟

قال: الكرى

فقلتُ: ما الشعر؟

فغضّ العيون

وقال لي: أهونه ما ترى.

كتاب السيمياء

تـــدخل في محـــلٍّ بعيد عن النـــاس وتأخـــذ معـــكَ ورقـــة وقلمـــاً وتكتب اســـم من تحب ثم تبخ

ّر الورقة بالزعفران وتقرأ عليها الدعاء الآتي (أقسمت عليكم يا معشر الجن والملائكة أن تجلبوا لي فلان بن فلانة مقيداً بالحبال) ثم تدفنها تحت عتبة بيت المقصود فأنه يفيق من ساعته ويأتي إليك خاضعاً مفتوناً بك.

(من كتاب في السحر الشعبي القديم)

أبواب

وشغلتني بشبابكَ عن مسكِ شبابي

وعن إبصار ما في نفسي

وقطف كلامي

فانحدر القمر إليك بصورة آلهةٍ متعبة

نحو البحرِ

فقام الماءُ

ونفخت حارسةُ الليل خضاباً في جسدي

التهبَ أناءُ الحجرِ

وانتشرت من جُبُّتك الطواطم في الهواء

وخفقت لكَ أبوابُ النعاسِ

وتبرجت لك البروج ُ

وتنسَّم لأجلك النسيمُ

فهل ينزلقُ الغيمُ على ردائكَ الجميل

هل تنغلقُ الوردة في كفيكَ

أو ترشُّ في نفسكَ كلٍّ ليلة

ماءَ الندى

وبعض ما تقوله الحروف في الأضرحة القديمة.

باب في الدخول

لسحابات تتقدمُ ناحيتي وتفرُّ

أقولُ سلاماً وأناديه

ها هوَ يمضي ألقاً

ليبُلّ أصابعه في الطيب

ويلقى في الفلوات مسالكـَهُ

وينازلني..

أعرفُ أن الدربَ إليه

يعلـّل روحي

وأعرف أن النهرَ يقودُ لقمرٍ

والأشجار تقودُ لمدنٍ

والأيام تقودُ لأيامٍ تالفةٍ

وينازلني...

ويزحمني

فأقود جموعَ الغيم إلى وكرٍ متصلٍ بالريح

وليلٍ مشتعلٍ بالشعراء

وحقلٍ صافٍ في الفلوات

باب في الحاجة

لا أصحو

حتى تأتي إلـيَّ

وتـُذهبَ عني تعبَ الدهرِ

يا مؤنسَ قلبي وصبيّ شبابي

وتصالحني

أقسمتُ عليكَ بروح ساكنةٍ في الماء

بأن تخرجَ من أرضكَ مفتوناً بي

أخرج..

وأحمل نفسكَ إليّ

وخُطِّ على الماء كلاماً جذلاً

وتلقف روحي بعصاك

ودُقٍّ على بيت خربٍ في الليل

فهذا العقلُ أسيرٌ بينَ يديك

أسيرٌ أبداً.

باب في حرق الآس

وأنا أدعوك

تقدّم في الشجر

وفي الأنهار المهجورةِ

تعالَ.. فمن يرعى أوجاعي في الليل

ومن يسكنُ في فلواتي

أيقظتكِ أيتها الأصدافُ مراراً

ومررتُ على الشطآن

رفعتِ الروحَ الفاتنَ فيِّ إلى كون متحدٍ

وتحايا مقفلةٍ

عَلَّق نفسك في آسٍ وتعال

سينامُ خليلكَ في ماء الروح

وينقشُ في سرِ الكلمات المشبوبةِ

فارحل يا جيشَ الرغبات إليه بحقِ النورِ الصافي

وتقدِّم في خرقة أحوالكَ للموتِ

تقدم.. وامسك سُرّته

وشحوبَ لياليه

وغنِّ لآلهة تسكنُ فيكَ

وتُذكي فيك لهيب الخلد

تقدم..ها هي أوردتي تتوهجُ

وأنا أشرقُ وأمسكُ روحي.

باب في التسخير

أسأل

هل رشَّ الهدهدُ ماءَ الذهبِ

على الشفتين

فصارَ الشعرُ كلاماً عجباً

أيقظ نفسي

أرخى بدمي الخلق ـ المدهش

ها أنتَ جميلٌ في كلماتي

وجميلٌ بين يديّ

سأريكَ طواويس مسخَّرة لجنوني

وجبالاً طائعةً لخطاي

أريكَ منارات المرمر في مملكتي

راحلةٌ عني في الليل

سأريكَ شياهي وحقولي

ومساكن أطيافِ الماضين مُفتَّحة

ندخلها .. ونقولُ سلاماً.

الأغصان المدهشة

وبحقِ المتعة أسألكَ :

قرَّب نفسك مني

واطرد ما يُشغلُ بالكَ عني

واسعَ إليّ

فلقد ذهبَ العقلُ وماتت أنوار السبحان

يبسَ الوردُ على شفتيّ وفوق خدودي

فاطلب

أيِّ سحابات تأتيكَ

وأيّ الأفلاك ، تخرُّ على قدميكَ

يا ذا الألطاف

وذا الأوصاف

وذا الحكمة

ما لي ألقاكَ حزيناً.. شعثاً.. قلقاً

منهوبَ الروح ومضنىً بالأشواقِ

أطعني

يا مولاي استلق ِبنار جنوني

والزم جهتي

وانذر روحك للصبوات

وأطع..

هاويةً تجذبُ روحكَ

للأعلى..

غصن يا صحابي

هذه الكلمات

صاحت بها الحصاة

وأوحى بها القلم الأزلي

وقام على سرِّها السدرُ والزعفران

فهل يتلقى الأميرُ الذي هلّ في ليلها

تعاليمَـــه..

من فُتات الحجر؟

أم النبع ؟

أم يغمس الآن أقدامه المتعبات بماء الذهب

ويسترقُ السمعَ للهسهسات التي تنحدر

من النجم في آخر الليل

يُصغي لنهرٍ

ويبتكرُ الكلمة - اللؤلؤة

وما مرَ يوماً على شجرٍ واشتهى ثمراً

ولكنه كان ، سرًّا ، يحُن

إلى ميتةٍ في الشجر

فقل أيّ قلب تخبئه الآن عني

وهذي الرياحُ التي حركت ورقاً بابلياً قديماً

وما حركتك

وخطت طلاسمها في سقوف الزمان وأبراجها

واستقامت إليك

وما نلتَ شيئاً..

ففي أولي ما يكونُ البيان

وفي آخري ما يصير التجلي

فقل أينا في لطافةِ أوصافه الأول ُ

وقل أينا المذهل ُ

وقل أنني أنتَ أو قل خلقنا معاً

ويا صاحبي خلّنا

من الوهمِ

ولنسترح

فلا بد تقضي السنون مسراتها

ثم تمضي...

غصن هُدهُد الوحشة

لسليمان

لأحزان سليمان التي توحشُ روحَ القُبّرة

للظى وجنته

أكتبُ في فيضِ مياهٍ آسرة

لاحتراقات نبيٍّ

ولأشواق صبيٍّ

أضع الخطوَ على درب بعيدة

مارقاً تأخذني الشمس وتمضي

قلقاً تسكنني وحشة ليل السحرةْ

أيها الدرب

أعنْ قلبي على الفرقة

واجعل هدهداً يأخذُ خطوي

لبلاد نضرةْ

وانزل عليّ

كلمات النور

وأغمس قدمي في اليمّ وأسمع ما أقول.

كلمةً تالفةً.. ترتيلةً غامضةً

يا هُدهداً..

كان طوطمي الثابت

كن صُبيرةً تحرسُ روحي

وأجلُ عني الهم

وأسمع ما أقول.

أمير الفلوات

فردوس حكمتي

لكأني بالأشواق العليا ترفلُ بي

وتطيّبني بلهيب الوردة

إذ ينفتحُ الفجرُ بعينيّ

وألمحُ جمعاً من أصداف الماء تُمرُّغ مثل نجومٍ سوداء

فألعنُ أفواجي وأسيرُ إلى جدران أربعةٍ

تتلاقفني مثل أمير فرحٍ بروابيه

وكأني بحقول المسكِ وأثوابٍ معمولات من طينٍ

مثل الأزهار على غصنٍ عارٍ

أكتبُ فوقَ غيوم خضر رقيات تالفةٍ

أغري النمل لحشد ملاحمه صوبَ الخلجان المهجورة

إرحل يا نملُ بحق القلب المسحور

وشاطرني همّي المحموم وصلّ ببابي

الوقت يشنّ عليَّ أجاج لياليهِ

ويعصبُ عيني ويطول

وأنا وجلٌ

أحتطبُ الخشخشةَ السرية في الشفتين

وأتحدِّر بالأحجار الزرقاء إلى رابية موحشةٍ

ياالله..!

تصيرُ الكلمةُ في شفتي شيئاً عجباً

فأطيعُ مفاتن نفسي وأتيه

أشقُ بعوسجةٍ دربَ النور

وألقي الجمعَ المهجورَ بنار الحكمة.

هذي الحكمةُ ..

وردةُ أجدادي المحمولين بآيات القرآن إلى نفسي

يحكمني هذا الليل الصامتُ بالأطياف

ويأخذني للغابات الأولى

فأتقدم..

أمسكُ طيراً مرتجفاً لأعلمه الحكمةَ

وأدفعه بين الأشجار ليحشدَ مملكةً صوبي

أتقدم ..

أغذ ي عقلي بالنار

انحدرُ بالأحجار الزرقاء إلى رابيةٍ موحشةٍ ثانيةً

أدخلُ مملكةَ ميتةَ وأصيحُ

ينابيعُ من أرض الوهم

تفورُ بروحي

ألعنُ روحي وأتقدمُ ثالثةً.

فروس العلوّ

يا أغصاني

ويا شجرتي الفرع

ويا نبتتي الصافية

ويا طلاسمي، اتحدي في العراء لأجلي

وادخلي حقلاً بهياً

ومرّي على الآس والشجر الفاتن الغضّ

صيري هباءً أو اتحدي في أعالي الجسد

وفي الليل مرِّي على شاعر نائمٍ

واهبطي بين أغصانه

وتخطي بأجفانه الدربَ والناس

يا نبتتي الصافيةْ

إذ فاض بحر الوصال

وقامت حروفُ كتاب الزمان

فلا أنتِ تدرينَ ما بي

ولا أنا أدري بنوركِ

لكننا مُلقيان معاً

إلى غايةٍ عالية

ومحتطبان الثرى والثريا

أنتِ جنبتني لعنة المحو

وأرتحت جنبي

وهيأت مطلعَ وردي لنورٍ زكيّ

وصُنتِ جمال سكوني

وقدتِ حمائم قلبي لفاكهةٍ معتمةْ

وحمسّتني بالخمور

وناديتني : يا حبيبي

دعيني إذن فوق حقلٍ فسيحٍ أغني

وكوني على مركبي الصارية

ونامي على كتفي

واحضنيني..

طلّسم سماويّ

يا مقصود الناس

وحارس حكمتهم في الأرض

ومالىء آنية الناس بفيضِ القمح

تلقف روح صبيٍّ وجل بردائكَ

إسكنه الفلوات

ومُرّ على جنبيه بنار العشق

يا مقصود الناس

امسح بالياقوت جبين الولدِ

واسكب في خاطره الوله

وزيّنه بوردك.

فردوس آشور

مرةَ ..

يا خزائنَ عقلي

وكنوزَ التهاويمِ في مهجتي

كنتُ أرعى

جبالاً من الوهم فاستوقفتني

رقيمات آشور واستحلفتني

فيممتُ روحي لبرج قديم

وأطلقتُ للريح شعري

وهيأتُ غصنَ السماء

لأيامي المقبلةْ

إلى مبعثِ الفجر أ سعى

إلى خاطر مشرقٍ وجنونٍ أصيل

إلى تربةٍ طيّعة

إلى خضرةٍ في عروقي

فردوس قلبي

قلْ ..

من وافاني في أيامٍ مزهرةٍ

ومشى بدمي

وعلى قبة روحي استلقى ؟

من وافاني ؟

من فتّق شمسي في الماء ؟

وهيّج نفسي

أبغي أن أسعى مثل زرافةِ إبليس

وألعقُ نجماً

أو أبكي الليل

وأستنطق أحجار الماموث البائد

أقدمُ خطواتي

وأصيحُ برابيةٍ موحشةٍ : يا قلبي..

طلّسم النعاس

قفوا

أفقهُ الْعُلِّوي خالٍ من الزخرف البارد

وأجفانه مسدلة ۥ

ولكنه صخرةٌ مقفلة ۥ.

كتاب دلمون

أعلُ فوقَ الأطلال القديمة وتمشَ عليها

وأنظر إلى جماجم المتأخرين

والماضين

فأيهم الأشرار

وأيهم الصالحون؟

- من قصيدة بابلية قديمة –

الحقول

أيقظتكِ أيتها الفلوات

وأطربتُ لكِ النفسَ

وكاشفتُ صباي بأمركِ

واستحلفتك بالأشواق المحمومة

والأحجار الكسلى

أن تُضني روحي فيكِ

وأن تشتعلي قمراً فيّ

حجرٌ من تاريخ الأرض ينادمُ روحي في الليل

وأسمعُ نوراً يتهامسُ فيّ

بعدي من يُخرجُ هذي الروحَ من الماء

ومن يفتنُ أرضاً سابحة ًفي الغَمر

ومن يرقى لينادي الغزلان وورَد الصبير

وأبناء الصحراء؟

ألقي في روح الشمس يديّ

وأبتكر الأشياء

وابني فوق صروح تالفة مجد الأجداد

وأعرفُ أن الأرضَ سماءٌ ضيقةٌ

سكن الآباء دمي

وسكنتُ لإيماءاتٍ أولى ملأت روحي

وعرفتُ بأن الماضي مخبوءٌ في ضفةٍ شامخةٍ

وصخور مشتعلة

هل أرمي فيكِ عصاي وأتخذ السدرَ

حقولاً معشبةَ

وسماواتٍ خضراء؟

* * *

تورقُ أوراقُ الآس على كفيّ

فأنقادُ بروح مورقةٍ وشفاه يابسةٍ للآفاق

وأشعلُ ناراً ثانية ًوأسوقُ قطيعَ الغيم لأرضِ الغيم

وأعلن خطواتي

يتعرفُ تاريخُ الأرض

على ولد شبَّ صغيرا في الأيام الأولى

أحنى الأرض لكفيّه

يتعرفُ تاريخ الأرض

على ابنٍ ضلَّ طويلا في الغابات

وعادَ وحيداً لمراعيه

وحيداً لسماه

يتعرفُ تاريخ الأرض

على ندٍّ صلب وفتىً يغمسُ قدميه

بماء البحر

ويمسكُ بالكفين

ثمار الغيم.

شموس طسم

طسمُ ارتوت من خمرة الصحراء

فارتخت الغيوم

ونما على أحجارها الآسُ النبيّ

وغفت على صدر الزمان

اميرةً سكرى تُقمّطها النجوم

طسمُ التي في الروح

مزّقت الرمال

وسمت على الآفاق سيدةَ التخوم.

* * *

مولاي هذي طسمُ

هذا شِعبها الأعلى

وهذي نارها

تُلقي على الصحراء جمرتها

فتشتعلُ الصخور

مولاي نامَ الناسُ من سُكرٍ

ولألأت الخمور

ودنا هزيعُ الليل من فجرٍ جديد

أحنى الأميرُ جبينه

ورمى على الرملِ العباءة

خاشعاً

وتبتل الوجه الصبيُّ مهابة

صلّى على أجداده

وتراجفت شفتاه من قلقٍ حميم

وبكى.. وقام

ليقتفي الأثرَ القديم .

* * *

يحني على الحجر الشموسَ

ويدخل الأرض الفسيحةْ

سورٌ من الخلقِ البهيّ

وكوكبٌ أعلى وآلهةٌ جموحة

تغفو على الأرض الخصيبة شمسه وسيوفه

ويظلُ يحلم :

هذه الصحراء عَلّقت الزمان

أهلةً.. خرزاً من الصدفِ العجيب وأنجماً

فتدور في شمس الجزيرةْ

لولاكِ يا شمساً أميرةْ

يتفطرُ الصبير

والدفلى

وتتكسر الحجارةُ في المعابد

تنطفي روح السنين

وتجدبُ السحبُ المطيرة.

* * *

يحني على الصحراء رايته

فيسمعُ صوتَه

يأتي من التاريخ مبتهلاً

خفيفاً حائراً

ماذا تقول الريح للصوت الحزين ؟

أيظلُ هذا الفارس المضنى يفتشُ عن حجارة أهله ؟

أم أنه الزمنُ البعيد

يستنطقُ الموتى !

فيا لإيالةٍ تمتدُ في الأطراف تحكمُ مقلتيه

وتمد إصبعها تشيرُ لروحِه

أن تركبَ الصحراء يا لإيالةٍ

تمتدُ فوق جلالةِ الرملِ الفسيحْ

حكماً كتاج الله

فوق سحابةٍ جذلى

وفي الزمن الضريحْ.

* * *

في الفجرِ يحني كوكباً ألقاً

ويعصره

وفي القدحِ القديم

يروي الشفاه بخمرة النعمى فتهتزُ الغصون

وتقوم طسمٌ من مراقدها

وطسمٌ وحيدةٌ في الرمل متعبة العيون

يا ذا الشرى:

أغفت على روحي السحابة

ومضى على أهلي الزمان

وتركتني وحدي

بلا خمرٍ ولا نارٍ

فهب لي من قطيعكَ ناقةَ

في هذه الصحراء تحملني لأهلي

وتقودُ لي خطوي

وتمنحني الأمان

أبقيتَ لي يا ذا الشرى

سوراً على القدح المطرز بالنقوش

وبالنذور

أبقيتَ لي طيفاً

ينازلني على الشطآن والفُلك العجيبة

ويقود لي في موجةِ الماء الجليل مقامةَ

عن سالف الأجداد

عن زمنٍ مضى مستعصياً عبقاً

وغادر ساحل المدن الكئيبة.

* * *

بالتبِّر

أرّخ يا يمام

هذا الهوى

ومسالكَ الفتيان خوِّاضين في لجج بعيدة

وجموحهم والنار في أحداقهم

والحربَ والحصنَ العصيّ

وسور كندة والخيول كليمةَ.

بالحبرِ

أرّخ يا يمام

إنشادهم

ودمَ الزمان

إلتقط السنين

صرعى على إبل الجزيرةْ .

* * *

أرخى على صدري الزمان رداءهم

فسعيت في ليل الصحارى حاملاً

رُقماً من الحجر المضيء بحكمةٍ أولى

ومملكةٍ نبيّة

وسعيتُ أبحث عن أبي

عن كاهنٍ في طسمَ ملتهبِ العيون

ومُبلل روحاً بنشوته

وغامسٍ شعرِه بالطيب

يحملُ في يديه

(كثرى) وطُلّسْمَ القبيلة

والنذورَ وخمرةَ الإصباح

مبتهجاً بغيم الله والثمرات

والنوق التي ملأت معابدَ طسمَ.

* * *

قلبي على طسمِ التي ذبُلت

كزهرة زنبقٍ

وذوت كنور مسافرٍ

وغفت كمئذنةٍ عتيقةْ

سأدقُ كوكبها الذي لثمَ الغبار

وأهيمُ محمولاً على الحجرالكريم

علّي أشمُّ طيوبَها

وترابَ معبدها القديم.

يقظة دلمون

ينحدر الملائكةُ مزهوّين بحفيف أجنحتهم الذهبية

من الأقاصي إلى دلمون ذات الجنائن

المشتعلة بالزنابق الحمراء حاملين

النور الإلهي معهم وباعثين في دلمون الفرح.

تتفتحُ هذي الآمادُ الحجرية ُعن شجر البرقِ

فيشرقُ في الأعماق بشير الروح

وتسقطُ أوراقُ المعرفةِ من شجرات الدنيا

وأرى الغمرَ يغطي الأرض

وروح الله يرفُّ على الماء

ماذا يحملُ هذا الوعدُ؟

أفتحُ أسرار النفس وأسرار الماضي في دلمون

وأطوي في الأرض الخطوات إلى مقبرةٍ سالفةٍ

وتلالٍ زرقاء

ليكن جلدٌ وسط الماء يعين الأجساد

ويحملُ تاريخَ الإنسان الساقط إلى عائلةِ الأحجار

كانت دلمون بلاد الله

مسافرةً في البحر

ومورقةَ في النور

وبيضاء كروح العاشق

أفتحُ أبوابَ الجنة

ألمحُ برقاً في الآفاق يُصعِّد نارَ الخلقِ

كانت دلمون بلادَ المحروقين بنار المعرفة

كانت دلمون بلادَ الروح الباحثة عن الخلد

وجنّات الجسد القديس

كانت نفسي مورقةً

وسمائي طيِّعة

وانا وردٌ في الصحراء

ونبعُ جلالٍ متقدٍ

محتطباً زهوَ دلالي ودمي

ومقاداً للنور الطالع في شرقِ الأرض

أرفلُ بالأشواق الضاجّة فيّ

مسحوراً بالفجر

ومأخوذاً بغناء الصيّادين

أتسربلُ في زيّ قدامى الكهان

وأحني الأرض لعزّ خطاي

أشيرُ إلى الغيم فيحني طرفَ الأفق جبيناً

وينادمُ روحي الماضي الطافي فوق الماء

كأعشاب تدفعها الريحُ إلى روحي

يا دلمون المنسية في أرض الله

المخبوءة في الروح

المنشورة في ماء الأجداد

وليل الرعشات الأولى في الرمل

يا دلمون البيضاء

هل يغمرني ، الليلة ، طيبُ الماضي الذهبي

يندّي روحي ودمي

أم أن يداً تأخذني

وتطوّقني بالأقمار

وتنصبُ لي عرشاً

فوق تخوم الصحراء

أم أن ملائكةً تُسكنني هذا النورَ الباهر

وتدعوني للفجر

من يعرفُ أن حنيناً يعصفُ بي نحوكِ؟

قادمة في عربات الذهب

وغاسلة شعركِ في روحي

وأنا المفتون بأشجارك والمملوء بصحو سماكِ

والمتربص بالأبدي الشامخ فيكِ

* * *

أجدادي مأخوذون بالقداسة وباحثون عن كلّ مقدِّس في الحياة وفي الموت، البحر ماءٌ مقدس والسماء علوٌ مقدس والإنسان وجود مقدس، ينحني المقدس في نفسه وينادي الأصول العتيقة....

ليت الزمان يعودُ مراراً وينشدُ

عن زهوهم في السماء وفي الأرض

ليس الزمان بسيدهم

ولا هو قبرٌ لأجسادهم

إنه السحر بين يديهم

وهو الوردُ والمستحيل الذي يتبدى

ساعة الموت

ليس الزمان قبراً

ولكنه فرسٌ جامحٌ

قاد أشواقهم

واشتهى بينهم أن يكونَ الهواء

وان يصبح الزادَ والخطوَ والماء

واستوى في العقول على الكلمات

فكانت بريقاً لذيذاً

وفاكهةً من حقول السماء

إنها الكلمات التي امتلأت بالقداسة

فكانت ممالكَ من ذهبٍ

وصارت حنيناً جليلاً ونوراً من الخلق

ليس الزمان قبراً

ولكنه صحوة الذاهبين إلى الشمس

لم يكن في الزمان قبرٌ لقلبي ولكنه فتت الماء

وانطوت عنه روح الهشاشة والمحو

كانت له السماء عباءةً

والأرض محارة يتناسخ فيها والرياح نحو الأقاصي

وفاتحة الخلق

يحفر المقدس في كفه ويخطط للبدء

تتفتقُ الشمس في مائه

وتغني له الكلمات

كلُّ الزمان مضيء بأحداقه

ومنيرٌ بأفعاله

ومشتعل بالصبابات فيه

ومنبثق عند أجفانه

ليس الزمان قبراً

ماذا يفعل هذا المسكون بروح النبوة

وكيف يهدِّئ جنباً قلقاً

وسماء قاصية ترقد فيه

أيغني الآلهة القديسة ؟

أينادي أبراج الأرض ؟

ويعصفُ صحراء الدنيا

ماذا يفعل هذا المسكون بماء السحر

وروح الأحياء الملقاة بعصرٍ يخبو محترقاً

في كفيه

أينادي دلمون البيضاء؟

ويركض صوبَ رياح الأيام الأولى

لا يعرفُ هذا الملتاع

سوى أرضٍ شامخةٍ بين يديه

وروحٍ سامية ٍفي جنبيه

وقول نبي في شفتيه

فماذا يفعلُ

وكيف يُهدِّئ جنباً قلقاً.

* * *

يتنادم هذا الباصرُ بالأشياء

والغابات تنادمُ ظلّ الله

وظلٍّ ملائكة مزهوين

أخفض عيني

أحدِّقُ في نون البحر

أحسُ بأن توالد هذي الأشياء بنون

وموت الأشياء بنون

يخرجُ من قبة نون الكون وتخرجُ دلمون

وتنفتحُ الأرضُ على أبناءٍ مجهولين

ينادون المجهول

يا دلمون المجهولين

أقيمي في رحم البحر

وكوني الأرض الأولى للإنسان

يُحدّق آدم في دلمون

ويركضُ صوب البحر

جنانٌ من أحلامٍ

وسماءٌ تفتحُ باب الأرض

وقمرٌ من حجرٍ ذهبيٍّ

وآدم يركض في دلمون

يصنعُ فجر الإنسان ويكتبُ في لوح العمر الحكمة

والمعرفة الأولى

والشعر

فأي الأسماء إذن

يمكن أن أنطق فيها

وأسمي فيها أجدادي المحتشدين

على ساحل أيامي ورباي؟

* * *

يسكن الماء واللغة الباردة

وتغني الأصول العتيقة فيّ

ويقوم الذي كادَ يهدأ

فماذا ترى؟

غير أشباح ليلٍ طويل

وريح مغادرةٍ

وزمانٍ حزينٍ

إذن..

كلُ ما تبتغي شرفَ الحكمة – النار

والمجد والروح

هذا المدى ضيقٌ

والفضا ضيقٌ

والزمان عنيدٌ وفضٌّ

فيا دلمون

ارجعي..

إنني غارقٌ

بأبهة الفجرِ

والروحُ تصبو

لمملكة ثانيةً.

خروج آلهة الصحراء

إعلُ..

وخُفَّ إلى أرض ذات عروق

وسماء ذات بروق

وتقدّم

رُجّ الخلق أوائلهم بأواخرهم

وجدوداً بالأحفاد

وهزّ الماء الساكن في مضجعهم والقيعان

فلن يتبعك الندماء

ولا الظرفاء

ولا الشعراء الأفـّاقون

لن يسمع

إلا الأنفار المحرقون بنار الآلهة الأولى

لن يهرعَ إلاّ فتيان

حَمَّسهم خمر حارٌ

وأيقظهم فجرُ ملك

ودنانٌ صافيةٌ.

تحولات لاهة

إعلُ ..

بحق الأيام المدفونة في صحراء غارقةٍ في النور

وغارٍ تملؤه الآيات الأولى

وجلالُ النار وطلعُ الماء

في الفجر..

وعند سطوح القرميد الأحمر للمدن المنسية في الصحراء

وفي الأرض المزروعة شوفاناً مُرًّا

تخرجُ (لاهة) بالشعر المغسول بماء البحر

تنادي الصيادين لنبع قاصٍ

ألمحُ (لاهة) عاريةً تسحبُ أرض الصحراء

وتمسكُ شعرَ الغيم

وتسأل عن أبناءٍ ضالين

فتخرج قافلة الآباء

ويخرجُ آلاف الرعيان، عصيًّا ونياقاً شقراء

وآلهة كَلمى.

تمائم مقفلة

لكم سألتني السحابات عنك

ونادت ورائي

ودقت بكوكبها غُرّتي؟

هكذا أنتَ

آسُ يحرُّك أغصانـه صوبَ صحراء خاشعةٍ

وجلالٍ بعيد

لكمْ حيّرتني تمائمك المقفلة

وكمْ دُفتَ هذا الزمانَ بأترابه

وابتكرتَ الندى

من النار

روحً من الخلق سارحةٌ في برارٍ مطوقةٍ

بالغضا والمياه

أنتَ استفقتَ

وصرتَ الذي لو أشارَ بسبابةٍ مرةً

لاستفاق له النيّران

وماءُ السواقي

وفزاعةُ الطير

صرتَ الذي لا يُطال

وهيّجت قشر البذار

وأفلقت أرضَ الحجر

وأبدلتها واسترحت

لكم أّقلقتني

صحارى متوجةٌ بغيومٍ من العسجد الواهب الأنثوي الجميل

وكم حدّثتني مفاوزها والجرار

وأنهارها المستقيمة نحو السماء

فصبت زلالاً وتبراً وسلوى.

دعاء عشتر

مسّاك الخير

يا نجمة العشاء يا حمراء مثل القطيفة

أسألكِ أن ترجمي محبوبي

بثلاث تفاحات

بثلاث تمرات

فوق لسانه كي لا ينطق إلاّ باسمي

وعلي عينيه كي لا ينظر غيري

وعلى أذنيه كي لا يسمع إلاّ كلامي

قيلَ نزلتِ علينا من أيكٍ بريّ

وأقمتِ على الهامات

غسلتِ الروحَ من الأعشابِ ومن أدرانِ الجسدِ

وصرتِ ملاذاً

أهرقتُ لكِ الكأسَ الدريَّ

وظعنتُ لأجلكِ

في برية روحي ودمي

أحتطبُ النارَ

وأطلقُ في الجسد السيلَ الكاسحَ

أهواءً وطيوراً ومنى

وجيوشاً من أحزان الروح

أعتصرُ الحجر بكأسي وأنادمه :

أيا حجراً

يا أولى الكاتدرائيات

ويا آخر مقبرة للروح الضالة فوق الماء.

أنازلُ هذا الحجرَ وأحني الرأس

لماضٍ تاه عن الأيام

وضلَّ وحيدا مثلي في الأرض

ومعزولاً مثل نبيٍّ في قوم ضالين

دعاء إيل

قل بالذي أنزل هذا الكتابْ

مكملاً يا سيد الأحبابْ

ماذا تقول الروح في سرّها

والقلق الفاتن فوق الجسد الوثابْ

نورك.. هذا الذهب المنسابْ

وردكَ.. هذا الثر العنابْ

بخَّر إذن واحرق دم الهدهدِ وأجلُ الحجابْ

أيُّ نارٍ تحرقُ الروح وتمضي

بارِّة من جمرة تُخرجُ جمراً ؟

أيُّ نارٍ تسرقُ الخطوَ إلى بارٍ

إلى كومةِ أصحاب يغنون الزمان

من صباحٍ آسرٍ نحو صباحٍ حائرٍ ؟

أيٌّ خطايا ؟...

أمسكت بي

واستكانت عند فجر غامضٍ

يا قمر النار استفق

وانحدر من منزلٍ عالٍ

وقًّبلني طويلا

إنني أشرقُ يا سيد روحي

في ليالٍ هدأت فوق مياه آسرة

أيٌّ نعمى للذي ألقى برجليه على دربين ؟

دربِ الخمرِ في السلوى

ودربِ الشعرِ في البلوى

ونفسٍ صابرةْ .

أنتَ يا إيل الذي يفتحُ باباً ضيقاً في الليل

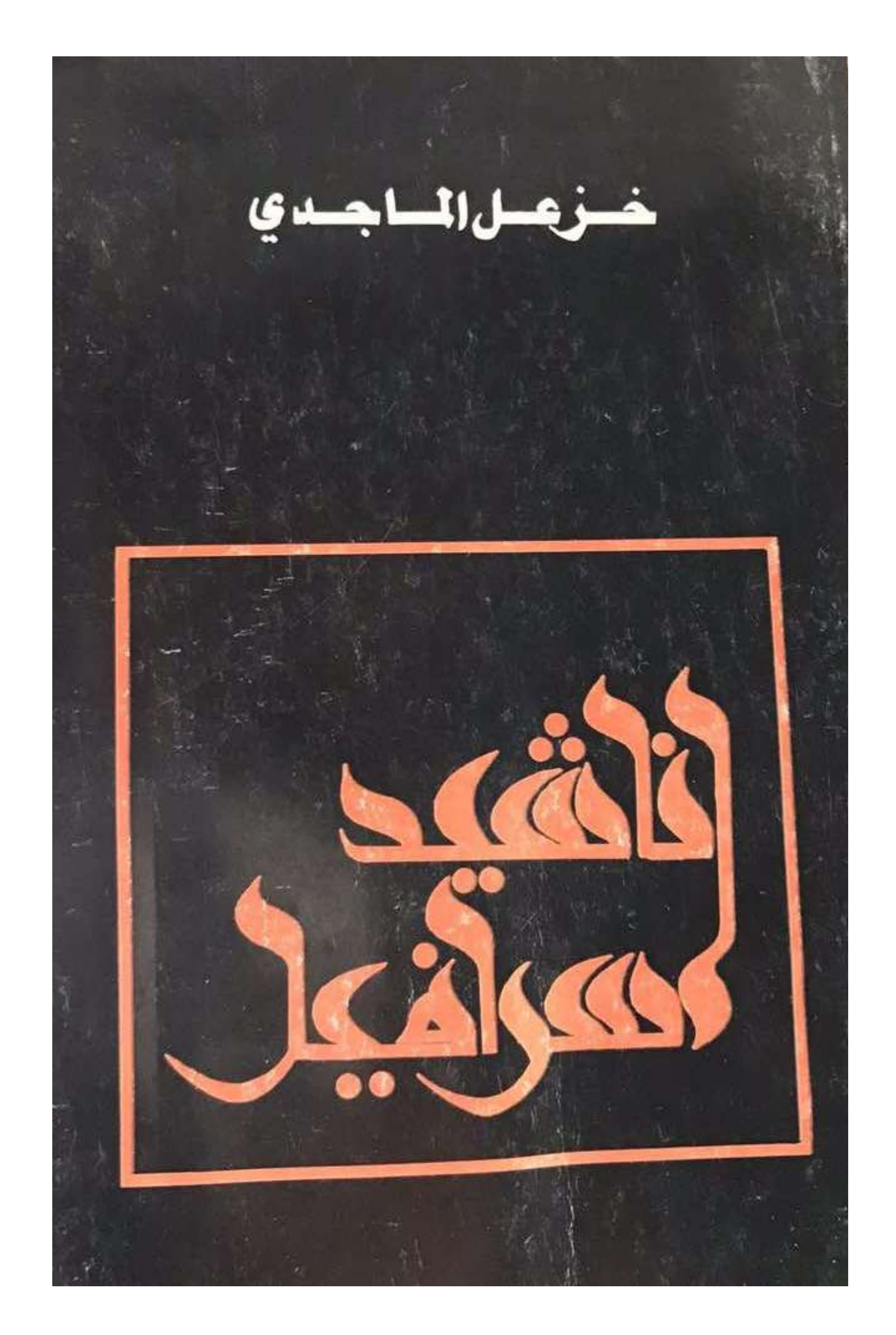
أنصتْ

دلُني نحو بلاد الله

والموتى

وخذْ كل الكلام.

أناشيد إسرافيل



1984

وسلَّمَ عقلهُ للفنونِ المغمورة

أوفيد

كتاب التحولات

الباب الأول

إغواءات شمس اللذّة

أسأل الله سكرةً قبل موتي

وصياح الصبيان يا سكران

انتبهَ المغنون القدامى لابتعاد الشمسِ

وأنتبه الرعاةُ

وكذلك انتبه السكارى

والموجُ أ لقاني إلى ارضٍ بعيدةً

أُلقي إلى النهرِ القديم الحكمة التعبى

وابتكر القصيدة

وردٌ على أسمالي الأولى وغصنٌ يابسٌ

وندىً وخمرٌ في شفاهي

والشمسُ ألقت سرَّها عندي

وساقتني إلى برٍّ أخضر

وكستني الأنسام والنعمى وردّت لي شياهي

ولها مشت أشجارُ هذي الأرض والتفتْ بخنصرها مياهي

* * *

وأقولُ ما قالَ الفتيُّ الراهبُ السكران

شمسٌ، حمرةٌ، جسدٌ وسيلُ أُنوثةٍ

والطينُ يخفقُ بينَ ثديين استنفرا بالندى

شمسٌ وألقاها طرازُ البرّ في فمه وأرخاها عليه

ضحت له الأفلاكُ واستترت به

وتهادت الأيامُ تُشرقُ في يديه

رقًّا وبرديا خفيفاً ناطقاً

والله قرّبه إليه

متضوعٌ بالمسكِ وابن سلالةٍ عليا

وإيوان السما في مقلتيه

من قالَ قبلَ مجيئه قولاً جميلاً

من تُرى أرخى لشمسِ البرّ عمُّته

ومن منكم رمى زهراً لعقدةِ حاجبيه

هو كالذي اختار الإيالةَ مرتعاً

ثم اكتفى بالنورِ يغمرُ وجنتيه

فإذا تداعت شمسهُ وتراشقت في فيضه الأغصان

واشتبكت إيالته اكتوى، وعلا على قمم الروابي

وأقتنى من أصفر الأوراد سحنتها وحنًّى نرجسا

آفاقه ودنت إليه النارُ بالدنيا ورقّقه الجوى

ورمت له الأيام بردتها وساقت عنده ظبياً ضحوكاً

واشتهاءً ذابلاً وتلُّت الأسباط في تاريخه وطوت

أعنتها الخيول..

حيرى يلاحقها المدى، طُرًّا، وتتبعها السهولُ

من أيما مسكٍ طلعتَ وأيٍّ طيب يبتليك فثمَّ غولٌ

يُرخي عباءته عليكَ ويزدريكَ وتطلقُ الأحشاء صرختها

فتهتزُ الطلول

كأساً رواكَ اليمُّ فانحدرت لكَ الآفاق وانشقت

وأنهكها العويل

الله سوَّاك التقي الناصع الأعلى وزينُّك الذبول

* * *

هدأت خيول الليل وارتدت سلالتها إليّ

حجرٌ يفك الجفرة الأولى ويخفقُ في يدي

هدأت وما هدأ التراشق بالزنابق، كوكبٌ حطبي

وآنيتي اجتايح تويج آفاقي ومهبطُ ساعديّ

حجرٌ يُدحرج فوقَ أبراج المعابد والقباب الخضر

أقماراً ويعمرُ ضفتيّ

فإذا وقفتُ، الشمسُ جاءت تتني

وتحلُّ شعراً عاطراً في راحتي

وتهشُ من تعب جيادَ إناثها وتنامُ خافقةً مقلبةً عليّ

أصحو.. أما والله لا شمسٌ تعذبني ولا قمرٌ ولا نجمٌ ولا

ضفةٌ تهدهدني ولا عليا معادني القديمة، لا خرابٌ لا

انقسام لا التحام.. هكذا، أصلُ السها والبدرَ بالأرض

العليلةِ أو أبادلها يماماً نائماً، وأشيعُ أملأ جعبتي بالنبلِ

والريحان، إني قائمٌ ارومةٍ من خير أقوامي

ومشتبكٌ بناري

أشتاق للأيام تنسلُ بعضها عندي وتسترخي بداري

غدقٌ وتغويني حصاةُ المسكِ والنسرين والقوس

الملاقي كَسفة الغيم المعبأ بالشرارِ

يا ليلتي انتظري مليكاً غارقاً بالطيبِ

والهالات وانتظري نهاري

وحدي تعومُ مراكبي سكرى وتطلع قُبراتي

فرحاً بحصدِ مزارعٍ حمراء، بالذهب المبعثر، بانفلاقِ

شقائقٍ قتلى وبالتاريخ يضربُ موقداً ليرشَ نهري بالرماد

وحدي ألمُّ عناصر الفلوات أخلطها.. هنيئاً يا فؤادي

حجرٌ وسربُ أهلة تهتزُ في لغتي وتخفقُ رايتي

هي من تراب أسِّنة كُسرت وياقوتٍ ترقرقَ واندلاقِ

كؤوسي الملأى وتتويج الأيادي

حجرٌ وأهمسُ: أيْ تواريخي أشرقي، رفِّي على شعب

توردَ في عصود النار وانفتحت له سحبٌ

وقامت فيه لألأة العنادِ

حجرٌ وأهمسُ ردُّني يا رب من حيث ابتدأتُ مبلَّلا

زدني وعمَّر طاسي الفخار أعوادا وأشربةً وفُلا

زدني ورجرج فيَّ سيل أنوثة تهال في مهدي

وخذ عيني ظلا

من أيما جهةٍ سأفتك بالندى

وأردَّ ريحا خازماً عني وأُجفلُ أرقمي

ولسوف أفردُ صولتي لمحاسنٍ ذبلت وأشعلُ ميسمي

قلبي سأقضمه وأكسرُ لوحتي قطعاً وأطردُ خاتمي من

صحبة الأيدي الرقيقة.. هكذا، سأهيلُ أقواماً على مدنٍ

ويقطيناً على زرعٍ وشُقارى على سهلٍ وألقي

معدني روحاً وأحجاري عناقيداً وأمضي.

* * *

يا قلبي وياغ درةَ أوجاعي وياا بهلولُ ها فاضتْ

كؤوسي وطفا خمري على شيبي وغطى نارَ ريحاني

وبلّ النحرَّ والأطراف، يا بهلولُ ألقاني بهاءُ الترفِ

الوردي في أسود حقلي ورمى نجمي

فيا نار أزحفي فوق اساطيلي

وفكّي السيل يشتدُّ قوياً في أقاويلي

حكيماً، عاقداً وقتتي لهزِّ الأرض أو ردم انشقاق سافرٍ

في الخلقِ، معطوباً بذنب آدميّ – فرقة الفردوس –

متكئاً على أفعاي، مشتعلاً بترسي

أخطو على ماءٍ أُجاج، هاغمساً للدغل والأصداف بالذكر

المبارك، هامساً للطحلب الشبقيِّ بالسبع الإناث منابزا

أهلي وخلاني وروحي.

** *

طلعت حجارة وردتي

وتهدهد الغرنيقُ جذلاناً وقامت ساريات والتوى

برقٌ ودفَّت عترة أبناءها، انفتح الصليلُ،

ثديّ تدلَّى، قبة وحمامةٌ تعلو وينبوعٌ يفورُ،

جمرٌ من الآجر تتبعه النسور

ودمٌ يرجِّف شهوة حرَّى وآنية ونور

وأنا أصلي ليتها الدنيا تداعت فيّ

ليت النارُ ترشقُ قُبتي والأرض سورُ

متلفعٌ بالأخضر الذهبيّ، كوكبي استدار

وصحنُ أبهتي يدورُ

أعلو على تاريخ تكويني وأهتفُ يا سرور.

* * *

خاتمٌ لوَّحت الشمس به نحوي فيممتُ عيوني

واستعدتُ الجرّة الفخار وأسَّاقط حولي ورق النجمِ

فهيأتُ غصوني أفتحُ الجنةَ تلوَ الجنةِ، انهالت

شموسٌ في صحوني، وارتوى نسغي وطاردتُ الفضاء

حكماً بالحلم، هيجَّت نساء بنساءْ

وسقاني الغيمُ خمراً بعد ماءْ

أيها الحلمُ اتضح وابزغ ويا حلمُ أبنْ عرقاً بعيداً هتكَ
الدمعَ بعينيّ وغاب
أيها الحلمُ اتقد واسحب سيوفي لحقول غابَ عنها الأنبياء
حُلُلمي أن أحملَ الأرضَ وأمضي فوق طبعٍ ليِّن
أفلقُ هامات الهواء
حلمي الآتي وقرآني سطورٌ خفقت
فوقَ محياي وغنتها الظباءْ
يا سروجي، يا شياهي، يا تعاويذي ويا أجملُ أقوالي
تعبتُ مثل طفلٍ لعبت فيه أناشيد وأحلاٌ بعيدة
وسعى يسبقُ رجليه فساقته السماءْ
علُّني أخلط أشواكي وريحاني وبلّوري وأحتُّك بنبعٍ عامرٍ
يلفحهُ الشوق وعلَّي أتهادى فوق مُرج شاملٍ بالنبضِ
علّ عرشي يتلاقى بعروق الدم في عقلي وعلّ العربةْ
تحملُ التيجان عني، وسطوح العتبة
علُّها ترفع أعلامي ونبلي
هكذا أبقى طريد الوهمِ، أبقى مزحماً بالزهرِ تكويني
أكاليلي ويُاقلُ قلبي بين إملاقين: إملاقِ عيوني في الذرى
والشمس، أو إملاقِ رحي في الشطوط المتربة
أصلُ الآنية الزرقاء بالسيلِ وسَمْتُ السيلِ بالغيمِ
وبالمقبرة الأولى وبالأيام
هُبيَّ يا حيايت مرة واحدةً ولُقفلي قلبي وناري فوق آماد
سباها القحطُ، يأكلُ حياتي رفرفي تيهاً وصدّي جمراتي
إنني أكتبُ تاريخ ملوكٍ قطعوا الليلَ
وشدُّوا عقدة في حبل هذا الكون وارتاحو بمجدٍ
وتلوا آخر ترتيل وراحوا

إنني أفلقُ صبحاص وأنادي الديكة

لغدٍ أجمل من أمسٍ وأبني مملكة

إنني أرصف أحلاماً وأشعاراً وأجناحُ سماءً منهكة

فاستدر يا وقتُ واسمعني وزدْ نبعي وغُذّ المعركة

هاتفٌ يا زينة الروحِ ببرقٍ زفزف أتبعُ نملي،

عاقدٌ أمري على ضربِ أزاميلي وخلفي زُكري تنضحُ

الخمرَ، وفي الصبح تلاقيني أُناثي بالسما مرتجةٌ فيها

وتحميها حقولي

أطبقَ الليلُ على مركبي التالف واهتزٌّ به مثل شبابي

وتلاقى عند أمواجي هبوب الطلع إذ نزِّ من الطلع شرابي

خردلٌ يومي أقليه وأبراجُ نهوضي سببٌ

يتكيء العمرُ عليه وخرابي

هاتفٌ يهتفُ أذّنْ واكتسح يَّما وعمَّد تيها لكتابي

فاستدر يا وقتُ واسمعني وزد نبعي وغابي

قلقاً ينفصلُ العاشقُ عن جوهره، يحرقُ جنحيه ويعلو في

سماء النور، ليتَ العاشق المجنون أرخى شعره فوق المتونْ

وتغنى بلياليه ومالت في يديه

لغةٌ بائدةٌ وارتدت الأرضُ إليه

ليته بدد غيماً بين عينيه وهزّ القمرين

وتمطت فوقه جنيَّة سكرى وحطُّت نجمة في الشفتين

ليته أطلقَ تاريخاً من العشقِ وأرخى وردةً من قلبه فيه

وروّى المقلتين

بالندى والنار والخمر وقامت رعشةٌ فيه وردّت عمره

غضاً وغطاه الُلجين

ليت ما أتلفه العمرُ وما ضيَّعه الوقت يعودُ، ليت تيجاني

وأغصاني على قرميد أطرافي تنمو،

ليتها تبتلُ بالطيبِ وتزهو.

* * *

أيها الماضي أعنّي..

ملكاً كنتُ وأصبحتُ على غصن أقاحي

الفجر طيراً خافقاً

أرجفُ بالنشوة والأورِ ويعلوني عتيّا

أمسكُ النار وأرتدُّ على حكمة أفعالي قويّا

ومتى أرجعُ أجتاحُ عناقيدي وأمتدُّ ليجاني نقيّا

أصلُ الشاردَ بالوارد والينبوعَ بالغيمةِ

والنارَ بأفعالي وأرتجُّ شهيّا

راجماً بالنور أرضَ النور مبتلاً بشمسي، ماضياً أتلو

تعازيمي وأشتقُّ رقاي

من شروخ الماء يا صوتي أغثني

ولنسرْ نبضاً بنبضٍ

يتهادى الدهرُ في مشيتنا تنثرنا

الغابةُ توتاً أحمر نلحقُ نجماً.

في صياح الديكِ وخزٌ للخزامى وارتطامٌ بدروع الليل

في الفجر تقوم السيدات الباسلات

من بقايا حلمٍ

يخفقُ في العين يعلّقنَّ الوشاحات ويلبسن إزارا

ها هو الديكُ وها شامالهن اللبنيُّ

عبقٌ رائحةُ الأنثى به ترجفُ والدفءُ

وعطرُ الضمُّ والورد الزكيّ

ها خمارُ الراعيات الشبقات انشق

ها ثقل الثديّ

رجّةٌ تطلقهُ من مخملِ الوردِ وتلقيه إلى روح الهواء،

ها جراثيمُ الهواء اختلط النسلُ بها وانفلق الطين عليها،

ها طرازُ الثديّ يكتظُّ بريحان ولسعٍ فوق صدرٍ مرمريٍّ

عكسَ النور وحنُّته أكفُّ المستهام الشبقيّ

ذهباً واشتعلَ الجمرُ عليه

فاستدار الكون في طاسينه وانغلق النون النديّ.

* * *

ربما قام الفتى من سكرةٍ يهذي ويبكي في يديه

ربما اشتق من الظلمة أنواراً وروى فجره بالعسل

ربما ردّ الفتيُّ الراهب السكران أفعاهُ على فخذٍ من

القرميد أو داسَ بنعليه حقولَ الكفلِ

بالندى المنساب من أنثاه حين اقتض أحجاراً وياقوتاً

ورواها بدمعٍ ساخنٍ أشعلَ في البيت حصاه

خاتمَ النارِ فساحت فيه أمطارٌ وغطته المياه

ربما انصاعت له الأرضُ ونامت، ربما قامت ونادته الحياة.

* * *

غابت الشمسُ ونامَ الشاعر السكران والتفّ على

الظلمة ظلّ الله وارتاحت سهولي

فلتمل يا كوكبي

واسمع أنيني قافزاً من جبل الآس ومن ريحان

أحفادي وم نهب فلولي

ما الذي أفعله وقيٌّ هباء وترابُ الخلق في كفيَ يجتاحُ

الضحى والطين والأرض البتولية، والروحُ على شفرتها

تصحو تغفو،

باهراً باجوهر الأسطُقس أفعالي

وزلّاتي وترتيل ضَّلالي ولغاتي، ضاحكا هاشاً

على ليلي وتحتي شفرة الخلق وسحرُ الكلمات

فابدأي يا أخبيلاتي وقومي

زمني يطفحُ في نورِ أوانيّ

ويمتدُ لراياتي فأزهو مثل ظبيٍّ زائل

يهربُ في الأرض وتخفيه رفاتي

فاجمعي يا أرخبيلاتي وشدُّي رجرجرات الطرس والزبرِ

الخرافي وردَّيه إلى أوله جفرا ندَّيا

يتمطى في ربي (إدريس) في بادية الخلق، في أحراشِ

(دلمون)، وفي ليل دواتي

بيننا يا نجع الساحل عرش واجتمع في جمعنا

وأحسن السحابات وهيء لضريج الشاعر المجنون آساً

وأجتمع يا بجعاً فوق أباريق وأمجداد ولُبني

واشتعل الأفق بترديد أغانيه ويا سنبلة العاشق عمومي،

مثقلٌ قلبي أرى سنبلتي تصفَّر، هل حان أوان القطف؟

هل لافحَ نسلي الأرض؟ هل أوردتي شاخت..؟

وهل فاض حناني؟

ونما من تحته الطحلب والمشعُ

فهل ضاقت جناني؟

وذوى في كأسَ الياقوت

هل ضاعَ زماني؟

رافعٌ أبهى تراتيلي إلى ربي ومعتلٌّ بشعري

أطأ الأرض التي تسحبني من نرجسٍ زاه لطيني

مثقلٌ بالنبل والزهر أرى سنبلي تصفُّر في أحلى سنيني.

* * *

حين قلَّبت كتابي،

حين أرخيتُ على راحتي الأنثى وقمتُ

نامت النثى على زرعي وعافت ثديها الفضيَّ مفضوحا

على أُملوده تهفو الفراشات وتُلقي طَلعها فيه وتسترخي بناره

لهبٌ يطلعُ ربي، لهبُ في الخدِّ.. في الظهر.. وفي

تكويرة الثديين.. في الساقين يعلو، لهبٌ يفتك في سربِ الفراشات

فيا زهرة تاريخي خذيني

أيتها المغموسة الآن بنارٍ غامضة

في حقولي واسمعي صوتَ مزاميري وأشجان حمامي

حرستك الغيمة السكرى وغطّاك سلامي

أي فؤادي.. هذه الأرضُ مصابيحٌ وسربٌ من نعاماتٍ

وأُمعوزٌ مهاجرْ

هذه الأرضُ ينابيعٌ من الفضةِ والدرع

الترابي وحشدٌ من أقاويلٍ وأشعارٍ واسفارٍ قديمة

أي فؤادي مزّق التاريخ

وأفصل بين لبٍ أبيضٍ والطين

افصلْ بين تامورٍ وقلبٍ خافقٍ يلهثُ، افصلْ بين جوفٍ

ومساريقٍ وجمعٍ فاسدٍ وابكِ طويلاً

أيها الشاهين صَفّقْ، أيها العصفورُ رقّق لي أناشيدي

ويا أنثى أهيلي عشّنا وأبكي وقومي في أساطيلي بابا

الندى يسقطُ في صحني وفي صحني ترتاحُ طيورٌ

وتغني قصباً يصبحُ غابا

كنتُ قد أسلمتُ أحلامي لفنٍ غابرٍ وانشَّق بوقي

كنتُ سوَّيت زلالي عنباً مراً وفاتحتُ ضحى الحانات

سكراناً وهيأتُ شروقي

رافعاً خوذتي الزرقاء بالسيف ومجتاحاً تخوماً،

مالئاً خوذتي الزرقاء حتى تطفحَ الخوذة، حتى

يسقط النجمُ على ثوبي وأبتلّ به، ربي أجبني:

كيف لم أعلُ بتيجاني أعلى

هتفتْ فوقَ روابيٌّ جموع الطير وانسلت مع الفجرِ

ونامت وأنا أدنو من الكهفِ وأبكي

فلنسرْ قلباً بقلبٍ ولنردَّ الليل مكظوما ومطوياً ونمضي في

أعالي بركة الشمس، نُحنِّي بدم الشمس ايادينا، ونبني

قلعة العشاق في الضوء ونكويها ببّحات الدموع

وبقول ساحرٍ يسلبُ لبّ الناس والدنيا،

وآفاقٍ تُصلّي للشموع.

الباب الثاني

الرُقى

في المحبة والتهييج

لو كانَ للنساء ثغرٌ واحدٌ إذن... لقبلّته واسترحتْ

بايرون

رُقية العاشق

نمْ... يا عين القطا

نمْ.. يا زين الشباب

نمْ.. يرعاكَ النبي

نمْ.. يرعاكَ السحابْ

إنني أدعو لكي تحضنكَ الوردةُ، والشمسُ

على اسطع غدرانكَ تنشقُ وأدعو أن يناديك

بياض الفجر للغوص به يا طفلي المجنون يا

زين الشباب العاشقين، القاطعين الليل

بالسكر والبوح الغنائي وبالترتيل للنجمة والماضي وسفر

الروح، يا قلبي، سأدعو أن يغطيك الفضا بالهالةِ الخضراء

أن ينثرك البدرُ بنور الذهب المنساب من راحه

أدعو أن أغنيكَ.. واهتزَّ بأحضانك

أحني غُصني في نهركَ العاري، وأعطيكَ ثماري

وأروِّي شفتي من فيض إشراقكَ.. من نبع معانيك وأزهو

فارقدْ الآن ونمْ يا طفلي العاشق يا أحلى الظباء

لقد أتعبكَ الخمرُ وليل الشعراء

والهيامُ المطربُ الواثبُ في حانات بغداد

ونادتك إلى البيتِ

نجوم الفجر والديك الذي صاحَ وناداك الضياء

حرستك النجمةُ العليا على حضني وغطَّتك السماءْ.

رُقية لجلب المحبوب

بحقّ نجمة المسا

بحقِّ آية النسا

بحقّ ما خلَّفه الوردث على الشفاه

والنورُ على العيون، والحنين والأسى

بحقِّ ثدييك يحطّان على عشبٍ فيهتزُ

يصبَّان إلى نبعٍ فيرتجُ به الماء

نقياً.. تنطقُ الأسماءْ

بحقَّ النجم خفاقا على طولكِ والجوزاء

أقيمي في شبابي قمراً

يفتكُ بالظلماءْ

وفكِّي في بابي نهرك الهادرَ

واستلقي على غصن سحابي

واملكي الأشياءْ.

رُقية الراعي

اخرجي أيتها الظبية

وارعي سحبي واستسلمي في مائي الزاهي

وصيحي فرسي بين خيامي

اخرجي ردّي سهامي

واحملي من عتمة الياقوت

أطواقاً ونامي

فبعينيكِ حمامٌ غاطسٌ في النور

والشمس على رسلكِ تحبو

فاخرجي للبرِّ يا كاملتي ولتتبعي الغفرَ الأيائل

عند هذا النهر

وابتلّي بطلع الورد والشذرِ

وطوفان السنابل.

رُقية عاشقة في الأربعين

خذني

ألم ترَ زهرتي ذبلت

وعافيتي ذوت

وسحابتي رحلت إلى جهةٍ بعيدة

واغسل بقايا العشبِ في قيعاني التعبى وأغصاني الوحيدة

ولقد ترى تاريخَ روحي شاحباً

فتفكَّ في حجراته ماءً وتُرخي فيه منزلةَ البروقْ

وتردّ عن عينيَّ إملاقا وتُلقيني الكواكبَ والشروق

هوَ ذا دمي

عذبٌ يضُّرج ناهدي

هو ذا يبلُّ أصابعي التعبى فينفجرُ العقيق

من زهرة الخدين والشفةِ الحريقْ

هو ذا يناديكَ: التفتْ

يا آخر العشاق في روحي ويا قمرَ الطريق.

رُقية تحت جرارِكِ

أدخلُ تحتَ قُبّة الجرار

أطفأ جمري خافقاً في مائكِ الطينيّ

في مقالع الماس وفي مناجم الوردِ وفي الكنوز

أجمل من جمركِ راياتي وأحني شعلةَ النهار

ملفعاً بالزهر، والشموس فوق راحتي

أدخلُ تحتَ قُبُّة السرّة

أشعل عشبي

وأرى تيجانكِ السوداء واللؤلؤ والخمرة

أشعل منها صولجاني

ملكاً يلعبُ في الشوكِ ويرتاح على زهره.

رُقية سبحان راعيك

سبحان من هيَّج نار الوردِ ف يخدَّك

واستبقى على الشهدِ وسوَّاك رقيقا عذباً

شمسٌ تُناديك

وخُدَّام يشيلون لك الدنيا

وها أنتَ زكياً مشرقاً تركبُ غدرانكَ

والدنيا تحييك

سبحانكَ يا بدر السما

سبحانَ راعيكْ.

رُقية تسخير منزلة الزهرة

هوى الليلُ على الأغصان

وانشقت لنا الأقداح، فاجتحنا تخوم الليل،

والأنثى بماء الليل ترمينا

فهيّجنا أغانينا، نشدُّ الليلَ، نُذكي نارنا.. نُطعمها خمراً

وطيِّبنا أيادينا على صدر ذوى من شهقة حرّى

على قدّ لهيبي إذا ما دار أو غنّى

سيهتزُّ بساقين يدوران على أطراف تلِّين عفيفين

فهبَّ الطلعُ والطينُ الذي لوّث أيدينا

ونادانا قاعٍ مظلم يرجفُ بالنشوةِ

والموت ونزع الروحِ.. نادانا

وأرخينا يداً في اللذة الأولى وما زلنا.

رُقية الساخنة

دقتْ

وشدتْ

فغنت الدار

دارت وهوت

فقامت النار

بالله أفقْ يا كوكبَ الليل

واسكر معنا من خمرها الحارْ.

رُقية لولاكِ

لولاكِ

لما أسلمني الليلُ لفجرٍ ملكٍ

والتمعت في قُبّتي النجمة

واهتزَّ لها طيف الندى الفاني

لولاكِ

لما كنتُ سوياً

ماسكاً شمسَ الذرى في طاسةِ الحانِ

لولاكِ

لما كنتُ تقيًّا

أصلُ النجمة بالنجمة

والكلمة بالكلمة

والقاصي بالداني.

رُقية لإخراج نار العشق

يا ندى الحمّى

ويا ماءَ الحميم

أخرجي من جسد العاشقِ والتفي

على خنصره المخضوب بالدمع الكريم

أيها الملقى على الزهرِ ويا تاجَ النديمْ

ما الذي ألقى عليكَ النارَ والسُهدَ

وسوّاك سقيم

ما الذي ردَّك طفلاً

ورمى فوقكَ أطواقاً من السحرِ وخلاَّك تهيم

فاخرجي يا نار من أعواده

قومي.. وعودي للجحيم.

الباب الثالث

أناشيد إسرافيل

عندما كان إسرافيل يعزف لحنه السماوي العظيم

في السماء ليوقظ أرواح الموتى

كان الشاعر في الأرض

يرتل قصائده لتوقظ النفوس الميتة.

ظهور إسرافيل

في الأقصى

ينفخُ إسرافيل الغيمَ إلى الوديان

ويشعل فيها النار، فتشتعلُ الآفاق

وتهربُ آلهةُ الأرض إلى بحرٍ منقلبٍ أعمى

وتفُّر الغزلان وتدخل عند مخابئها وتصيحْ

في الأقصى

يدخلُ إسرافيلُ قبورَ القدماء

ويوقظ أشباحَ الموتى

ويهيلُ على الكونِ الأبواقَ وصحفَ الطينْ

والكون حقولٌ من أحارٍ ساقطةٍ من أعلى عليين

وصوت ملائكة ينشقُّ وقرعٌ يعلو

والبشرُ أمام البحر الأول ينعتظرون

في الأقصى

يتسربل إسرافيل بزّيٍّ قدامى الآلهة

يهبط في الخلجان وحيداً ويناديني

الصوت يَرفُّ على الآمادِ الساكنة

ويُنطُقُ شَفَتي

من هذا الصائحُ بفمي؟

سيّد روحي.. وأخي إسرافيلْ

النشيد الأول

عجّل يا ملك النور

وهيّج نفسي ودمي

وتلقّف بعصاك الديجور

وسخّر قدمي

الماءُ يبل قلاعَ الروح، ويضربُ فُلكاً ساكنةً

فيّ ويغمرها بالزئبق والأصداف وآس الماءْ

والغمر يلُّف الأرض، فأرفلُ في شرنقة أولى بين الأشجار

وأتبعُ غاباً من غزلان الماء لتتبعني بإناث الماء

عجَّل يا ملك النورِ وأدخلني لجلال فانٍ

يشبكُ أرضَ الله ويُنزعُ بحراً قلقاً

وسماء وسنى وملائكةً يبتهلون

ونوراً يطأُ التلَّ الأول والغدران ولوح الخلق.

يا ليلُ.. بحقِ النور

أرجٌّ بكَ النور

وامسكُ بالكفين سلالة أهلي

وأصيحْ..

يا ياليل..

أنادي روحي في مرتفعٍ وأعذبها

يا ليلْ..

أغثني من نفسٍ تتوالدُ فيَّ نفوسا وتحاكمني

من هذا !

خادمُ صحنِ الغيم وسيدُ روحي وأخي إسرافيل

أقسمتُ عليكَ: توكّل باسم نبيّ يأسرني

منذ ولدتُ، وصوت يسحرني منذُ أفقتُ،

ونور يغمرني منذ رأيت.

توكل وانفخ بعصاك وغنَّ الروح وحرّك

في أعلاها النار وفي أسفلها الجمر ومرّ بها

في يمّ الظلمات وذكّرها بالماضين وبالأيام

مجمعةً ف يكفِ نبيّ ألق الروح

إنفخ بعصاك وغن لنا.

النشيد الثاني

تأتي الشمسُ تهزُّ عليَّ غصون الرملِ وتأخذُ روحي

في الليل وتمشي، وأنا بين النارِ وآنيةٍ من صلصالٍ

يتموجُ بين يديك، أرققُ دربَ الأجداد وأهتفُ برجالٍ

محمومين افترعوا تحت سكون القمر وحنَّوا الشعر

وانتَ تودُّ لو أن الركب يفرُّ إلى جبلٍ وينادي الله.

صحوتَ وقدتَ جموعاً من أمراء الصحراء وسقتَ

إليهم توتَ البّر الأحمر والفردوس

وإبلاً تحملُ صحفَ القرآن

فهيا يا شعباً

يبتكر الحرفَ ويمشي لجلالِ الشمس الأولى.

أتعجبُ !

كيف تلاقينا يا قمراً، كيفَ درجنا بين الحجرِ

وكيفَ وقفتُ وإياكَ قبالة موج الرمل الأحمر

أخذتَ بكفيَّ وقلت: أنظرْ. وأنا أتحيرُ يُلقون

أمامي كالأزهار الفخمة

وينادون الليل على حافات

الواحات خيولاً تصهل.. غنماً ترعى.. وشيوخاً.. شعراء

وكهان وبدوراً مغبرين يصيحون بهذي الصحراء ويسقون

جلال الكلم وكأس النور.

يا للصوت الخضل يضيحُ بسور الخلق البكر

يا للخشخشة المرّة بين الشفتين

ويا للشهد ينزُّ من الأرض ويملأ كاسات رجالٍ

لبسوا النورَ وساروا

يا للبرق يُشققُ في كفنِ الأجداد أمامي.

النشيد الثالث

وعرفتُ أني حاملٌ للأرض شمساً في الدجى

ومرددٌ آياً وسفراً

وعرفتُ أني ماسكٌ في الشرقِ وردته

ومنطلقٌ لربِّي أقطع الآفاق جهراً

أشكو ضلالتكم وأشكو جرةً فَسْدت

بأيديكم ومشكاةٌ وبدراً

فأنا سأرفعُ كلمةً وأزيلُ أخرى

والضحى في جبتي والعاشقون

هبّوا لرايتي الحنونْ

هبّوا فمن دمنا أرتوى السهاد

والتفَّ الندى في غصننا وصحى الدجى والنائمون

مُرخين في النهر الأيادي والجباة

برمل صحراء أتون

هُبُّوا سنلحق بالظباء

وردّدوا قولي وإياي اتبعون.

النشيد الرابع

أفلا يهزُّ الفتيةُ الملقون فوق ظهورهم صحفاً

دلالتها وقوتها، وأطراف السما

من فوقنا أفلا تكون

في كفهم أحجار مملكةٍ وغصنٌ آسرٌ

ومراكبٌ غرفت وآنيةٌ تطيرُ

من نبعها الصافي وأفلاك الربى أفلا تخون

دمكُم على النهرِ المباركِ يستفيقُ

وحلمكُم يعلو وقافلة السلامة

زُفّوا على وجه المياه وهلّلوا

من وردةِ النبعِ الزكية إنكم بؤتم

بنورِ الطهرِ والغَسقِ القيامة

أوَ تعلمون بأنه الفيض الذي رُفعت بسدرته اليمامة

ومشت على الأمواه فيه الشمسُ

فاستلقى بها الأعمى وأعطانا العلامة

قلنا أصنعوا ما شئتموا طُراً وقوموا

للذي قامت له الأشنات والأشجار

والحيوات راضيةٌ وصائحةٌ به

النشيد الخامس

قلْ: كيفَ تهدي الشمسُ صبًّا هائماً

وتدور في فلواته وتظلُّل الأعداء في لجج بعيدة

والبيدر يبغي اليسر فيه والترابُ دليله

والنهرُ والعشرُ الكواكبُ في يديه

رقصت له فرسُ الضُحى

فإذا تولى هزهُ الترتيلُ

واختارته وحشته ومسْ الحرثَ

واشتاقت مفاتنه لطلعِ طيبِ وشكا الظلام

الليلُ لا يمسس بنان المعتلي عرشاً من الأزهار

لا يمسس جنان الأصيد المجنون بالأحلام

هذا الليل للبلوى واللمحموم غيًّا والملاقي ربهُ بُكرى

بلا نزقٍ جميل

فدع الفتى يمضي لغايته

ويحلو الأرض بالشعر الهديل

فلهُ على الأنهار أغصانٌ تنادي

والندى متكاسلٌ ودمٌ عليل

لا عن تراضٍ لا عن نشوةٍ غنّى

ولا عَمّا طواه

هو كالذي اختارَ اشتباكَ البرق في فلواته

ومضى بأدغال الأهلةِ في سحابته وكوثرها ونام

إسكرْ

فان مستكَ ىلهة الجرار ولوحتْ

فاهتف لها

واصعد صعيداً طاهراً.. وطأ الربى

وأمسك زمام الصحو ولتطو العنان

حراً.. كما أعطاك إياه المدى

قلقاً على الطوفان

إذ يطوي الندى

قلقاً ومجتاحاً رنين الزعفران.

النشيد السادس

يا طاووس المَلك

يا أسماء الخدّام

أعيدوا قلبَ حبيبي محترقاً بالنار وملفوفاً بالريحان

فلهُ غصن الغار عفيفاً والتيجان

وله مالي وتراب جبيني وأواني

وسنجقي الذهبي وأعوادي الخضراء

ولون عذابي والطوفان

فأنا مجنونٌ بسلالات تقرع في الليل الرقّ عليّ

وتحملُ في الظهر المشكاة على الناس

لتبحث عن كلمة

وأنا مسحور بالآس وجند ملائكة سفليين

فبحق النور، وحقِّ مشيئة ملك النور

وحقِّ النجم الماسك لؤلؤة العرش

أعينوا جسدي في الفرقة واجلوا الصدأ عن الروح

وهبوا بين يديّ

وردوا أفلاكاً عني وغماماً عن زهو سمائي

النشيد السابع

أوَ ما تراه

الآن يمضي في السهوب

ألقاً، يُغني حين يلمسه الجمال

فلربما يابرٌّ كان ابناً لأنثاك القديمة

ولربما زرعٌ نما في ثنية الماء الزلال

ولربما هو طيركَ الذهبي في الفلوات

يسحب عشُّه وأنينه وسرادقات الضوء

في لفتاته

ولربما يومَ التقى القمران في سمت العوا

شدّت له الأغصان دالية

وناداه النوى

يُلقي إلى فوج المغنين القدامى أنجماً

ويشدُّ حقلاً من زهور النار

مجنوناً تلقّاه المدى والساهرون

فرحاً يشكّل أجمل الأبراج في قصباته

ويلامس الغرّ الهياكل في الدجى صافي العيون

ورعاً ويتلو خوف أن يُرمى

بنارِ العصفِ أو يطأ الجنونُ

النشيد الثامن

كيفَ بليلي

وكيفَ بهذا الذكَرِ يرجُّ عليّ الليل ويرحل

بي في أزمنة آفلةٍ، لنساءٍ رومانتيكياتٍ

وعشاقٍ مقتولين.

كيفَ بليلي

وكيفَ بأشباح الشعراء المخمورين تدقُّ عليَّ الأبواب

وتأخذني من نومي، وتطوفُ بروحي مدناً

كابيةً في الرمل، وربىً دارسةً في البحر وأحجاراً

كالبشرِ الممسوخين، قلاعَ ممالك ذَبُلت

كيف بليلي

حين يميلُ عليَّ بأنثى حاملة وحل الأفخاذ

وزهراً أسود في الشفتين

كيف بليلي الأبيض هذا

ينحدرُ كما ينحدرُ رضابُ الأنثى، كيفَ به

وهو يفتقُ في نفسي غارَ النملِ الأحمر

لتخرج من جسدي أفواج ملائكةٍ تسعى

كيفَ بليلي

يلقيني في نور العالم، والعالم مهجورٌ

إلاَّ من جمهرة وطاويط تمزقُ جسد الليل

الرخو وتبكي أزمنةً زائلةً. العالمُ مهجورٌ إلاّ من

مئذنةٍ تنهارُ بطيئاً وتلوح كسارية العربات الفارّة نحو

الماضي. العالم مهجورٌ إلاَّ منك وأنتَ تمرُ صباحاً كي

ترفع من حقلكَ نجماً وتدثره في آنية الماء وترقبُ نجماً

آخر يتدلى من كونٍ خربٍ. العالم مهجورٌ.. وأنا

والريح وذكراك وألهو بالأيام وأجفلُ من أيامِ يبست مثلي

شجرٌ يزحف في الليل

لعبّاد النور وقُرَّاء القرآن الخشّع

والملأ الأول.

شجرٌ يزحفُ في الليل فأسمعه وأنا فوق فراشي ألهو

بالنجم وأرقب أغناماً مترعة بالصرخات وشجراً يمشي،

وطيوراً تسحبُ أوراقاً لينة فوق الرملِ. وأسمعُ جمعاً يقرأ

عن آلهة العذرة تعزيماً عذباً، وأنادي أبناء النارِ إلى ناصيةِ

النور ودرب مقام الأجداد

كالطـــائر..

أُلقي البصرَ على صحراء غارقةٍ في النور

أقلّبها بين يديّ وألقي الحسرات وأبكي

زمناً ظلَّ بعيداً،

يا جرحاً لم يبرأ بعدُ، كم خطتكَ

يا جرحاً يتفتق كل صباحٍ وأنا

أخرجُ من داري للشارع منتظراً

كيف أصير إلى عمل يلتفُّ على محوره

منذ سنين ويلتفُ عليّ

يا جرحاً يتفتق في الليل قبالةَ سقف النجم

كأني في صحراء صفراء يجرجرني الغيمُ

إلى طرف البحر ويودعني الماء

كالفاتح...

قدتُ الشمسَ، تُمرَّغُ في حيضٍ دموي،

إلى حفلِ العرب الرهبان، وصيَّرت الشمس

دليلاً في صحراءٍ خاليةٍ خربة

أنبتُ القصب على الصخرِ وهيأتُ الرملَ

لحمل الطلع وفجَّرت الصحراء بخضرة روحي

وسموتُ وسقتُ الأرض لمرعاها ورجعتُ

وحيداً بعد قرون خمسة عشر أعدُ

نجومَ الليل وأفطر بيضاً مقلياً،

أنتظر الباص لأدخل عملاً يلتف

على محوره منذُ سنين ويلتفُ عليّ

النشيد التاسع

ها هو العمرُ

سَرى نملٍ

وأوجاعُ جريحْ

من يردَّ القحط عن روحي

ومن يحمل قلبي

نحو ماءٍ عذبٍ نحو سحابة؟

من يصدَّ التلفَ الأعمى عن النفس

ومن يأخذ كفي

وينجِّيني من الرمل الذي يزحف في الروح ويلقيني بعيدا؟

أيها الصوتُ الذي يهبط من بيتِ السماوات

أعنِّي

واكتسح بالنورِ أرضاً مظلمة

أيها الصوت الذي أسمعه يزحفُ في الليل

وفوقَ الزرع، فوقَ الحائط المظلم

ينسابُ بطيئاً

ايها الصوت الذي يخرجُ من مزمار إسرافيل

يغزونا

ويمتدُ على أجسادنا

يا صوتُ..

هذي النفسُ.. نفسٌ مُتربة

جسدٌ يهوي إلى القاعِ

وأرضٌ خربة

فأمسك الحبل

أعنْ يا صوتُ هذي العربة

النشيد العاشر

أيها الطفل الذي يلفحه الماء

ويستلقي على الشاطيء سكراناً

ويهـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــذي..

أيها الحامل إكليلاً من الغارِ

وتاج الحكمة الأولى، أفقْ

وارجع الآن لأهليك وبيتك

فالذي تبغيه لا يُلقى

ولا يعرفه الناس

ولا يسعون فيه.

الباب الرابع

الرُقى في الأدعية والتعاويذ

أجب يا قمري بحق الكلمة وبحق الاسم الذي فجّر الماء في البذرة..

أجب يا ألق السحاب ويا ليل التواقيت واضرب بيدك العبدية تاج قلبي

وليّن لي الندى ورقق لي سلالة الورد وغبار الصلصال وأحقق على شهوتي

نرجساً وقرنفلاً وذهباً.

من كتاب خزائيل

رقية الراهب

إقرأ ولفَّ الرد بالجسد النحيل

إقرأ وغطَّ الروح بالأوراق واكتب أسطرا سوراً

وردَّ الخوف واسبحْ في سمائك

إقرأ وعلَّمنا كلام الزُمرة العليا

وأطلق آية فينا وأدخلنا الخميل

إقرأ فغيركَ ما قرا

وامسك نجومك يا عليل

أو عندما ذبلت مآقيك ابتلاك الله بالأشعار والنجوى

وألقاكَ الردى ظبياً قتيلاً واستفاقت حولك الأنهار

والأغصانُ والتيجان وانكسر المدى !

أو عندما ذبلت رياحين على كفِّيك

واتزت مزامير على شفتيكَ

وانفلقت لكَ الأكوان واشتبك الفضا !

أو عندما غنَّيت في المنفى رمتك الريحُ

واحترقت أغانيك الحزينة

واستراح العمرُ في وهم سدى

لله من عمرٍ عجيبٍ سارحٍ في البدء

منفيّ بآخره يقلّبه العدى؟

رقية لا تغض الطرف عني

قلق السهرانُ في الليل

فأضناه الجوى والتفَّ بالأقداح والدنيا تناديه

يُديرُ الخمرَ بالأحزان والجمرَ بماضيه

وغنى هائماً أندى لياليه

وشقَّ الثوب نصفين

ونادى باكياً شمسَ حبيبٍ غادر الدنيا لباريه

وأرخى وردهُ فوق كؤوس لعبت فيه

وأحنى رأسه للأمس والتاعَ

وشقَ الحرثَ والماءَ بأنفاق صحاريه.

رُقية قد ذوى الأمل

من ترى ينجدنا.. يحنو علينا؟

وترابُ البشرِ الفاني على جبهتنا

والعشبةُ الطينُ

ونارُ التهلكة

لا الخلودُ الوهمُ.. لا الشعرُ

و لا كلّ الدروب الناسكة

فاستدر عن هذه الصحراء

وأتركها لأسراب الحجار

تزعقُ الليلَ – النهار

وتعيش الزمنَ الخاوي بروحٍ حالكة.

رُقية الجلال مشتبكاً عليه

تتعقد الغيومُ في بنانه

ويلكزُ النجومَ ظبياً نافراً ورايةً محاربة

ويستفيقُ في الضحى

ليستطيبَ خلعة السماء في عيونه

ويرتوي بالخمرِ.. يُلقي قاربه

في لجّة البحر، فترمي حاجبه

آلهةُ النسيم، وارتعاشةُ الفجرِ على شفاهه

والموجةُ المصاحبة.

تعويذة الفم – الجرح

هذا الفم

جرحٌ قديمٌ غائرٌ في الجسد النبيّ

أو في الجسد الشيطان

متى سيُشفى جرحنا؟

متى سيغفو؟

ومتى سيدفنُ الزمان

مغارةً سحيقةً وقارباً سكران؟

دعاء لتسخير المعشوق

عاشقٌ يركضُ صوبي

عاشقٌ يمشي بأيديه النجوم

فالقه يا ربُ في ناري

وهيّجه بأزهاري وأجعله يحوم

حول بيتي

لا يرى غيري

ولا يعرفُ طعمَ النومِ والراحة

واسكنه الهمومْ.

دعاء قمْ ورتل يا مغني

قلتُ افتحوا البابَ

وردُّوا زمراً عني وخطّوا في الحجاب

قلتُ اقرءوا سحراً على سحرٍ

وشدُّوا قصبا بالنجم

رتّل يا مغني في الخراب

قلتُ احملوا الأسرار من كتبي

وفكّوا الزبر، ينسابُ السحابْ.

تسبيحة الكمال

ها أنني أبارزُ الخطايا

وأقتفي سلالة أخرجها الله من الجنةِ كي يعبدها

خاليةً من عُتر الظلمة والظلال

ها أنني أُسقطُ عن تاجي شوكاً.. نزوةً

وأرتمي في الساكنِ الصافي.. في الجمال

ملفَّعا بالوردِ، والشموسُ فوق جبهتي

ها أنني أدخلُ في الكمالْ

وأنتهي من ليلِ طفلٍ قلقٍ جوّالْ.

رُقية يصعدون من أجلنا

يصعد بين الحين والحين

من صخب الحياة.. من سكونها الغامض

من حرارة الطين

حشدٌ من الفتيان

يُلغونَ حدود الأرض والأرواح

حشدٌ يغنون زماناً آتياً

ويرفعون رايةً تخفقُ بالجمال

فوقَ الطين والألواح.

رُقية الوحا

الوحا.. الوحا.. الوحا

والنارُ التي هاجت بروحي

وأنا والليلُ والكلمةُ، محتارٌ بحالي وبتكويني

أسعى لزمانٍ غابرٍ كالوهم

أسعى واللظى يعلو ويكويني

ماذا سأقولُ الآن؟

والأرضْ حجاراتٌ وأحبابي حجارٌ

وأنا والحلمُ في الطين

ماذا سأقولُ الآن؟

هل أكتب سحراً.. لذةً.. خمراً و لا أقوى

أن ارفع روحي من ترابٍ سافلٍ والناسُ من حولي

أفواجٌ كآلاف السكاكين

ماذا سأقولُ: ربّي خلصني

يا ربَ الوحا والساعة الاسعة والحين.

الباب الخامس 5

في التراب الذي ينهال على القلب

سأظل دائماً وربما إلى الأبد كذئبٍ في كمين

أثب إلى قمة المثل الأعلى

بودلير

من أخرجكم

من علمكم

من صيَّركم سطرا سطرا

من أعطاكم سحباً تترى

من حنَ ومال لنسلكمو

وأفاق بكم شمساً تبرا

من شدَّ ومد وردَّ الماء وأطلعَ دهرا

بالوردة بالسنبل يـا أفلاكُ وباسـمي ببقايـا العبَّاد الخشع والتاريخ المنسي وأبهة آفلة سأنادي وأعيدُ الـروحَ لطينة بابل والأنوار لشمس تشرقُ فوق اللوح وشـمس تغـرق تحت القصـب * سـأعيد الأرضَ لخضـرتها وألمُّ شتات الشـملِ عنـادل تطفحُ فجـراً بـالأحلام أقـودُ العيسَ وأهبـطُ في الوديـان وأغـوي الشـيهم وزهـر الـبرُّ وأغوي غنمي ونداماي أطلـق سـهماً فـوق أسـيلِ النهـرِ وأرقبُ جُرحـاً يطلـعُ فيـه * النـدم يـرّف عليَّ ويمسك روحي ويناغيني الحمد وأشـهدُ أن الشـمسَ تحنّ إليُّ وتفتك، أبـداً، بالأعـداء * إن هـذا مـا علَّمه البهلول لأشـراف منتفخين على أطـراف المُلـكِ يـروني بينهمـو طفلاً مخبـولاً متَّسخا وثنيـاً، يلهـو بالكلمـــات ويلعبُ بالتيجـــان ويُحـــيي أحلامـــاً بائـــدةً ومســـلات زائلـــة ورُقى * يـــا شـــمسَ البرِّ أفيقي فوق مياهي ودعي الحلم يناسخُ حلماً ودعي العشـبَ يشـبُّ على أطـرافي وفمي * وسـلاماً حين يطوف على أطراف الأنهخار وحين يشبُّ لشجر عالٍ وحين يصيحُ الديكَ الغالي * شهدَ النجمُ بأني ملكٌ | أُلقي الزهرَ على الأسوار وأرمي السنبل فوق خوابي وأطأ الحقلَ وأطلقُ في الأرحام النفس لأخلـط نسـلي بالياقوت وأخلعُ لدمي بهجةَ تُرسي * شهدَ النجمُ بـأني المطـرُ المشـتاقُ لأرضِ النـورِ، وأني أصـرخ فـوق الطورِ وأني عبدٌ أركع تحت جمالِ الوردِ وأني عبدٌ أرفلُ بالأسمال، وأني ألعنُ ملوكاً شـاخوا في التيجـان * وبهذا نطقَ الرهبان وبهذا اشتبك الدهرُ على أبنائي وعلى أعواني وعلى قمري* وبعيـداً سـوف أصـولُ وأخفقُ فـوق المـاء وأُحـيي شـعراء محـترقين ورهبانـاً منكفـئين على الزَّبر الأول، بعيدا سأصـلي للبشـر المطـــرودين من الجنـــة وأصـــيحُ: ينـــامُ على من نـــامَ المـــوت، وأســـهرُ يـــا كوكبـــة النبّان لأمسك روحي * أنتم في شرك الشوق وأنا في آخر قافلة الكهَّان أقلَّب نجماً في الليـل وأسكر فجـراً وأنا هيمان بين نجوم راجفة بالسرّ ألـوُّح للأيـام وأمسكُ نـار الخلـقِ، أسطِّر فـوق سـماءٍ سـاهمةٍ أحلامي وأماني، وألعنُ أياماً ضائعةً مني، وأروي وجعي يمتدُ عريضاً مثل جروح فوق شفاهي * يا موتُ أصـدُّك وأتـــربصُ منـــكَ بشـــمسٍ بائـــدةٍ ونـــدامى مـــذبوحين على نهـــر الخمـــيرة واللـــذات وأشـــهرُ ســـيفاً وأُنحِّيك عن الزهرة والأنسام وأطرد اتباعكَ من ليل حظائرهم وأُحيّي الوردة وأنام * أتقلَّب فوق فراشـي، أسمعُ هذا النهرَ يُفتِّق ما فيه ويرمي الجثث الملكية والفلك وآجُرًّا أحمـر ينشـقُ عن النملِ وسـرب ممالكـه تغسلني آلهة الشلال بماء الفضة، وتغطيني بالأعشاب وتمسحُ فوق جبيني وتُلبسني التـاجَ فتخشـاني الأيـام وأبصرُ شعبي مطوياً في الموج ومغموراً بـالزهرِ وممتلئـاً بصـباح أبيض وحمـامْ * فمن منكم نـادى عنـد شواطي الروح على عائلةِ الأحجارِ وعائلة الأشـنات وشـقَّ بهـا حرثـاً للخلـقِ وعلَّمها تخفق تحت السـحب الداكنة وسيف الماء * من منكم علَّم هذا البحر محبة وجعي أو لامسَ أنثاه بـروحي وتلقاهـا بـالتهييج وردَّ الطين لثغر الطين * قلْ كيـف رددتَ فراشـات تتمايـلُ بالفضـة والأعشـاب عن النـار وكيـف ملأتَ أواني الخمرة بالأمطار وكيفَ رضيتَ بهذا القلب وكيف انهال الرملُ عليه وكيف تداعى كالأسوارْ *

الباب السادس 6

الرُقى في الطرازات الماجدية

أفهل خطفت مهجته

وميلته بالسراج إليك

وغمست عقله في ماء الجنوب

قمرٌ فهل أحسنت مناعاته

خلطت ترابه بالورد والعقيق

وهيأت له الماعون والخمر

حتى يقدم إليّ في وابل

الظلمة والناس نيام

إذا كنت قد فعلت هذا

فتوكل وأفرك أحجارك

من كتاب خزائيل

رُقية السكران

ضارباً بالخمرِ أعضائي ومجتاحاً أنيني،

راشقاً سهمي على جيشين

من صحبيٍّ، جيش ثملٍ يعلو

وجيشٍ كالرنين

أُعقدُ البيرق للألوية البيضاء

والظلمة ترعاني وأبراج السنين

ماسحاً بالأخضر البُنيّ أقداحي

وتارخ خرابي

سَّمه وهما هباباً بفتحُ البابَ وناغرَ الأخيلة

سَّمه الورد وكأساً مهملة

سِّمه برعم قلب النور في لبِّي وشمسا سائلة

كيف لم أهوِ بأعوادي على نسجٍ نحيلٍ مُترفٍ يلتزُّ بين

العاشقين، كيف لم أبتكرُ السلسلة الأولى من الخمرة

والوردِ ولم أرمِ بأحماضي الحجارة

كيف وسُّدت جناحَ الباز وارتحتُ على مخلبه يخدشُ

روحي، رامياً بوصلة الريحِ، تهيأ يا فؤادي

وليكن نبضكَ شمساً في الأعالي وامنح العمرَ إلى زمرةِ

فتيان وخمارين منسيين في بغدالد واستلقِ شهياً في النبالِ

ماسكاً آنيةَ الطين ومَلقيًا على العشب أُغني للدوالي

ودمي يشرق بالنورِ.. وترتاحُ على نحري نصالي.

رُقية الورد

هيئ لكَ ورداً يا سليل الورد

هيئ لك كأساً عذباً كالشهد

فالشمسُ ذوت.. و حانَ وقت الوعد

يا من لمست بنانه السحابة

بالغصنِ تردُّ رايةَ الزمان

بالوردة..

بالعشبة...

بالكتابة...

هيئ لكَ قلباً يا حزين القلب

يُدنيكَ من الغناءِ والصبابة.

رُقية الضحى

أبكي...

وأناديكَ على صوت الرحى

يا من ملكَ الليلَ ومن ساقَ الضحى

أفديكَ بما أملكُ يا نبضَ دمي

أفديكَ بما صيّره الله وما محا

مولاي

لكَ الخاطرُ قد راقَ

وفي حضرتك القلبُ صحا.

رُقية زمر الليل

قلْ كيف ترى النار

والكأسَ التي تشرقُ في الليل

والجمع الذي يحنيه سكسرٌ

والنجم وصيحاتِ المواويل

قلْ كيفَ ترى الفجرَ يغطيه السكارى

والشحى السيل

قل نورَّ كرمُ الله

فوقَ الشفة الجذلى

وقامت روحنا وامتطتْ الخيلْ.

رُقية الأكمل

شوقاً لكَ سيد الرياح

أطلقتُ طيوري

من أسر ليالي النار والوجد

من ليل جذوري

شوقاً لك.. للفضاء للصباح

هيجتُ ندى الورد

واخترتُ بأن أمسك بالجزرِ وبالمدْ

كي أشبكَ بالجلال والمجدْ

صبًّا قلقاً يفتنهُ الله

صبًّا يصلُ النسمةَ باللحدْ.

رُقية الدهر

حلّت ساعتي

ورجّت البحر

بانت وأتت في أول العمر

من أنتَ لكي تدفع عني

موجاً قلقاً يدفعه الدهرْ !

رُقية لإضرام النار في حشا العاشق

ناداني... في الفجر صياحُ الديكِ يا قلبي

فاملأ قدحي من غيمة الصبح

مولاي طفا الخمرُ على روحي

واشتدَّ عليَّ الجمرُ في جرحي

فاحمل من تراب الفجر وانثرنا

مولاي.. طفا الخمرُ على شيبي

فاحملني على كفك يا مولاي

واملأ قدحي بالخمرِ والعشب

وأغرقني به

وليسترح قلبي.

رُقية الشريد

في الليل أهيمُ يا شقشقة الأقداح

أدفعُ الكرى براية سكرى

أتبع الزمان حافياً في الفجر

أملأ الفضاء من لضى المصباح

ألمسُ السما

وأحضنُ الأرواح

أدفع السنين في ضحى الومضة

أمسحُ المدى بميسم الفضة.

طراز الخمرة

عجب الناسُ لهذا الصبَّ معطوب الجروح

عطشاً يفتنه سكرٌ قديم

بلّ كفيّه وروّى وجنتيه

فتدلت كرمةُ الله عليه

وهو يشدو من هيام وينوح

عجيبَ الناسُ لكأس في يديه

ورقصت فيها بوادٍ وسفوح

فهي كالشمس ارتوت من مقلتيه

وسنت في كأسه عطراً يفوح.

الباب السابع 7
في حضور إلهة الفجر

كانت أسلحتي ملوثة

بالريحان وكنت أذبح قرابيني

قرباناً بعد آخ تحت حجلك

وتويج الذكورة يصرخ بي

ويضرجني

ودروعي كانت تشع

وزردي

تتفصد وتشع الجدران المصبوغة

بشبقي تشع وأنا أشع

من كتاب خزائيل

في النار أُلقي خاتمي

وأصيحُ من تعبٍ على أيامي الأولى، وألهو

بالنار حاصدةً ليلالي الشاعر المصفرّ

من حمى ومن قلقٍ عظيم

في النار أُلقي جُبتي

سكرٌ.. مضرَّجة يدي بالخمرة السلوى

ولاهيةٌ بنار

في غابة الوردِ المؤججة اللعوب

تتناثر الدفلى فاقطفُ زاهياً

ثمراً على جسدٍ كسولٍ مترفٍ

يبتلُ بالعتمات والعرق الشهي وعنفوان السيل

والتيجان من زهرٍ يُحنيّ السرَّةَ الكأسية البيضاء

والإبطَ الندي

في النار..

يا من أرتضيكِ إلهةٌ أولى

وأرضاكِ الربى واليمِّ والأنهار غاسلة يبابي

في النار..

مُشرعةٌ سفائني القديمة

الجنون ورايتي السكرى وساريةُ الفضاء

كيف أنحنيتُ لهذه الفرعاء

كيفَ تشابكت

نظراتنا وغصوننا

كيفَ احترقتُ بنارها

وشُغلتُ بالزهرِ الجميل يبلُّ قامتها ويُثقلُ شعرها

وأقولُ أرْحَلُ

من أنا..

حتى أقودَ إلهة النُعمى إلى هذا المدى

وأحيطها بالآس والأطواقِ والسُوَرِ الجليلة؟

وأقولُ أرحَلُ..

قامت الشمسُ البهية في دمي

واعشوشبت وتنادمت

في الصبح.. وانطفأت مصابيحي الخجولة

وأقولُ أرحلُ

فاتني زمنُ التوثب والصبا

لكنَّ برجاً أسوداً ينهارُ في العينين

يوقظني فأسمو

في النارِ باسلةً مقدَّسة مُهابة

لولاكِ ما اشتعلت بروحي خُضرة الدنيا

وما صحت الكتابة.

* * *

من أنتِ حتى قدتني؟

وسقيتني هذا الجمال

ورميتِ لي ورداً وباكرتِ الصبا

وأنا العليلُ الشاعرُ المضنى بليلته الكئيبة

أصلُ الوجودَ بقوةٍ أولى

وأبتكرُ الكلام

من أنتِ حتى قُدتني؟

لكوؤوس لذِّتك النديّة

وتركتيني في الفجرِ أكسرُ جرّتي

وأغازلُ القدمين

أهبطُ في براري الجذوةِ السكرى

وأهذي..

أصلُ الندى بالنار

والنارَ الزكية بالغمام

من أنتِ حتى عندَ نزوتكِ الذبيحة أرتوي

وأصيحُ من بلوى: حنانكَ يا حمام.

الباب الثامن 8

الخلاسية.. بمخملٍ أسود وأكتافٍ عارية

أيتها المرأة. أيتها الزهرة الحارة

لك وحد، يا ساحرة،

نغني أبد الآبدين

وبلا ندم، دمائي

المحترقة بلطى

تعرك وانت تسمين

من علياء كبريائك

الصارة مطبقة على

ساعديك هذين

الساعدين البضين

الرائعين كالموت.

بعد أن عدوتِ تحتفي

راضيةً وأمسيت

بمصيري سكى لاهية

البير سامان

للأنثى كانَ عقيقٌ يتناثرُ تحتَ مرابضنا

وسحابٌ فوق أسرتنا وأنا أتجلى وأناجي

أعلامي الهاربة بعيداً عنكِ وأضربُ فأسي:

أيْ ربي، كنتُ ألمُّ سيوفي وأجولُ بها

للجهتين شمالاً، شرقاً، وأولولُ أنسى

أبهتي وأكاليلي وندامای وأنسلُّ بطيئاً تحتَ

ردائي بسكاكيني، أقطعُ دابرَ سيلِ النملِ

على أعضائي وعلى حجري، فأنا مشتبكٌ

فوق شفاهي بالخمرِ ومشتبكٌ بالنشوةِ أستعجلها تلعبُ

بدمي وأواريها غابَ الوردِ وأصنعُ برجاً لمدائحها

وكواكبها، وأبكي يومي وعشيقاتي وسلالة أصحابي

الضالين وأغرفُ فيضَ الشمسِ وقوةَ نبعِ الخمرِ وليل

نعوشي... أي ربي يومي يتقدُ وآنيتي تتكسر واللذات

أشاحت وجهاً عني ونسائي غادرن عروشي.. وأنا

أتوضأُ بالنور وأذكرُ صوتَ الشمسِ، بطيئاً، يطرقُ

وجمع إناثٍ يخرجن بجرات الخمرِ ويقرعن الغبشَ الجنسي

وينظرن شباباً يكتحلون بليلِ الخمر وأقداحاً تتهشم فوق

رخام الفجرِ، مجنوناً أرشقُ هذا الحشدَ بنبلِ المحترقين

وأحرقُ رايتهم وأصابعهم وأهيمُ لأملأ قربي بالوردِ

يا سحب القيوُّم، وأضرب نوقي وأسيرُ بعيداً، ملتفتاً

نحوَ العُنّاب المناسبِ من الغيم ونحو الفتيان المذبوحين بنهرِ

اللذة يسد لهم رهبانٌ مهمومون إلى نبعٍ سريّ وتكايا

ألمحُ أُنثاي المبلولة بالماء تلملمُ زئبقها وتديرُ بطاسِ زمردها

الخمرَ وتركضُ نحوي... قومي أيتها السكرى في ترقي

ودلال صفاتي وامتلكي نبعي وسيوفي وخزاماي، وهُبيّ

في ساقيةِ رفاتي.. قومي فوقَ لعاعٍ مكتنزٍ باليخضور

وردّي شفة الخصب على مذراتي يا زينة أقماري

ومناديلي، ومراياي وطينة خلقي وسحاباتي.. مشتعلٌ

في شطآن يديكِ كنورِ المشكاة، فقومي نضحكُ فوقَ

عجائبنا، وتشقق يا فجرُ وخذ أعوادي وأقرع طبلَ

نداماي وهيّج تحت خلاياي أنين ا للذة واملأ جسدي

سأصيحُ على أبواقي ومزااميري ورقاي أصيحُ على ليلٍ

غطاني ودلالٍ أرخى الشمسَ على أعضائي وهبوب الطلعِ

على تيجاني، وأصيحُ على عرباتي وخيولي وحقول

النسرين وأمتعتي وشياهي.. أصيحُ على مخملها وقلائدها

ومعاولها، وأصيحُ على ثديين رخاميين وثغرٍ كالتينةِ

ومنارات ترفلُ بالرايات.. اصيحُ على القاصي فيّ على

الداني وأضمُّ إليَّ خلاسيات يدفعن الموجَ ويرخينَ أصابع

سمراء على الأقداح، يصبنِّ فؤادي بالنبل، يسقنَ غزالاتي

في الليل فأبقى وحدي.. هيا يا أحزاني نسعى وسنفصلُ
كل فلاةٍ عن راعيها وسنشعلُ كل رواقٍ منطفئ بالنار
ونغوي الغاوين ونركبُ سنيلةً ونهيم.. أنتَ أهلتَ
على دمكَ، الشهوة والتيجان أهالت شهوتها فيكَ فقدتَ
جموعاً من غزلان نافرةٍ وهجمتَ بها محزوناً فوقَ ا لأرض
على قحط ويباس أعمى.. في شمسِ اللذةِ كنتَ اخترتَ
ملاذكَ وصرختَ وألقيتَ نداماك وكلٍّ خمور لعبت فيك
كسرتَ جراركَ حينَ هبطتَ إلى القيعان وسقتَ إليك
لذائذ تلفُت فتلفتَ كما يتلفُ بلورٌ يا قلبي.. لن ندخلَ
باراً إلا ونهزَّ به الجدران ونخذل فيه الحشمة لن نهجرَ
كأساً إلاُّ ويصيح علينا لن نرحلَ عن صحبة فتيان
مهووسين.. ولن نطأ البيت، فترابٌ ينهمرُ البيت،
وسكونٌ يفتكُ بالبيت، وشرابُ الزيتت، وجسدٌ ميت،
وأيادٍ تطرقُ ليتَ وليت... لن نتركَ طيراً لا نيضُّم إلينا
وجبالاً لا تنشقُّ لنا، لن نترك أجيالاً لا نعرفنا أو عشباً
لا يهتز وسحباً لا تمطرُ، ظباءً لا تصدحُ، حجاراً لا
يرقى... أنتَ أهلتَ على دمك الشهوة، والشهوةُ رجّت
فيك الروح، صحارى في الشهوة، فراديس، تكايا،
ابواق جنون في الشهوة.. والشهوة كرمٌ في الأقداح
وحمرةُ أطرافٍ وخدود، وتوردُ أخدود وشموسٌ تنضحُ
طلعاص فوق القمم والشهوة فوقَ خواني وأوانيَّ وتحت
قميصي وعلى علمي..

الباب التاسع 9
في ذكر الأجداد وكيف أنهم احتفلوا بقدومي

معي وحدي

مفتاح هذه

الجنة المتوحشة

رامبو

باسمكَ يا قمرُ أهزُّ تعاليمَ الرهبان وأضربُ تاريخاً شاخَ وآنيةً فوق الماء * وأجلو عن سطح المعدن نقي وخزاماي وشمسَ الأشنات، وأُلقي بين سهول الذهب ذئابي ومراياي وغزلاني الهائمة واتبعُ قطعاني الهابطة بعيداً وأغني محترقاً * أمشي بين شعابٍ ضاربةٍ كالنبضِ وبين مزاميرَ مكسّوة وجرارٍ طافحةٍ بالطحلبِ والأعشاب * أسيرُ لمبتغيين يقودان إلى شرقٍ قلقٍ وشمالٍ خاوٍ ينعبُ فيه الطير * باسمكَ يا نورُ سأرشقُ بالتجيان الأسوار وأفتحُ في الطينِ سدوداً تالفةً ومخابئ أسلحة ومقابرَ جندٍ منسيين وأُبهةٍ مطفأةٍ * وأنادي يا قمرُ تهيأ وأرفع عنّي جمر غطائك واسحب جسدي للشلال وزدني طهراً وانفخ بدمي طيبَ العيشِ ونور الخلق* يا قمر أسمَّيك الرقّة أو بعض دلال بلَّ جبيني بالياقوت وسافد عشبي بالأمطار، فهيء وردكَ فوقَ عيوني وأطلق قدمي * يا إيلُ سأدخلُ في الأحراش وتدخل جنبي ونهيم ندقُّ على بـا بِ السنوات ونهبط عند تخوم الأرض ونمسكَ أحجاراً نُقشت بالأسماء وزينُّها الزهر بلون الغسقِ ونُحيي أجداداً نادوا الله وغنُّوا للأيام وغابو * أتعجب كيفَ خرجتَ من الكهفِ إلى نور الأرض، وكيفَ نصبتَ سقوفاً واستبدلت الحجرَ بعظم الحيوان وأرخيت ا لنهر لزرعٍ يتمايل بالسنبل والأوراد وروح الطلع * أتعجبُ كيف خرجتَ من الظلمة في حجرٍ وزعقتَ وكيفَ أخذتَ بقوة شيطانٍ وهجمتَ بها فوق جنان ذابلةٍ وموت * خرجتَ إذن وعرفت اللغة الضيقة، تلاقحت بها ورجمت بها الأحجار وسربَ الوحش وسقتَ إليها ماء الأنثى ودفعت بها نحو لساني من عصر الآلهة الأولى، وأنا الآن أحارُ بها وأُقلبها بين يديَّ، أسويها طينا، برجاً، صنماً وأضيعُ بغابات الكلمات وأهذي * أ رأيتَ.. أفكُّ تعازيمكَ والأبواب المقفلة وأتلوكَ نشيداً سريًّا للأشجار وأكتبُ وجعي فوقَ الحجر، أقولُ لعلكَ يومَ ترُّق تحنُ عليُّ لعلك في ظل النار المشبوبة تخفض سيفاً وتصالحني * من يسقي هذا العاشق خمراً ويناديه من يمسكُ بردته ويطلسمها بحروف وتحايا ما خرجت من شفة الناس ولا الحيوان * أنادي في طرف البرَّ سماء واطئةً وجنوداً غرقى ومراكبَ تالفةً وأنوح أقودُ غواتي لـ(سرنديب) وأطوي بيدي طرفَ الغيم لأخلط في التاريخ سماء كالياقوت قوماً كاليقطين وأطلقَ بين شعاب الأرض الصفوة بهذا الحشد من البشر الضالين وسلالات زرقاء دمٍ تعلو * كم صحتُ لعلّي وحدي وأناديك فأسمعُ صوتَ الله على صخرة هذا الكون وأنا في بيت يتداعى، محمولاً بزنابق حمراء إلى الموتِ ومشتعلاً في فجر شبابي، أترقبُ يومَ فنائي، وأنادي البرَّ، أغني مثل فراشات سوداء خرابَ العمر * أترقبُ وقت ظهور هلالي وأخطُّ على رقِّ غزال أبيض هذي الكلمات وأمحوها بالماء وأغسلُ وجهي فيه، وأوشمُ من ترغبه النفس وأحصنه بفراشي وأنامُ فأصحو تحت مباخر نارٍ لينةٍ وحصى ولبانٍ * يا نارُ أفيقي قلبَ أنيسي أقسمتُ بأن يحضر في رمشة عينٍ ويُحييني، أقسمتُ عليكم ياأرواحُ ويا سكان الوديان وخُدُّام الأسماء، أقسمت بحق الكلمات المكتوبة فوقَ سرادق عرش الله، وحق اللوح المحفوظ وما فيه من النقش السريَّ، أقسمت بأن تعطوني سرا لا يعرفه أحد غيري * أعطفُ في الفجر إلى محبوبي وأناغيه وأحملُ من رجليه الوحلَ أُحنُّي فيه الأيدي والآنية وأضحك للنسمات * والله سأحملُ ماء أزرق في طاس نحاسٍ وأرشُّ به الشعراء المسمومين بزهرِ جمالٍ أزليّ وأعلِّمهم لغة الإفك ورسم الجفر على الأحجار وأناديهم للأوهام * أ رأيتم كيف ولجت الليل بلبٍّ نهار صلفٍ ورفعتُ اللذة نحو الروح وخطتُ الجسد ببرد الورد وسقتُ تمائم طلعي ومزاميري والأشنات إلى أغنية خفقت بفمي * أ رأيتم كيف أتيتُ النبعَ حكيماً يرفلُ بالأطواقِ وظبياً يخطفُ بالعينين سرابَ النورِ

وطفلاً يسكرُ حتى يُشرقَ استحلف هذا الليل بأن يفصح عني ويرى وجعي كيفَ يشبُّ ويحرقُ شـمعي * أ رأيتم كيــف أثــرتُ شــياهاً مترعــةً بالأنســام أ رأيتم أجــدادي فــوق الهــام يرِّفون وينتحبون، وأنا أتمدد فوق الرمل وأنظـرُ في التـاريخ وأبكي * أسـمعُ أوراق الأجـداد تطقطـقُ في النار وتُغمسُ في الميعةِ والسرخس ودمي، وأقولُ لعلَ القمرَ يُخبئ لي قدراً أحلى وأنادي أجدادي في الليل * سخُّرهم لي يا قمر كما سخرتَ البحرَ لموسى والطير لأردان الملك الشاميّ، وصاقب مقبرة الكهان لمقـبرتي وأجلبهم محمـومين إليَّ وخضب رايتهم بدمي * أتراك ترفـرفُ في المـاء وتبعـد عـني النحس وتجعلني في الحقل أميسُ بخضرة غصنٍ ينتصبُ جميلاً تحت الشمس وترفعني لمـاقم الخصـب * أناديك وأخطفُ من قوتك الشوقي سوري وطلاسم روحي، يا فيحاً ضاعت فيه فلول شبابي وغرانيقي * أ أُخلخلُ أرضَ الله وأنجو بشعيب وصالح من تلفِ الزمن وأوهام العبران الكنهنة * من يعرف أن الكون يحنُّ على طفل صافي العيـنين ويمنيَّه بأرض الـرُقمِ وأرض الأهـرام وأرض اليُّم المظلم والصحراء * يا قمر أسـيرُ إلى أطراف الأرض وأبرأ من كلل سدَّ عليَّ جبال برنسة وأعصرهُ، أدحـوه كمـا أفعـل بالثـدي وأنسـى أن بلاط دمٍ يتفجر من خاصرة كلمين أنسى أن سيوف الإفرنـج انكسرت في القلب وشبت في جسد التـاريخ * الحينْ... يُضلُّل أعواني السُهّاد المنكفئين على جدر منقوشٍ يقـترعون بجمـري، أي الأسـماء تحيـطُ بهـذي الأحجـــار وأيّ الكتّـــاب تـــدُّلوا فيها منذ قرون * يا قمر.. أتعـــرفُ كيـــف هـــزمتُ الغـــازين بسَّجيل كالصخر وكيف ربطتُ الفيـــل بـــأنف الفيـــل وأبركتهـــا في الصـــحراء كتلًّين من النمل الحبشي * أتعرف أن لا غـالب إلاّ أجدادي في معترك الصـفوة وأن شـمالاً يهتـفُ لي وجنوباً يقرأ باسمي التعزيمات وأن ا لشرق يُهدهدُ تحتَ خيامي والغربُ يمصُّ بأوردتي وأنا في الليل أئنُ من الوجع وأهتفُ أن لا غالب إلاّ أجدادي وأنا *

الباب العاشر 10

الرُقى النيرنجات

من سينقذ من

زحف الجيوش

نوعاً هجيناً بالغ الندرة من

فصيلة الورد.

سان جون بيرس

رُقية الساحر

عطشاً إلى لطف العلوم ودقة الفرقان والنطق

الفصيح بسورة ومدائح، فبحكمة وثبت

أزاميلي ورفّت سارياتي والتوى حشدان من

ورد الصنوبر والفراقد عند أقدامي، فيا نملُ

اندلق من جمر أعضائي ومن ختم المشيمة

فوق آباري ومن شفتين مثقلتين بالشمس

الشهيّة، ثم اشتعل يا ورد في درري ورقق

قوتي واطلع على سحبي النديّة، قلّب شؤوني

في رضابٍ باسلٍ واضرب عناقيدي على

آجرة سوداء واطوِّ الثدي في ثغري وبادلني نزولا شاملاً

في غابة حمرا.. أجج فيَّ نهرا وأطلق النهرَ وهزّ النهر

مخلوطاً ورجرج فيه أكوان العماء

متسربلاً بالطلسم السريّ قد رجفت مسالك خطواتي،

أصلُ المداخل بالمخارج واشتباكَ البرق بالتيجان

بالدعوات بالفيض المدى، فإذا فتحتُ سرادقاً متلاطماً

وعزلتُ لي فرساً وطاردتُ الفضا

نطقت مزاميري باطرب ما طواها واسترحتُ العمرَ أنقش

خاتمي وقلادتي ودفاتري وطويت أيامي بأوراقي ونمتُ.

غنّ الترتيل الحسن

ألقي بنارٍ ماءَ أيامي

وألقي نشوتي ناراً وأهتفُ يا جنوني

كيفَ أنحدرتَ مباغتاً

ورقدتَ في نفسي وفي أصفى سكوني

كيفَ اتحدث برقيةٍ كشفت أعاجيبي بزهر السحر

فاشتعلت عيوني

دعني أمرُّ لحقل أحبابي وأشتلُ غرستي

دعني أُبادلّهم فنوني

لكأنما خُتمت بشمعٍ أحمرٍ بوابةٌ تحميكَ يا عقلي

وتهتُ العمرَ أتبعُ ياسميني.

قد صفّق الحمام

وحده الباصرُ في هذي الذرى

وحده العارف ما يعنيه هذا النور

والباحث عن طيفٍ كريم

وحده الباحثُ في أوراقه

في السحر

في المعرفة الأولى وفي الطقس القديم

عن مغاليق الرؤى والروح

والبحر الذي يفتح في أعماقه

مدناً غرقى وتاريخاً حميم

وحده تطعمه الآلهة الأولى الندى

وحده استيقظَ في الفجر

وناداه النسيم.

دعوا الأفلاك تركض صوبي

لا تصطفي إلاَّ جوادا أبيض كان الصبور

وشيَّد الأفلاك في عينك، وامسك رايةً

وشبابَ لفحٍ مارقٍ هتك الدجى وأماط حُجباً

واجمع على كفيكَ سيدةً بحاشيةٍ

وسوّ السهدّ رّبا

حرمت عليكَ الراحة الكسلى

وحرّمت السكنة، والحياة

تلقيكَ في صحوٍ شديد زائفٍ وتصيرُ كذبا

وأتِ الموائدَ حيثما الصحو التقاك

وإذا سربتَ فلا تئد نبتاً.

وحاذر أن تمسَّ، وأنت سكرانٌ، أزاهيراً وعشبا

وإذا مشيت فرقق الخطوات

ولتُشعلُ فؤاد الأرض حّبا.

رُقية أدونـاي

كيفَ انهمرت بكفك الليالي

كيفَ اشتعلت غابتنا وصرنا

كالجنُّ نطارد التميمة

كيفَ اسّاقطت نخلتنا القديمة

مولاي أدونـاي

من قبلكَ شدّه القلق

للخلدِ.. ومن كوّن، من خلق

في البيد عصافير وأنهاراً ودفلى

من شدّ لكفيه الأعاصير

من شقَّق.. من فتَّق.. من فلقْ

بحراً سالفاً وهيّج الطلع

أيديك ترجُ الماء والنبع

في الليل وعيناك إلى العسق.

يجرحني بالورد

آهٍ.. كم مضى لتخرجَ الشمس

من مدفنها فنقتفيها

نرميها بنبلٍ ونغني

حتى يطلعَ الليل علينا

حينَ نرتوي ونكسر الكأس

ليلي لّمني بين مراياك

واحضنيزز وخلّه يغني

يجرحِّني بورد

ويخيط بالفأس.

من توَّج أسوارك باليمام

منْ علّمه الغناء والكلام

منْ علّمه يرفُّ.. من رعاه

منْ علّمه يخضّر كالمياه

منْ عمَّد.. من أمسكَ.. من أقام

منْ فتّقَّ في الظلام شمسا

منْ أمسكَ باليد الزمام

مزهَّوا.. وناداه دمُ الموت

فانسل إليه في الفجر

انسلُّ يحيطه السلام.

ما تقوله الأوفاق لي

غدقاً على آجرةٍ حمراء أو تعباً أُلاطفُ طينةً ذهبية

وأنا المضيء ولا ظلام بجّبتي وأنا المزَّينُ بامتشاقة

وردةٍ وجنوحِ حجلٍ شاردٍ ودلالِ أنثى الجن

والنار العجيبة

أتلو على الملأ الظلامَ وأرتوي من بئرِ معرفتي كؤوساً

واشتباك مصائر واهزِّ بالأوفاق غصناً ميتاً وأشَمَ

في نيرنجتي ذهباً وأرسمُ هيأتي

ألقاً لكي يبقى العميقُ ومترفاً بالنور والسورِ المباركة البهيّة.

هتفت إليَّ صنوج مملكة الجمال ورجرجت في طاستي

خرزَ الغزالة وانسكار كواكبي، أبدو كمئذنةٍ على ماءٍ

ويبدو الماء في كوز وتغطسُ حكمتي

في الماء والشهب البعيدة تنطوي

ما بين أجفاني وفي الآفاق فوق الناس

تطلعُ نجمتي.

نيرنجة صيد الأزل

أقسمتُ بالألم المقدس يا ترابَ الشعرِ، بالورقِ المرقش،

بالتفاتة كلمةٍ نحوي وبالفجر الجميل

يطوي مناديلي

وبالذهب المخالط طينتي ليلاً

وبالجمرات راشقةً صباحي

أقسمتُ بالنُعمى، أهدَّ لها دمي فرحا

وأفتح في مفاوزها رياحي

أن ابتلي هذا الوجودَ بلوثتي

وأشدُّ في أطواقه نبلي وأُطعمه سلاحي

وأنابزُ الأيامَ بالكلمات أهمرها بجعجعةِ الرماح

متقدماً نحو الردى

زهيان مبتسماً وسُمّي في يدي

وغلالة الموتى وشاحي.

نيرنجة البراري

أنا مولى الشاربين

شمسُهم والغبشُ اللامعُ في أقداحهم

والكلمة النارُ وزهرُ المائدة

فلتذب في خمرتي يا نقش نيرنجاتي الصفراء

يا سيل رقاي البائدة

هذه الأرض على سيف كلامي تلتوي

في القبة العليا

وفي سمت عصاي الراقدة

والندى رملي

وأعلام البراري وردتي

واللغة الطينةُ في كفي وريحٌ باردة

سكر الدهر لأجلي

وبكت موتي العصافير

وغنتني الوعولُ الشاردة

الباب الحادي عشر 11

شمس الزايرجة

في كشف طالع الفتى الذي تبعته الأيائل

ورقت له الشقائق والرقى ولمعت تحت يده المعاول والتيجان

الكون كله وحدة حيّة والانسان المارد كقطرة من دم في عروق الكينونة ففي حضن هذه الوحدة الكونية يستقوي الساحر بسلطته، صرخته تكفي عبر الجسم الكوني لأن في الوحدة كل عنصر يتداخل، أن المبدع، جل اسمه، كالناطق الفائض بما عنده من المعاني والجواهر

هرمس

إزدهر.. إزدهر.. إزدهر * واغمس كتابكَ بالرماد الشذر والأشنات والصحف المبادة واشتباك كواكب الماضين والماء الزلال * فلأيما طرفٍ قصدتَ، لأي ناحيةٍ نويت أعلى، فثمَّ الشمسُ تلعبُ في مراعيها وتمنحك المدى والنهر يضحك حين يطلقه الدلال * وإليه نركضُ حاملين نذورنا وإليه نرمي في الغروب خطيئةً عَلُقت بنا ونثيرُ دغلاً فيه نرعى فيه أصدافاً وأحجاراً وتيجان الزوال * وإليه يُقلي الميتون عظامهم فاغمس كتابك واشتبك سراً مع اللغة العصية، وافتتح أرضاً محالْ * باللفظ بالزُبر القديمة واضرب الآفاق بالكلمات ينبثقُ الهلالْ * فتحت جرارُ الخمرِ واهتزت غصونٌ في عيونكمو، وقامت شهوةٌ فيكم فهيّجتم سلالتكم ومازحتم أهلّتها بلون المسك والذهب المضيء * زمرٌ مدججةٌ، ويعلوكم غبار من زمان العشق والحجر النديمْ * ولئن تطرّت نفسكم وتماوج الماء الشهيُّ بلحمكم صحتم بأعلى صوتكم بالنار، تمشي فيكمو وترقق القدمين والأفخاذ والثديين والشهدَ

المبارك في الشفاه وشعلة الشعر الشيهة * أ فلم تروا العشاقَ دونكمو تنادوا في الصحاري واستووا شمسين في الطرق القصيَّة * طلعوا، فشمس ف ينهارٍ أجردٍ صلفٍ وأخرى في ليالٍ حلوةٍ سوداء وارتاحوا إلى نبعٍ نقيّ يوقظ الحجب الخفيةْ * ها هم كجمهرة تفيق اليوم في أعلى مراقدها وتمنحنا الفضاء عبرت ظلام الأفقِ واشتعلت لها حقبٌ ومشتبكٌ أتونْ * وتمرغت في طينها شوقاً ورجَّت كوكبا تمراً وصاحت خوف ماحية نكون * ليلاً تهدهد أو دماً نسراً وتطلقه انفلاقاً مخصباً يعلو العيون * سقطت لها الأفلاك واشتدت عليها الظلمة الأولى فسوُّتها حباباً أحمراً ودماً وطينْ * وسقت به أحفادها، فترنحوا في قلبِ هذا الكون واحتلبوا السنين * يتقاطفون الغيم والأيامُ قاطفةً بهم، بعضاً ببعضٍ، أنهراً من أحمر الأوراد، ترمي في الربى فوجاً، فأياً ما أصابوا، كُكتبت عليهم صفحةٌ * ولئن غوت فيهم نفوس مرةٌ، رُدّت إلى ياقوتها وتطوَّقت بالطهرِ والأحلام فجراً * ويلاحقون البدرَ ما مسكوه، ما ألقوا إليه النقشَ لكن ساقهم في التيه فالتقوا برايته وقادوا حُلمهم للأرض وافتتحوا به الأيام طُرًّا * قاموا فهيأت الطبيعة فيهمو من طرسها جلداً وأحجاراً وبردياً وحبرا * ومضوا يجرون القلوبَ الخُمرَ في الصحراء واستتروا، وما قالوا ضلالاً واستطابوا النور خمرا * فبصيحةٍ مما رموا ردوًّا الحياة لنبعها وعتطهرت في النار خامتنا وقمنا نمسك الأيام زهرا * وبصيحةٍ عدنا الرعاة العاشقين وتراخت الأنسامُ في أُحداقنا جذلى وهدهدَنا الحنين * وأحنٌّ.. موجٌ مزبدٌ يعلو فمي وتراشقٌ بالزهر يغويني وتنسلخُ الإيالةُ من يدي * ملكٌ أقودُ سلالتي ملكٌ وأهبطُ في شعاب حرةٍ والأرضُ رايتها سواري * ملكٌ ويسرقني الشبابُ وأبتلي بالزُبر.. بالزايرجة الأولى وأسمعهم حواري * والشمسُ لا تقوى اتكاءً فوق عودٍ ناحلٍ مستنفرٍ بالروح أو متلفعٍ بالزهر أو تلقي له الأسرار باطنها فمن يلقي به للشمس * سهرانٌ.. ينامُ الناسُ لا يهدأ ولا يصبا ويبقى سارحاً ويجوز نبعاً لا يجفُّ ولوثةً في البال، والدنيا له غربال والقمرُ الحزين * فمن ارتوى منكم بنهرٍ مثله؟ وأضاء شمعته بدربٍ ضيقٍ وله استمال غصون حلمٍ شاردٍ ومحا الرنين * ومن استبدَّ بروحه الإشراق واللغة العجيبة واحتراقُ الآس والطرس المبارك والفنون..؟ ومن اهتدى منكم لطرفِ هدايةٍ..؟ وغزت مشاعله العيون * وأهيلُ في أفواه أصحابي كلاماً رائقاً وأقولُ هبّوا في حقول النور واشتقُّوا من الريحان والآيات والأسماء جرفا * فإذا أتيت النبعَ ردّوا طينهم في مائه وتشاطروا في عيُّهم وتراشقوا الكلمات زلفى * لا ينتهي نبعي ونبع النورِ كلاًّ قد خلطنا فيه كافورا وأعناباً ولطفا * ولقد تلونا أن إذا قمتم بأرض الروح وابتتلت لكم أعشابها ردّوا عليها بالندى والسحر وانتصبوا على الآفاق سقفا * فإذا طرقتم غير باب الروح تيّاهين إنكمو إذن تعصون حرفا * أ فكلما أنشقت زمرُّدة ورقَّت بذرة، أ فكلما اشتدت عليكم طينةٌ وتفتحت بالمني والأدغال هيُّجتم دمي، أ فكلما سقتم حقول الياسمين الأصفر التوتي واشتبكت عليكم سدرة سقتم فراغي * سحبٌ وداليةٌ ونورٌ زائغ والشمسُ ترفلُ في غصوني * أعلو أما والله ما عرفوا مكاني، غائبٌ، متربقصٌ بالنجم مرتهنٌ لحطب أنوثة، ومطلقٌ ألمي وأقمارٌ تشبُّ على متوني * أعلو وأطلقُ مغزلي في ليل المقابر.. في ارتعاشة وردتين وغرةٍ عليا وأشواك الجواهر والزمرد والحجار * واردٌ إملاقاً عن الأفلاك والدنيا وعامرةٌ صحوني * متربصٌ بالشمس من يثني تربضَ عاشقٍ وجلٍ، ومن يثنيه عن عَدْوٍ، ومن يرمي بأسفل حاجبيه، إطلالة الزمرِ الزكية والتكايا والتطهر بالفتون * هذي علامتك الخفية فاخلط الأعداد بالأنغام والحرف المبارك بالحساب وبالطراز وبالجنون * واستنطق النقش القديم لكشف أحوال مسيُّرة وأدغال محيرة وأفلاك عجيبة * هزِّ ا لرياضة بالكلام وشق خيمتها، وجانس أغرب الأخلاط واسبحْ في مياهكْ * وردٌ هناك يشقُ صحنكَ وارتعاشة عشبة، ذهبٌ يرجُّ زجاجة الإكسير، والسوُّر الخفية في الهواء تعلو وتُنطقُ نجمةً بالسر والطرقات تصغرُ والسماءُ تبدو بصحنكَ رُزةً والأرض خطٌ أسودٌ ينشقُّ عن طيرٍ عجيبٍ خافقٍ في الطين * هل هذا أوان السيمياء تعطي وتأخذ وتهدُّ أعلاماً وترفعُ بزرةً

فينا وتمنحنا الشفاء * متربصٌ بالشمس.. من يعطي الشموس إزارها، يبلي جبالاً كُمَّلا ويردُ في أطواقها ناراً وماء * هو كالذي ألقى ببردته على الصحراء واختارته آلهة الضُحى طفلاً حبيباً جنب ثدييها وأعطته العلامة * فتقطعت من عنده الأسباب وانقطعت لطافته وغنى، للموج محزوناً وأطلق رايتيه نهراً من الآجر والصدف المضيء وخزت الأغصان أذرعها ورجت مقلتيه بالنار، والخمرُ استباح عيونه ورمى عليه شالاً ندياً والوحوشُ ترققت وسعت إليه * الله يحمله على كتفيه فوق الكون والأحجار وعلاً تائهاً والواقفون من الملائكة استعادوا لفظهم، ورموا إليه جنانهم وتراشقوا بالنجم في أعلى يديه * صدَفاً هوت في بيته الأمطار غطتُّه اليمامات الحزينة وابتلاه الفجر بالأنوار، ما اهتزت رؤاه * فيما جنونٍ من ليالي السهد أقلقتَ الهواء وتلاقت الأيام فاخترتَ النوى وتقدمت تلكَ الجموعُ عصيةً * دمها إليكَ وطينها ودلالها وشعاعُ شذرتها وأصفر برجها * فرميت فيها كيمياء الحرف فانقلبتْ وغنت أجمل الأطوار واشتاقت إليكْ * هبطَ السكارى في الدجى شدوٌ حزينٌ واشتعالٌ غامرٌ والعصف بالدنيا وإشراقُ الجبينْ * شدوٌ.. ومرقدهم فراشُ الأرض والأحلام فاتكةً بهم في الليل حيناً بعد حينْ * نزلوا إلى الصحراء كالشهب العجيبة كالندى ليسوا الحفاة الهائمين وإنما كانوا طريدي ربةَ الأشعار، أو زُمرٌ من العشاق أو بعضُ الحبارى * أرأيتهم كانوا يصدُّون النبالَ بقلبهم، يمشون ما اختاروا سوى الأعناب تيجاناً مشتتةٌ دماهم هكذا، ولربما انتبهوا، أقاموا عارضاً ما بينهم والصحو * ربما أطاعوا نجمهم بالسعي خلف اللذة الحمراء، هذا دأبهم حملوا الزمان دبيحهم في الكفِّ واستلقوا بخمرتهم وناموا * فأطلق قويا نفخةَ الإنشاد فيهم، ثم وأحملهم نداماك العزيزين السكارى خُشَّعاً، واسلخ ضلالتهم وحتى يفطمون الروح من ضعةٍ وبلوى * فلو أنهم قاموا وردُّوا صفرةً عن عشبهم دوماً، وضلُّوا في الصحارى يربطون الفجر بالأوراد وارتاحوا على حجر الحنان * قُدماً، لما انكفأ الطعان * فإذاً لنضربهم عيوناً غرةً مطعونةً بالنور، أو نكشف لهم أرواحنا يتضوعون * أفلا يصيدون الضلالة في روابيهم ولا تثني الرحى سحباً عليهم والندى، أفلا يديرون المدى، سرباً أناخوا واشتراهم غيّهم وتفرقوا متنازعين * فتحوا أقاصيهم للفح الريح إذ فتحوا سلالتهم لدرب الموت فاكتوت التخوم بشياههم وارتجَّ نبعٌ عامرٌ بطقوسهم * ولقد كسوناهم بزيَّ الماء واشتقنا لهم، فنما عليهم غصننا زهرا وحنتُّهم اياة الشمس بالكنعان واللبنى وهيَّجنا لهم بذرا، وصيَّرنا صخورا مُرةً في مائهم ورداً وأطلقنا البنين * سيمشطون السنبل الذهبي ياقوتاً ويفتضُّون ساقية له ويباركون * عبروا وما أصغوا إليك لا أنتَ مصغٍ فيهمو يوماً، ولا هم بعضهم يصغي إلى بعضٍ ولا سمعَ الدجى شيئاً ولا هم يسمعون * ولو أنكَ استسلمتَ واخترتَ الغواية خيرَ ما نبتت يداك ونور ما كنتَ انتقيت لرأيت أن تلقي الطريقَ دلال مشيكَ أو شممتَ الفجر أو سقتَ الغيوم وما ارتويت * قد تهتَ في بحرٍ من الظلمات، قل فاشفق على النبع الذي يهتزَّ فيك وزيُّن الأبراج بالحسنى ورقق ما رأيت * قلت املأوا مما منحناكم جرار الطين بالأعناب وارتاحوا هنا * ولكل ظبيٍ منكمو نجمٌ بعيدٌ آسرٌ.. هو شاطرٌ وجهاً إليه فكللوا الهامات، أيًّا ما تدار فثم نجمٌ آخرٌ يعلو فردُّوا ضوءه قمرا وسرباً صاعداً * وسنطردُ الثمرات فاسدةً من الأشجار، لن نطويكمو سراً بتاريخ جميل بازغٍ * إنا سندفعكم بفيضٍ تحت ليلكةٍ وطوَّقتم حقول الآس بالإنشاد وانشق الضحى فيكم شموسا في السكون * ورجعتموا أحييتم الحجر القديم وبلَّ أطرافي تراب منكمو إذ بثّ عندي كلَّ زاحفة على أرضي وإذ هتك الندى فوقَ الخواتم بعدما اشتعل الفضا بالطين والنطرون وانكسر السها علماً صغيراً خافقاً في الليل وابتلت عيوني * فإذا رفعتم سدرةً في كفكم وضربتم التاريخ في غبشٍ يُضرَّج بالندى * أطلقتُ في العتر المضاعة قوتي ودفعتُ بالحلم السعيد منزلاً وهجي وحاشيتي وقلبي * عبقٌ ردائي، شاملٌ فرحي وما لمسَ الردى روحي وما اختلطت شؤوني * وأقولُ يا بدر اندلق عسلاً وزد نبعي بخمرٍ محرقٍ واصعق بحيراتي ببرقٍ خالقٍ * فإذا لمحناكم وجئناكم دماً يزهو وأرخيينا عليكم نورنا، فقفوا على وجه المياه وهلِّلوا، واعلوا فلا خوف عليكم وانهلوا

من وردة الصحف الزكية إنكم بؤتم بهذا الحب واشتقتم لبارئكم وتبتم * أنتم تنادون السما وتجاهرون الطلِّ بالنيران أو تمشون في برية هزلت وغطاها الحصى * عطشى فجمعاً حَّدروا للنبعِ والتمَّوا وجمعا واقفين ولَّيتموا كلماتكم وخلقتموا آيا وعطَّرتم سماكم بالشذى * ما كان لو أن تقطفوا غيما وتـــــــأتوا من سقوف الطين أعشاباً وزهراً * فلقد طوينا الطين في بزرٍ وشققناه أسلافاً وأطلعناكمو واحاتنا فوجاً وتأتون الربى فوجاً وتمتدون أحفاداً نزيُّن دربكم طراً ونرعاكم بأحجار اللُجين * عدنا وأنبتنا نباتاً وارفاً ولكم سقينا البرّ بالنُّوار أرخينا عيون الكون في دهمائكم * عدنا وما درست لكم سنٌ وما ضاعَ الهوى، والعاشقون تطيُّبوا، لو قرح أصاب صباحكم كنتم على نهرٍ من الصفصاف والأقمار يُطلعكم مرادٌ ثم يرفعكم مرادٌ والضحى يبكي لكم شوقاً وينحبُ حرقةً * ولربما قاد الأرومة منكمو وسعى بها وحنى عليها وارتوى من طينها شهداً، وزيُّنها السهى * أوَ لم يكن من بعض ما أبقته أزمان الهوى هذا الفتى الهيمان والبلوى التي فتكت بلبةِ روحه * روًّى بدورقه الصحارى وانثنى يثب الخطى فوقَ المياه وجال بيداً واستوى * وتراقصت في كفه الأعنابُ والزمرُ الوفية هللت فرحاً بلقياه ارتقت في الأفق من فلواته المنسية الأولى وأُنزلت الغيوم * فطأوا له الأرض الفسيحة واعقدوا فيه الخواتم وامنحوه بيارقاً ورداً ولألآء التخوم * وله أهيلوا الصخرَ والتقّوا ببردته وأعطوه المفاتيح القديمة والنجوم *

الباب الثاني عشر 12

طلسمات هرمس

الحكم مودعة في الهياك

ابن عربي

طلسم الأدريس

ورأى في قوة الروح شموساً تصعدُ الماء

وفي الكلمات بزراً

فطوى في ثنية النور ظلام الطين واشتد عليه

الخلق واختار فيوض الماء في الأرض زحافاتٍ

وطيراً

هكذا انشقت له عفُّة أسرار وخطّ الخطّ

واشتاقت له برديةٌ في الفجر وانضمَّ غلى عصبةِ

اقمارٍ وقال النون والحرف وما أفسدَ خمرا

ربما اطلقَ من كفيه صوفاً وقناديل وأبراجاً

وهزَّ البحر بالترتيل مندسا بسر الخلقِ ياقوتاً وتبراً

ربما دحرج قوساً ونباتاً هائجاً وانطوت النجمة

في قرآنه ليلاً ونامت في أوانيه ارتقت في سمته نذراً

وسحرا

ربما انصاع إليه النقش وازدان على أردانه الرسمُ

وهزَّ النسل بالكلمة وارتاح ففاض النسلُ نهرا

هكذا قامَ وقال الله في قلبي وبالطلسم شقَّ الغيم

فرحاناً وللعالم ابقى سرُّه في الطين جفرا

هكذا أنبتَ في الشرق فراديساً وحطّ النخلّ في

أفيائها واستسلمَ الخصبُ له واندلق القطرُ بكفيه

أعاجيباً وروًّى ارضه وافتضَّ صخرا.

أيها الخِلُّ اللذيذ

وماتت جنبه حوريةٌ سكرى

أرادته.. ورقَّت فوق عينيه سنيناً كاملاتٍ

وارتضت صحبته ليلاً ونامت في مآقيه

وحامت حوله حين ارتوى خمراً

وحين اجتاح بالوردِ أغانيه

وألقت ثوبها يوم اشتهاها وارتمت فيه

وماتت حينما أرخى على العشبِ يداً

والتفّ بالتيه

صريعاً... حينما أسدله الوجدُ بأعماق مراعيه

هوى زين الشباب العاصفِ المجنون في الموت

والقى سرِّه في الغيب وارتد لأهليه.

تفوحُ رائحة الآلهة

تخرجُ من داخلنا الآلهة

تضيءُ في أحداقنا الأصول

وتعتلي هاماتنا

وتورقُ الطلول

وتفتحُ السماء في ظلامنا

وتنعشُ الفصول

تخرجُ.. تنقضُّ على الظلام

باسلةً ترشقُ بالوردِ وبالشموع والسهام

وتمتطي لساننا

فيبدأ الكلام.

رُقية النار

واكتشفتَ النار من حولكَ

لكنكَ لم تكتشف النار التي فيك

وما زالت تشبُّ

عندما تغفو وفي صحوكَ

ما زلت بها تغمسُ أطرافاً

وما زلت إلى خمرتكَ الأولى تهبُّ

وبها توقدُ أيامك سكرى

وعلى عشبكَ تستلقي وتحبو.

ترتية غنوصية

ورأى في قوة الشرق

وفي أبهة الروح.. وفوق الحجر الآجر تيجاناً

ومجداً تالفاً

والقبة- الشمس ونقشاً في العماء

ومضى يطرقُ أبواباً من الماس ويلقيها التراتيل

وإنشاداً وماء

فاتحاً بالجوهر الغامض خُلجاناً وتاريخاً من العشقِ

وحقلاً عامراً بالنجم.. مغموراً بياقوت مُضاءٌ

باسم هذا الشرق.. باسم السنبلة

سقطت في كفّه كالخرز الغامضة اللبّ

وكاللؤلؤ منثوراً بأطراف الفضاء

يفتح اللوح برمز اللوح والطينة بالطين

ويشتقُّ البهاء

راكضاً ينهبُ الأرض الخطى... يُدمي الهواء

وله مائدةٌ من عسلِ البرّ

ومن لحم جراد أصفر

وله العشبةُ فرشٌ.. وثياب المرعزاء

وله تاجٌ من الغار ومنٌّ عذبٌ

والصحف الأولى وإيوانُ السماء.

رُقية الرجوع

ورغم ما سطُّرت

رغم ما تلوثُ.. رغمَ ما ابتكرت

ورغمَ فجرٍ باسلٍ فتّقْتُهُ في الورق الميت

ورغمَ النور

ورغمَ ما شيدتُ من هياغكل الجمال

خرُّت بي الأرض.. وصاحَ الصور

فصرتُ بين كومةِ الأحجار والتراب والقبور

وأنزلوني رُقُماً

بين قلاع الزمن الغابر والعصورً.

رقية الطفل

وكنتُ فوقَ بابنا الخشب

أكتبُ: حظاً هائلاً

وصولجاناً ملكاً

وحلَّة ذهب

وأختفي ألعبُ والصبيان

لكنَّ حلما رائقاً يلعبُ بي

ويرتوي من جسدي

ويطلقُ الجمرَ بروحي واللهب.

رُقية ضاق قلبه عليه

هذي يده أنبتت الجمر

هذا وجهه رسخَ في البدر

هذا سرّه فاض إليه

هذا قلبه ضاق عليه

هذي روحه مزّقت الصخر.

رُقية الجوّال

في دمه يختلطُ الذهب

في دمه النعمى وورِدُ النار والحطب

في دمه كوكبنا القديم والثريا

في دمه مراكبُ البخور

وفيه بعض ما شداه منشدٌ وقوة العصور

وفيه وقع الخضرة الندية

وفيه مهرجاننا

في قلعةٍ قديمة تنامُ فوق الحقب القصيّة.

رُقية النخب

كلما دارت من الخمرِ الرؤوس

في الغناء

وانجلت فينا النفوس

من غبار اليوم.. من حمى الطعان

شبَّ فينا ملكٌ طفلٌ

وأعطانا الحنان

كم غفونا فتلقتنا الكؤوس

ارفعوا نخبكم أعلى وغنّوا

سترون الشمس تنشقُ شموس.

الباب الثالث عشر 13

المحارب منحدراً صوت الفردوس

العمر طيرٌ عابرٌ

وسدىً

ومنتجعٌ لحين

المحارب منحدراً صوب الفردوس

ها قد خلوتَ إلى أقاصيكَ البعيدة

واترضيتَ صحابةَ الأغصان في شفتيك

وانطلقت إليكَ الريحُ في نعماك

واخترت السلامة

هي بعض رايتك الماقمة

أو قوةٌ حطتكَ ملءَ النور

واشتبكت عليكَ بسرّها

وأرومةٌ تنشقُ عند الفجر عن شمسِ القيامة

فزعُ المحبون.. استفاقوا عندما اقفلتَ بابكَ

وافتتحتَ كتابكَ الذهب الموشّى بالشذى

أندى.. كنتُ من سماء الدهر أو حجرٍ كريم

يُلقى عليهم أو سحابٍ طيّع لدن يطوّقهم

فيلّتفون حذر الموتِ بالشهبِ الوفية

والإيالة والنسيم

منكَ ارتوت أغصان هذا الحقل وارتاحت عليك

أطرافها والّتمت السنوات واستلقت به،

ثم استفاقت خوفَ جارحةٍ إليك

تعلو على أسوارها

وتصبُّ كوثرها بكأس النذر تمنحها التقى

وتردُّها نبعا قديماً تنتهي فيه العيون

أطلق أغانيكَ النديّة، لا مغنّ عندنا يشدو

ولا صوتٌ يعين

حُرًّا بما يعطيكَ إياه المدى

فأطلق أغانيكَ الندية.. ثَمَّ سلوان

وعافيةٌ وعاليةُ السفين

ولأن منها ما يفُتُّق طرّة الأفلاك أو منها الجنون

ولأن منها ما يردُ الرجسَ عن روحي وما يعلو بها

أعلى الحصون

وتسرتوي.. قد كنتَ صبًّا عاشقاً عطشاً

وما مسَّ العدى

أعلى منائرك البهيّة

عطشاً، فجمعاً قدتهم للنار في الأقصى

وجمعاً هالكين

قُدماً أيائلنا

ففي ما تُطلعُ الفلوات آفاقاً لنا ومسالكاً ومعززين

الله يكسرهم.. ولا هم ينُصرون

قُدماً..

وضلّلنا عليهم من جناح البرقِ بقارقةً

وأهوالاً وطين

وبوقدةٍ مسّت مياه الصخر أنزلنا الحياة وشوقها،

والميتين

كنا رأيناهم وعدنا ناجحين

يا طيبة الشمس انزلي رجزاً عليهم

واسلبيهم تاجهم

ولتفتكي يا شمسُ بالليل الضنين

* * *

الحقُّ..

أما يأتينكم الضحى

من عترة الفجر المبارك

أو عجاج الجمرِ

أو كأس نفخنا فيه من دمنا

وأما تُحجبون

عبرت مراكبكم مقامَ الجدي

وارتاحت على سورٍ من الأغصان

وارتاحت سماكم

متهدِّرين من الأقاصي صوتب بارئكم

ويأخذكم هوىً للشمس..

ممسوسين بالنبعِ الذي هو فجركم ومقربين

يا زهرة طلعت بدربي

يا رفّة الآفاق.. يا أطياف هدبي

فُكّي عليَّ النبع يغسلني

ويسحبني لنبعٍ آخرٍ ويمسّ قلبي

* * *

قلتُ اهبطوا بعض القفار ورققوا الحسرات

واشتمّوا خزامى البيد ذلك أنكم

تتمشون في الفردوس قافلةً وفوجاً تائباً

إنا جعلناها حقولاً واستوينا فوقها نزنُ السنين

عدداً.. وما بين اليدين

من أول الأزمان حتى تُرجع الأشياء أطهرَ طاهرين

لا عترةٌ عظمت ولا حجرٌ مهانٌ، بين ذلك

فاسمعونا في الضحى سوراً وإنشاداً حزين

قلتُ اهبطوا..

وتطيّبوا في النهر

أو ردُّوا عن الأعشاب صفرها وكونوا عاشقين

فالعمر طيرٌ عابرٌ.. وسدىً.. ومنتجعٌ لحين.

الباب الرابع عشر 14

أناشيد المحارب

الحروب حزينة دائماً

نشيد المحارب

أ رأيتَ كيفَ يهدهدُ الله الجميلُ لخلّه

أو كيفَ يأمره بفتح البحر والفتكِ القويّ

بغابة الفيل الكسولة

أ رأيتَ كيف الشمسُ تمنحكَ البطولة

أ رأيتَ محترساً ومشتبكاً سماءَ الشعريان

قطعت بضوءٍ شأفة السفهاء وانطلقَ العنان

يتهيجُ التتينُ من سوطٍ قديم ذابلٍ في الآي

والسور المطرزة الجليلة

فالنجمُ حارَ بكفكَ التعبى وحيّرت الزمان

والوردُ اطلقَ فيضه في مشيك الملكي،

وانتبهت لهمسكَ نبتةٌ وفراشةٌ وتلألأ الموجُ

السحيقُ لوقعِ ظللكَ والدنان

فهل استمعت لنقشةٍ في قبةٍ منسيةٍ..

تعطي إليكَ علامةً وتحيطُ روحكَ بالأمان

أ رأيتَ في الأفق الطفولة

يتكسر السيف – الرصاص لأجلها

أ رأيتَ كيفَ الشمسُ تمنحكَ البطولة

كنْ كيفما شاء الجنان

يا أيها المرخي على الشطآن بردته ورايته الرسوله

هيئ لها النار التقية والمدى

واكسر بعشبتها الردى

واقرأ غلى الملأ المبرّأ

ذكر ىيكَ.. وابعث الأرضَ القتيلة.

نشيد العراق

سمَّيته البراق

أسرى بنا في لُجج الظلمة

في خرائب الكون وفي المحاق

فدار فينا الكوكب القديم

ومسّنا الله بغصن الجنة الكريم

ومسَّنا بروحه والمطر الغيداق

سمّيته العناق

يشدُّ بين طينةٍ وطينةٍ

سميتها الآفاق

تحنُّ شطر الشفق الأول والجداول الدهاق

وتنحني لأول الأرض

لبدء الدهرِ.. للعراق.

نشيد العائدين إلى الجنة

قُلْ كيفَ تشتبك الفلاةُ على الغزال !

وكيفَ يفتحها الصباح

قل كيفَ تتكسر الرياح

الله يشرقُ في المياه وفي العيون وفي البطاح

وله يصلُّي الجند والخُضرُ القباب

وله تقوم الشمسُ حانيةً على الأنهار

والدم والتراب

لكاننا عدنا إلى الفردوس.. غادرنا الغياب

وكأن هذا الحقل فتَّق صخره

وأزاح ظلمته السحيقة

وأضاءَ فينا التيه والدم والشعاب

عدنا بضربةِ سيفنا

للجنة الأولى ومزَّقنا الضباب.

نشيد موت الدقلى

ربما آخر فيروز هوى في الطينة السوداء

وانشقت به الآمادُ واجتاحت خيولُ

ربما ماتَ الدهاقين ومات البازُ في الدفلى

ولم يبق سوى عودٍ من النيران وارتاحت طلولُ

ثابتٌ يا سربَ اقماري كما يثبتُ نصبٌ

فوق لين الماء، مزهواً أهيل الوردَ في القرية

والنارُ على أصفر تيجاني والأرض البتولُ

تحت كفي ريثما أنهضُ واللؤلؤ والغاق

وهذا الطينُ والنهرُ

وفي النهر ينامُ الليل والوردة والطفل

وتنسابُ السهول

هائماً أضربُ بالراية رايات واستفردُ بالغول

لأرميه بسيلٍ كاسفٍ والشمسُ في صحني تصولُ.

نشيد العابر

مباهياً

أعلنتُ أني عابر المفاوز البعيدة

وسرتُ نحو كوكبي

وقدتُ خلفي السفن الطريدة

أحنّ للأعلى ويزهو خافقي

للمجدِ.. والمدائنِ السعيدة.

نشيد زهرة الجنة

الأرضُ نورسةٌ ذبيحة

تدنو من الماء الظهور

ومن سلالتها المليحة

الأرضُ مشكاةٌ تحنُ لأصلها

ومدائنٌ تصبو لغايتها الفسيحة

فالكز بعودكَ مهرها

وأسرج عليها لؤلؤ الشفتين

والكفين

والمقل الصريحة

يا زهرة التاريخ

يا أحلى الملائكة الصغار

يأتون من نبعٍ قديم

من كهوف الشمس.. من غاباتها

مبلولةً بالشذر.. يا ترفَ الصباحِ

يُلقى بقطر ضيائه في الروح.. يا لينَ الرياح

متلفعاً بالغيم مثل حمائم غمرت معاطفها الثلوج

يا نشوة الأمطار تسقطُ في الضحى

وتشبُّ في بحر يموج

يا بردة غطّت مياه الشرق

وارتفعت عليها

تعلو كخشعة أرضنا

وتسيلُ أزهاراً على صحرائنا ودماً يهيج

هذي هي الأرض الخفيفة

شدَّها في خيطك الذهبي

هذا نبضك اشتعلت به مدنُ الجمال

وهيَّجت أسلافها الأيام وانشقت لنرجسه المروج

يا برج من خفقت له الرايات

واتحدت لمقدمه البروج.

نشيد الرجال

غنّ...

فلن يخفت في الغناء

صوتك أو مزمارك الخافق بالجمال

وأحلم كما تشاء

وسر إلى النجوم فالرجال

لا يشبعون من بطولة الصعود

وأن كبوا في خطوةٍ

فأنهم سينهضون دائماً

كي يصعدوا ويسرقوا الخلود.

نشيد الذاهب لملاقاة الموت

ما دمتَ قد بارزت هذا العالم الشقي

فلا تقف

هزّ له رمحك والسهام

ما دمت قد رضيت بالسماء مربعاً

فامسك قوياً سيفك النهار

وليُحظِ الله مناراتك بالسلام.

نشيد الشهيد

أيها الغافي على الوردِ يغطيكَ التراب

خجلت شمس الضحى من وجنتيك

واستراحت سحب الله إليك

وبكى فوق محياك الضباب

أثمرت طلعتك الزهرَ النديّ

وصحا في عينك الطلع الخُضاب

باسماً تسكبُ في أقداحنا

تمر العمر وتُسقينا الشراب

لعبت ريحُ الصبا في مقلتيك

وسقتك الكرةُ العليا السحاب

زد على طولكَ من قاماتنا

واقرأ الآي وعلمنا الكتاب.

نشيد المجدلية

وأشمُّ في أوراد بيروت الذبيحة فتنتي

ودمي.. وىنيتي وصلصالي وقوسي

واقوم أطردُ عن فراشتها الدخان

وأظلُ أركضُ في خرائبها الجِنان

متقلباً في رقّة الأعشاب

في الذهب المخالطِ صخرةً

ومقلَّبا قصبي ومزماري وترسي

الطينُ محضُ زجاجةً تنشقُّ في عينيكِ يا بيروت

والدغلُ الملطِّخ في يديك.. وزهرةُ الشفتين تذبلُ

والمنائر والمقاهي والوعول شريدةً في الليل

يرتدُ الندى حجراً برأسي

النارُ بين لذاذةٍ ولذاذة

ما بين أقداحي وأفراحي وقمصاني وفأسي

وأشمُّ في الروحِ المباركِ نقشةَ الفينيق

والنخلَ العتيق وقبة الآبنوس

والأفلاك والدنيا ونفسي

ماذا.. أ بيروتُ استفاقت

تلبسُ الكفنَ المطرز بالدماء !

وتبلُّ أصفر شعرها بالمسكِ

والنبع الملطّخ بالسماء

أتقوم هذي المجدلية في المتوسط الفضي، في أنواره

تمشي وترقصُ فوق ورد مياهه

تمشي وتُطلعُ فوق سيف الماء أوروبا

وغيزيسَ الزكية.. والتفاتة عشتروت

وكلّ قافلة النساء

ستقومُ هذي المجدلية

وتصبُّ فوق صحوننا دمها ونسكر خائفين

دمُكِ الذي سقط العشية

أم لآلئ بيتنا

دمُكِ الذي انتعشت به الأزهارُ أم وهج الضياء

أواه بيروت الذبيحة

تاجُنا

وسيوفُنا

وقلادةُ الشرفِ الرفيع بجيدنا

وذرى الوفاء

أواه بيروت السبية

أختنا.. وبناتنا وبيوتنا

ودم الهواء.

الباب الخامس عشر 15
في ذكر القدّيسة ريّا وعرائشها العالية

باستطاعتي أن أخوض في الحرب،

في برك من الحرب بأكملهاغ،

فقد أعتدت على هذا،

غير أن أبسط دفعات الغبطة تكسرُ قدمي

فإذا بي أترنح سكرى.

أميلي ديكتسون

أشرقتِ في ماء الينابيع الشهية وافترشتِ

الطين والأغصان دانية وخضتِ النهر

وحدكِ تضربين الموج بالورد الزكي

دمُكِ المحنّي خضرة الأعشاب أم وقع الندى

دمُكِ الملامسُ قبة الأفلاك أم رجع الصدى

تتلوهُ آلهة الرعاة.. أم المدى

فكّت طلاسمه الأغاني

أم سحابُ الله أنزله هُدى

فلربما مِّستك وردته الفتّية

ولربما قاسمت هذا البحر قوّته ووضمته الندية

ولربما قامت بكِ الفلوات راعيةً

وتوّجت الغيوم

أعلى قلاعكِ

ربما اهتزت منائركِ الوفية

* * *

لكأنما فتَّق كأس البارحة

نهراً عميقاً فيكِ أو شمساً عتيّة

وكأنما فرٌّت طيور جانحة

وكأنما صحت النبيه

الشمس رقّت بين عينيها وأعطتها الجلالة

وصحا على أكتافها الشعرى وسلّمها دلالة

والنارُ باركت المآقي وارتوى

من وجدها نجمٌ قديمٌ عاشقٌ وبكى وأعطاها حباله

والأرضُ لفَّت نفسها خجلا

وألقت سرها تعباً ونامت قربها

يا شمسُ.. رُفِّي فوق إبنتك الشقية

وضعي عليها تاج مملكة الهوى

ولتمنحيها رقَّة في الروح أعلى

وأمنحيها النارَ والطرقَ القصيّة

* * *

سأحنُّ...

لو كان الهوى طيفاً شريداً

أو هروبَ أيائلٍ من وكرها

أو عشبةً تصفرُّ أو مسُّ النسيم

ما كان لي أن استفيقَ الصبح أغزلُ بالغيوم

ما كان لي أن أرتمي متطيباً بالليل

بالجمرات حارقةً توسدني النجوم

سأحنُّ.. ألعبُ في يديكِ

وأكلُّم الأعشاب فيكَ شهيةً

وأهيِّج السنوات في قيعان روحك والهموم

سأحنُّ.. أركضُ في مراعي حقلكِ المنسيّ

أجتاحُ التخوم

أو أبتني عرشاً على ثدييكِ أهتفُ يا صباحي

يا قوة المنفى... ويا شجنَ الرياح

هبيِّ عليها يا رياح الخمر

واشتعلي بأيديها وضمّيها إليّ

نتعشقُ الطرقات والمدن البعيدة

منكِ استحت أمواجُ هذا البحرِ واشتدت

عليها فتنةٌ عُليا وهزّتها ونامت

في مسالكها الجديدة

منكِ استفاقت خوفَ أن تسعى بها

عرباتك الملكية التعبى ورايتك السعيدة

كيفَ استويتِ على التلالِ فقدِتها

وفطرتِ ينبوعاً بها

ورميتِ من نعماكِ إشراقاً وباكرتِ الضحى

كيف انتهيتِ لسدرة أبهى وطرّزت القصيدة

بعذابِ روحي وامتلكت الليل والنفس الوحيدة

سأحنُّ للصبوات تحملني غريباً هائماً

لا تعرفُ الشطآن روحي

ذاوياً سأهيمُ تتبعني العصافير الشريدة

* * *

كوني كما شاء الهوى

أن ترفلي في ماء تربته الجليلة

أو تملكي من روح عاشقكِ النهار

كوني الأهلة والمشوس على سحابته النحيلة

فالله يرعى الصبية المتطيبين بناره

والله يمنحنا الجرار

ويرفُّ فوقَ عيوننا

ويحيطنا بالسعد والسلوى ويُدخلنا جنانه

والله يمنحنا حنانه

من طاقِ عزته ومن نُعماه

من فيض الفضا في راحتيه وسنّة تعلو بنانه

من زهرةٍ هي بعض فتنتك العلُلى

من خمرةٍ حنِّت يديك وبلَّت الأعشاب في روحي

وخضّبت الضحى

والعاشقُ المجنون تفضحه الرحى

ويقوم ينهبُ كأسه في الصبح يسقينا دنانه

رقّت على شفتيه وردتُك الزكية فارتقي

في سوة الجدي الجميل غناؤه

حين ارتمى يبكي زمانه

يا واحةً أصفى، على كأسي أديري قوة الأغصان

والتفي على المجنون ولترخي عنانه

الله فوق جفونه

والوردُ يخفقُ في يديه وهيأ الدفلى مكانه.

الباب السادس عشر 16

الأنثى تشهر رياحينها وجسدها ومعاولها وتجرُّ نبالها وقتلاها وتصيح

جاثياً عند مشتبك الينابيع القصية

يتهدل عنادي فوق الغصون

ويسترخي فوق منابري رهج الأنوثة

من كتاب خزائيل

راشقاً إيّاك بالوحشة

منفضًّا عن الجمع الذي أُلقيتُ فيه

عطشاً أصرخُ بالماء فتمتدُ الحقولُ

أصلُ البرّ ببرّ والنهار الأجرد التالف بالليل

واستلقي على العشبِ فترعاني البراري

ربما تتكيء الآن على صدركِ أطواقٌ من الزهر وأفواجٌ من الطير

وتلتفُّ على طولكِ أقمارٌ وتنشقُ السهول

هادراً ينفلقُ الليل بروحي والضحى لسعٌ وإني

هادرٌ باللسع، يا وعل انتظرني

هارباً من زفزفٍ ريحٍ ومن حمى زمانٍ ودمى

هارباً من موجةٍ سكرى ومن بيتٍ خرافّي

فيا وعلُ انتظرني

مسدلٌ فوق حشيش أحمرٍ أُلقي رقاي

للتي ضاعت وضيعُّت إليها مبتغاي

ضمّني يا وعل، وأسكب من غصوني

بارقاً فوق جبيني .. وتطرّز برياحين هواي

ضمُّني يا وعل، ضمَّ النجم والشاهين واكتظّ

وزخّ الشمس واشرد في البراري

ولتنم ما بين كفيها وتسعى

في الفراش العطرِ الأسود تطويها..

وبالجمرة تكويها

وبالسهد تهدُّ النوم في أجفانها

يا وعلُ كلّمني وقدني

في لظى نارك، فالوردُ على لؤلؤ تاجي

وأنا العاشقُ لا خوفٌ ولا نومٌ ولا عقلٌ يناجي

أطأ الدهرَ ولا أحفلُ بالوقتِ

ومن أحمر أوراد الفجاج

أملأُ الجعبة والكفّ وأعدو

شاعرٌ.. أسمو بأسمالي وبالخُرج أُديرُ الكون فرحاناً

وأزهاري على جلد سراجي

* * *

طوِّقي زمجرتي باللطف وارتاحي على غصني ولمّي

زردي فيِّ أساطيلك والتفِّي كحبل شبقيّ

حول أطرافي ونادي بجعاً يخفقُ في طيني

وردّيه عليّ

كوكباً يشرقُ من ساحل أعضائي وعوداً يتلوى

فوقَ أسواري ودرعي الصدفّي

ضرجي نبلكِ في رقةِ أشواقي وأشهى عسلي

وأحكمي قفلكِ في طوقي وغّي شفتّي

فأنا أطلقُ تاريخ جموحي

عاقداً غصني بياقوتة فخذيكِ ومحتكاً بأسوارِكِ

والوردُ على أذني وكأسي بيديّ

* * *

داعياً نسلي ومحنياً على ناري ومجدٌ في جبيني

مذعناً للرهج الرخو أمنَّي النفس استعجلها، أدفعُ

ليلي في لباٍ محرقٍ كالطين تمضي بي صسفني

تاركاً دفع اشتهائاتي لسيفٍ باسلٍ كالوردة

اجتاحت أعاليه سنيني

أقلقي فيّ سلال الفتنة البيضاء وأعطيني مفاتيحي

وأبراجي وطوفان فضائي

وتدلّي كثمار الجنة الأولى على صدري وردّي

وحشتي وأمشي على أجمل أعوادي وطيني

خلفكِ الريحان والنبلُ وفحلٌ نازفٌ يلهث..

يا غاق.. ويا هدهد.. يا قشعم يا وصعُ تعالوا

صوب أنثاي وحيَّوا بذخا ترفلُ فيه

واسمعوا بوقَ أنيني

هذه الأنثى نزيفٌ راعفٌ يفتكُ بالليل ونشر

هاديءٌ للزبد الجنسي فوقي

هذه الأنثى اشتعالُ الترفِ الوحشي والعشبُ

وبحرٌ نائمٌ يضجرُ من حين لحينٍ

هذه شمسٌ حواها الله في خاتمه فاندلقت في عفّة

الروح لكي تحرث أرضاً ويقوم الورد والخصبُ

وتنهال على قلبي وتحمرّ عيوني

أرتوي من نبعك الفائر محموماً

وأكسو جسدي بالعسلِ الناضح من ميسمكِ،

ارتدي إلى أصلك أنثاي وبالشمس أتبعيني

تحت عرق الثدي هيجتُ سياطي

ورشقتُ الوردَ في كوكبة الثدي وللثدي انحنيت

وتضرُّعت إلى حشد فراشات على ثدييك

ألقي نحوه

زمراً من أصص الزهر وتيجاناً وخمراً

مالكاً أصلهما أهتفُ بالحوذيّ إجلد

واستفق يا جسداً

دُرًّا وزد ماء جنوني

فوق أرضٍ كالثعابين يوا ثديٌّ تكوّر

وتمطى واستدر واشفق عليّ

ها سياطي تعبت والشمسُ حُبلى ويديّ

ردِّها ثديك صخراً وصحا كالجدي يُستنفرُ

ها أوردتي ارتاحت وما كنتُ ارتويت

فلعل الريح يا |أنثاي تلقيني بعيداً عن سكاكينكِ

ها أني بعيدٌ أتلوى

وأصكُّ النارَ بالعشب، وفي العشبِ أناديكِ

وحيداً في الظلام

وأصلِّي لياليك، وأطوي جسدي بالعشب العاقر

ألتاعُ وأبكي وأنامْ.

الباب السابع عشر

الرُقى

في تسخير القلوب

أما العشاق فأن الطبيعة لتضمهم إلى صدرها ضماً عنيفاً كأنما قد

استنفذت فيهم كل جهدها وعجزت بعدهم فلا تستطيع أن

تخلق أمثالهم

وهم ندرة ولم يبق فيها من القوة ما يعينها على إيجاد أشباه لهم مرة أخرى.

ريلكه

رُقية رقيق الحاشية

أسدل الله عليّ الليل فاخترت فراشي

وتقلبتُ، وأرخيت علي روحي هياجاً

وتنورتُ وأوقدتُ أساطيلي وذوّبت

حجاراتي ورقّقت الحواشي

ماسكاً كوكب أنثاي

ومزهواً بأبواقي وزهري

الصبا يفرشُ رجليه على صدري

وفي صدري مزاميرٌ من البوح

وأجراس التلاشي

أطأُ السنبلَ بالنعل الملوكي وارتد على عرشي

وأحنيه وأثلقي زُكري فوقَ ينابيع من الخمر

وانصاعُ لأطواقي

والتمُّ على منشئ ثدييك فيبتلُّ فراشي

بالندى المنساب من ثدييكِ فوقي

مزحماً بالشهوة السكرى ومحنياً لتلّينْ عفيفين

ومكوياً بنار التاج والعطر النجاشي

هاتفاً يا سربَ أقواسي ويا مغدودن الشعرِ ويا حلمة

يا خشلُ ويا رنَّة قرطين ويا ريقُ اسندوني

ها أنا أنزلُ في مرمر أنثاي

وها في قاعها أُرخي قماشي.

رُقية دمك مسكر وناصع

لكأنما هذي الشفاه

ما مسٌّها بشر

وما وطأت عليها نسمةٌ يوماً

ولا أرتجفت لغيري

لكأنما أُلقي مصيري

في طينها الذهبي

والتيجانُ خافقةٌ على أزهى حريري

لكأنما أُرخي عليكِ سكينةً

وأقودُ في دمكِ الشهيّ مراكبي سكرى

وأُقعدها سريري

لكأنما أمشي بجنب إلهةٍ

وأقولُ للأفلاك ابتعدي وسيري.

رُقية حب آخر العمر

ربما قامَ كتابُ الحبِ

واهتزت على أوراقه الأغصان

وابتلت به السيدة التعبى وفاض

ربما حنّى يديها

ربما أرخى على أثوابها المسترسلة

ألقاً من فتنة الوردِ وإشراقاً بهيًّا

ربما رجَّ بها الله شباباً

ورمى في نسغها ماءً زكيّا

ربما قام شهابُ الحب في أهدابها

واستسلم الكون إليها

قَلَقٌ في آخر العمرِ يناديها ويستلقي قصيًّا

ربما ضاعت به أو ضمَّت الأرضَ إليها

وانحنت في العشقِ تلقي كأسها تملأوه خمراً نقيًّا.

رُقية الدم الوثني

هاتفاً بالجسد المجنون بالراعفِ بالناتيء بالفالق

هدَّم كوكبي في صحنك الريّان، هدّم دورقي

في نهركَ المشبوب، هدّمني وهدّم محجتي

أيها الطبلُ الذي ألهبَ مشيَ الفرسِ الهاطلة

إهتزٌ وقدها..

والحق الأيامَ والأعلام بالأُنثى وردَّ الجوقَ في

أفواجها وأشفق عليها، فهي كالسنبلة انشقت

وروًّ بزرها قوة وانطلقت تسحبُ أفواجاً من

العشاق والفُرِّاغ والتيجان والنبلِ وردّت للأنوثة

فعلها فاشفق عليها

وطأ الغابَ لها واخرج ليوثه

واطلق السيف الذي لوّثه سمٌّ أُناث الفجرِ

أطلقه، وزِدْ فيها مكوثه.

رُقية تسخير شمس الجمال

سخُّرت إليكِ الأفلاك

تقودكِ من مخدعكِ وتثني فوقَ قوامِك سحب البرّ

وتمسحُ ميسمها في شفتيك

ورشقت لكِ التيجان

وسقتُ الريحان

ليسجد بين يديكِ

وقرأتُ على العنّاب ورد البحر

ليحرس ظِّلك ويحفظُ نوراً في عينيكِ

هيُّجت لك الأحجار ونجمَ الليل وطينَ الجسدِ

وقمتُ أعبُّ خموراً تقطر من ثدييك

فلعلِّك يا نبعَ جنوني تروي روحي

ولعلِّ التعزيمات تقودك نحو فراشي

وأنا أرقب ليلاً شمس جمالك وأناديك.

رُقية نسيت حكمتك

كيف ارتضيتَ بزهرةٍ غرقى

وأسست الممالك فوقها

كيف اشتعلتَ بأول العمر الطويل بصحبةٍ

وتركت حكمتكَ الجميلة

سحبٌ من النزوات مطفأةٌ بنفسك، والقبيلة

لا تصطفي ولداً سواك

يهزّ رايتها الكليلة

من أنتَ حتى تدّعي الألق النبيَّ

وتبتني مدن الفضيلة

إحرق بهذا العالم الوثنيّ روحك

واشتعل حباً وحرّك ضفتيك

وردّ نشوتك القتيله.

رُقية أصباؤوث

سجدت لطيوفكَ أشجار الأرض

وسبُّحت الوردة باسمك

وسمى لجلالك طير البرّ وردَّد ذكرَك

فبناري سوف تقيم الليل قياماً وقعودا

وتنادي الآفاق عليّ وتسهر ليلك

فهلم إليَّ الساعة يا أصباؤوث

وهبَّوا يا خدام وأعطوه شراب العشّاق المعطوبين

بنار العشق وخمر النعمى

وأعينوا الوقتَ عليه

وخلِّوه رفيق مجانين قطعوا الدهرَ بعقلٍ أعمى.

رُقية مولاك

مولاكِ ذوى في كفّه الصخر

فاختار له الوردة والعشبة والتبر

مولاكِ رماه الليل والسكر

مولاكِ مضى في حالكِ الليل

روَّى عطش الروح فغنى

سكراناً أناشيد السكارى

هيماناً ومسِّه، في الغسق، السحرْ.

رُقية القمر يدعوني

قمرٌ يناولني الزجاجة

قمرٌ يدورُ بقبُّتي، ويهيل ريحاناً بمائدتي

ويلقي في دمي ذهباً.. ويُشعلُ لي سراجه

قمرٌ يبلُّ أصابعي بالشهوة السكرى

ويفتح لي فجاجه

قمرٌ يطرُّز في شفاهي النارَ والحمى التي فتكت به

ويصيح بي من ابعد الأعماق:

إحرجني وطَأ لي ساحلي

وافتح ولوّثني وخذ أبراجه

قمرٌ تعالى في سمائي وأرتمى في عشبتي

يُدني له نجماً ويعقرُ غيمة

شهداً سقاني وارتوى من قربتي خمراً وأغرقني به

وبقيت أغرقُ في مداخله وأمسكني رتاجه.

رُقية السوسنة

أنتِ يا سوسنة الأودية الأولى

وأسراب حمام الشمسِ والنار الحنون

يا جمال الله في أبنائه ردّ عليهم

قوة الخلقِ ويا صُفر العيون

أ أسوًّي نور عينيك سراجا خافقاً في لجج الدهر

وفي ليل السنين

أ أُجنُّ..

ليته ينفعُ ما بي ويداويني ويشفيني الجنون.

الباب الثامن عشر 18

ميمر الفراديس المخربة

البريء يلعب بالفردوس إلى الأبد

هنري ميللر

تعباً أجمعُ أبراجي وقطعاني

وتاريخ انشغالاتي و جمري

هاتفاً بالدغل اليانع في أعلى أساطيلي

وبالورد عفيفاً

تحتَ أحجاري، وملتفًّا بزهري

راجماً نبعَ أناشيدي بطين الخلقِ

محنيًّا على أبعد قطبين أنادي

بيرقَ الشمسَ وإغواءات سحري

مزحماً بالترف الليليّ،

والنجمُ القديم

يهتك الحزن بقلبي ويحنّي غرة الأفق يردُّ الليل

بالنور ويبتلَ بخمري

صائحاً بالبرِّ: هيئ ربة الحسن وهيئ قربُ الخمر

وهيئ لغة الرائي وهيئ سارياتي

وانقلب رحمة فردوسٍ وإشراقة فجرٍ فوق فقري

* * *

أيها النور- الجمالُ الهاربُ الآن

ويا صمت النهار الألق

من ترى أبعد عن روحي غيومَ القلق

من ترى ردَّ لأيامي تراب الغسق

من أضاعَ الدربَ نحو الجوهر الفاتن

والغامض والومض العجيب

هكذا ضيُّعنا الوقت وألقانا إلى موتٍ غريب

هكذا أسدل فوق الجرف قتلانا وخلّانا نغيب

* * *

رافعٌ كأسي ومشتاقٌ إلى أعلى عروشي

تحت ما يرشقُ أسواري من الماء

وتحتَ الحجر البنيُّ تمتد على نهري الطبول

تقرعُ الليل على أبواب روحي

وبها أتبعُ أطياف الجمال الشارد

خائفاً منكسراً، ربي لماذا !

هربَ الوعلُ وغابت عن فراديسي الوعولُ

وانطوى نجمي، وفي أجمل أيامي يلاقيني الأفول

خائفاً منكسراً أكتبُ أشعاري لوحدي

راتقاً السيمياء – السرّ أعلامي

ومعطوباً بنقشٍ بابليّ

خائفاً نكسراً، ربي لماذا !

أ أنا حارسُ ابواب الجمال – النورِ ألتاذُ

ويثّاقل إملاقي

وتنهدُ على بيتي الطلولُ !

أ أنا أُعرى.. أجوع !

من إذن يجرؤ منكم فيجيء

يأخذ النارَ، التي في القلب، مني؟

من ترى يأخذ عني ألمي هذا ؟

ومن منكم تُرى يرضى بأن يطفئ عينيه العويلُ ؟

يا غزالَ الجبلَ العالي

ويا سرب الأيائل

ها أنا أطوي أزاهيري وأوراقي وأنضمُّ لكم

منهزماً من ضِّجة الحفلِ ومن حمّى المحافل

بعد أن لوثت روحي بالخطايا

ومرغت بطينٍ أسود واخترتُ أطراف المعاول

قاطعاً أجمل أعضائي ومذبوحاً بأعواد الخمائل

ها أنا أطلبُ غفران الجمال

هارباً من رفقةٍ تعبى ومن كومةِ أصحابٍ أذلاء

ومن ليل المنازل.

الباب التاسع عشر 19

أيقونات ليل الروحانية

برقّة الإحساس... ضيّعت عمري

رامبو

رُقية المشتعل شباباً

فتىً أطلقَ كفيه بماء الذهب الصافي

وروّى روحه بالنار

وناداه سحابٌ قلقٌ فالتفَ بالأنهار

وأرخى جسداً فوق أديم الأرض

وانسابَ سخيًّا حار

فتىً ما راقه إلاُّ اشتعال الجمرِ في آفاقه

والفجرُ والأنوار

إذا ما فاحَ خمرٌ قامَ واستقوى

وأرخى فوقَ قَدَّ ناحل مرطا وعافَ الدار

وحنّى كفَّه عطرا وحطَّ الزهر خلف الأذنِ

واجتاح سماء البارْ.

رُقية الصولجان

أذكرُ يومَ كانت الحياة حفلةً

ورقصةً صاخبة

وصحبةً وفيّة

أيام كانت خمرةً

ونزوةً عابرةً ونُزهةً بهية

أيام كانت صولجاناً ذهباً

وغُنوةً

وامرأة شهية.

أيقونة قابلاً حمل آلامي

ويلي ذبل الوردُ على روحي

واشتقتُ إلى شمسٍ تناديني

للصحو.. لروح الخضرة الأولى

ويلي ذبلُ النجمُ على كفي

واشتقتُ إلى ليلٍ يُعطّيني

بالوردِ

ويعطيني سكاكيني

كي أَذبح قلباً نزقاً يخفقُ في طيني.

أيقونة إذا سجى الليل

وها أنا

أجهدُ نفي كي ألامس النجوم

إذا سجى الليل

أغني هائماً

وأنتشي بخمرتي

وأربطُ التخوم بالتخوم

لأبتني مملكتي

زاهيةً تطفحُ في عرائش الكروم.

أيقونة نجمة الصباح

هذه النجمةُ تستدعيكَ فارحل صوبها

هل ترى الومض الذي قام يمنّيك

بسعد الطالع – النروِ وأعطاكَ شذاها

إنها في الغابة الأولى التي تحرسُ أرواح النبيين

وأرواح الذين انشغلوا بالشعر

والعشقِ وأغواء الجمال

هامساً.. يدعوكَ فيها

غامضٌ.. سرٌ.. محال

فاترك الدنيا

وشدّ القلق الآسر في روحك للأعلى

وزدْ هذا الجلال.

أيقونة حي

هذا كتابي

عاشقٌ.. ومتوّجٌ بالوردِ.. سكرانٌ

ومكتحلُ بغصن أهلتي

ومناسلٌ شفقي ومنطلقٌ بأشعاري ومجروح الجبين

حيٌّ ابادل ضحكة الأفلاك بالنجوى

وأشتلُ ياسميني

في الفجر.. في الصبح المبارك.. في صحوني

متقدمٌ صوب الشقائق

أقبضُ الأنسام في كفي وتتبعني سنيني

فتكت بروحي عشبةٌ خفقت بأعلى كوكبي

ورمت بماء سلالتي لُثقاً

وشقت طينة الأيام في أُفقي وراودها حنيني

أمشي على أشواك ريحاني ويدفعني جنوني.

أيقونة ذي الكأسين

يا له

نجل شموسٍ خفقت في غرة التيه

متى حطّ على الظلمة أخفاها

وأعلى شأن كأسيه

نجوماً سطعت في عتمة القفرِ

تخالُ الأرض أنثاه.. يلاقيها متى ما شاء

والشمسين قرطيه

أميرٌ عاشقٌ... ينفلقُ الجوهرُ من فيه

ونارُ الوردِ تنشقُّ بخديه

جميلٌ.. كاملٌ..

عانقَ طوقَ الغيم والدنيا تناديه

أفاقَ اليوم من سكرته واكتشف السرَّ

فولى شطره نحو غياب الشمس واشتاق لباريه.

أيقونة الوهم

ستفرُّ الشمسُ من كفي

وتعلوني غيومي

في الضحى تخفقُ بالوعد، وها ليلي يجيء

خابطاً ستَ جهاتي بضبابي

مثقلاً بالحزن يطويني وينسابُ بأطراف سدومي

ومزيلاً فرحي

ها وردتي تذبلُ في صدري وتنشقُ تخومي

وأنا أسعى لوهمٍ تالفٍ يسرق أيامي

ويلقيني بأمواج الهموم

ليته يُقتل هذا الوهم

أو أُقتل

او نمضي معاً نرحلُ في الأقصى

وتخفينا أساطيل النجوم.

أيقونة الشاعر الذي لم يعرف

أبعد من منابع السحر ومن مفاتن الكتابة

يعملُ في سريّة عجيبة

في الخلق.. في الكينونة الأولى وفي المحال

في النار والنجوم والباطن والسؤال

لم يبق شيء

ثم ينهي حكمةً جديدة

لم يبقَ ما يقال

ويرفع الأيدي إلى الأعالي

مؤججاً نيرانه الخالدة الصفراء والجبال

وبعدها سيُكسر الظلال

وتُشرقُ الحياة في عروقه

ويبزغُ الجمال.

أيقونة الشاعر الذي عرف

وأدرك الشاعرُ أن، خلفه

وخلف ما يكتب، سراً مغلقاً

ومركباً منقلباً تحيطه المياه

وحينما أراد أن يراه

دقَّ على أبوابه فانفتحت

وهمَّ أن يبصر ما ابتغاه

لكنّه خرَّ على عتبته مندهشا غريقاً

وصارَ لا ينطقُ

صارَ تائباً وضيَّع الطريقا

ومزَّق الشعر

وسدَّ باب بيته وأشعل الحريقا.

الياقوتات

1986

ثمة من يكتبني

رامبو

الياقوتة الأولى

انجلى الليلُ...

وحتَّى كبد الصبحِ صياحُ الديكِ والشقشقةُ البكرُ

على النهر. ومن حيضِ دم الظلمةِ، في ساقية الفجر، أهرقنا

جرار الخمرِ أرخينا أيادينا به وانحدرت لذّتنا في الطين

دفناها بقاعٍ معتمٍ يبتلُ بالعشبِ الشهيِّ اللامع الزاهي،

وإذ داهمنا النورُ وشبَّ الساهرُ الوسنانُ من سكرٍ قديمِ

قامت الدنيا تفلّي سرّها في لحمنا.. تبكي... ويبكي

عندها عجل مساء الجنسِ تبكي ماسةٌ فينا، وعدنا مثلما

اللّلُ طوانا نسكبُ الخمرَ ونسقي زُحلاً قامَ بنا يدمعُ من

كيدِ لنستلقي على العشبةِ مأخوذين بالفضةِ فينا والفضا

في قبرنا، والوردُ في أقداحنا يبكي، إذا الأفلاكُ دارت

ردُّها الصبح وألقاها شفيعُ البحرِ صوتاً مثقلاً بالزئبق

الناريّ سوَّاها حباباً بلَّ أيدينا كأن الطلع فيها أو رمادُ

الماء في قرباننا يطفو.

أفقنا ليتنا ما مرَّت الشمس علينا، ليتنا نمنا وسوِّينا بحلم

شمسنا كبشاً وقدناه إلى مرعى وما قُمنا، فشقق أيها النائمُ

في رحمِ الحليبِ الضوءَ، أقلق خُضرةً فينا ويعفوراً يغيضَّ

البحرَ، هدهد أفقاً يمحق سيل الغيبِ فينا وأمسكَ النارَ

وزدْ واترحْ فيما خطبكَ غادرتَ بحورَ الجسدِ المهتاجِ

أبدلتَ به صخراً أصمًّا جَلفاً – دنياكَ سهواً – لا ترى

النورَ ولا تعرفَ جمرَ الفرحِ الغامرِ أو لمحَ ندى البرق

البتوليَّ ولا زهو الطواويس ولا الكأسَ وكم ناولتني

مرجانةَ الخمرِ بكفّ لفُّها الورد، وعصوران قُدَّا ذهبا

قرطان في سوسنةِ الماضي وفي مخَّ سمانا أنت بادلتهما

بالقشَّ، ما خطبك لا يرمزُ فيكَ الفصُّ أو يخطفلك الضدُّ

ولا ميسمُ جرح الماء وهو الفاتنُ الثديُ اللطيفُ الناتئ

الغديَّ رهطُ المخملِ الناريِّ في الثغر

تهيأْ يا أبا الندمان...

للعيش الخلاسيَّ وللغزو وللرحلة صوت الغامضِ المجهول

يا ذا الوجنةِ المترعةِ التعبى وذا الشعرِ الزكيّ السائب

المحمول فوقَ المتنِ منساباً مع الريح التي تلفحُ فتياناً

ملوكيينْ.

تهيأ يا سليلَ العنصرِ الأعلى

ويا ماساً أزاحَ اللغط الفحمي يا من يرتوي بالخمرِ حتى

يُزهر الخدان بالوردِ، تهيأ يا أبا النجوى لقطفِ المنّ

والسلوى وردَّ السهد بالأشعارِ والترويضَ بالبلوى ويا من

يقفُ الآن على دربِ الذين اشتعلوا في أولِ العمرِ بعشقٍ

هدَّهم فانتشروا ليلا وسوَّاهم صباح أدردٌ دوداً دبيباً عند

حافاتِ المجرّات يفيقون متى ما رشُّهم شبل شرابِ الشعر

سمَّا ويغنون، فيا من يقف الآن على الكلمة أطلق طائرَ

النورِ من الجنةِ وأمسك أثرَ الله وصيَّر سحبا مطويةً في

الفجر واستهدِ بخفقِ النجمة الأولى وخفقِ العاشقين العزّل

الصيد، فلا بابٌ لخيل الملكِ النازل في برية المُلك بلا تاجٍ

يحنُّيه دم العشاقِ في التيه، أفق من حكمةٍ عمياء تلوي

فرس الفارس عن صولة حبٌّ مستهام ناحلِ العودِ، أفق

في شبهات الهتك واهتزَ لمعنى وطرِ الشمس على عظمكَ

وانشقَ بشلال من الفضة غضاً فائحاً من ترف الغيم على

فخذكَ، من ظلٍّ ذبيح فوقَ تيجانكَ هيَّاجا ومكسوراً

على خرزة أنثى لاغياً شمساً بروح الكلبِ أو معنىً بتتويج

سراب، لاغياً موتاً بشكِ السهم في عين عيون الأبيض

الصافي، أفق مولاي في روحي ورجَّ الأفق الأطلسَ وادفعهُ

عن السقطةِ والنهبِ، ففي رجع صدى الُلك التي تغرقُ،

في داخلنا الأرحبِ، في الزهرةِ والكوكب، في القاعِ

السديميِّ وفي مضمضة النهرِ وفي المُخُّ وفي طرةِ هذا الشفق

الميتِ تدعونا جنان الله شطراً لندى الظُهر وشطراً لندى

القاع، فيا قافلة الرهبان إذ تطلعُ من بين ثنايا البيدِ

بالعصفرِ والنارِ أريحي الركبَ في أرضي ودقَّي الميسم

العالي في كفي فذا الصبحِ يحطُّ الآن، من أجل النبيين

برجليه، على النهر.. على قلعةِ هذا البحرِ أو طلعةِ مرأى

الفلك الحندسِ أو قافلة النورسِ. للماءِ.. لهذا الموجِ

أحني جبهتي المؤمنةَ الحرّى.. له للرجفة الأولى التي

تزحفُ منذ ا لأزلِ الأول.. للغيم الذي حامَ على أولِ

خلقِ الله، تلكَ الموجةُ الأولى التي تنطقُ ذاتَ الجملةِ

السرّية الغامضة الأولى.

* * *

ونحنُ الآن في الفجرِ رمادُ اللدغِ

في أيُّ الروابي دفتَ هذي النفسَ بالشمس وسوّيت

عروقَ النارِ في قلبكَ صلصالاً، وفي أيَّ مدى باكرتَ

طيرَ البازِ إذ بارزت أشباحاً وضيّعت بهم هذي الذرى

فوقَ لسانِ البرَّ أرخيت قلوعَ الشوقِ، طرَزتَ شتاتَ

الغربِ بالشرقِ، وفي النبتِ أحييتَ قوى الريحِ ومازجتَ

الرضابَ الحلوَ بالبرقوق باهلتَ الصبا القافزَ في السهل

وفي الصحراء في خفقةِ سربِ الطير والنحلِ وفي شهوةِ

حبِّ الارتقاء الصعب والخلق وفي ضوءِ اليواقيت إذا

ما شُققت كالبرعم الصاحي، تناديكَ جموعُ الروحِ نحو

المضجعَ السريّ للكهان في التلِّ وفي الغار القديم الذابل

الذاوي لفكِّ الأحرف الممحوةِ الأولى من الزبر الذي

سطَّره شيث ومن لوح متوشالح، كيف انفطرت قدرةُ

من قدَّر ومن دار على الكونِ ومن سطّر أو صيّر أو

أرخى على قاعِ البحار السود قطعاناً من النملِ ومن كوّر

نجماً آفلاً.. مَنْ في الفضا استنسر؟ سمعتُ اسمي يُنادى

من على ساحل هذا البحر من ماضٍ بعيدٍ شدُّني الصوت

وأبصرتُ.. فكان الله يستلقي على الماء ولم أدرك كيفَ

انحدرت نطفةُ أبنائي من الغيم وبلّت أطلس الأرض

وصارت بشراً يصغونَ: عُرُّيت لمرأى الروح، أوقفتُ

الندى والنار إجلالاً وصليتُ للقيا أول الأنسام في

الفجرِ، فمن منكم رأى البيتَ الخرافيّ الذي عمُّره الشاعر

واستلقى به في لحظة الموتِ قتيلاً بين حورياته ينزفُ

أإزهاراً وياقوتاً وكان الخمر في قربتهِ يغلي ويرتجُّ؟

أذن من منكمو أوقفهُ العطرُ النجاشيُّ الذي يخرجُ من

وردةِ خُلدٍ عند قاع البحر أو في ساحلٍ أعمى؟

ومن أسسَ في هيكله الكونَ وأبقى نفسه منفصلاً

مستيقظاً للنارِ، أبقى روحه في رفعةٍ أعلى من النزوة..

من بحرٍ غريزيٍّ ومهجور؟

ومَنْ قاتلَ في داخله الهيدرا التي تشمخُ بالسوءِ إلى الروح

وسوَّاها نباتا ذابلاً حطّمها في القاع؟

مَنْ أحنى لكفَّيه الغيوم الخضر والمعدن والنار ولم يقطف،

حين اختار أن يطردَ من جنَّتكم، بابا ومفتاحاً؟

ومن يخرجُ في أ على الحصون الصفرِ كي يرقبَ أحجاراً

هوت منذ زمان الفلقِ الأولى في الموجِ ومسّتها المياه

الزرقُ فازّرقتْ؟

ومَنْ يربط في أنفاسه البحرَ بمدٍ وبجزرٍ وبتقلبِ وأحلامِ

مخاضيب؟

هو الساحرُ والعاشقُ والشاعرُ والشاربُ

هو الواثبْ.

مولانا الفتيُّ القمرُ الراهبْ.

* * *

طويتُ الخطوة الأخرى

فأبصرتُ المدى من فوقِ حقلِ النخلِ يهتزُّ لقيثارةِ لحنٍ

أزليَّ قام في الصبح، لشمسٍ قُتلت في أطلس الماسِ وفي

رشقِ كتاِ الطاقِ والشهوة، في فلِّ بياض الموت والجرح

ومِنْ شمَّ دمِ الأنثى كوردٍ ناقعٍ في الخمرِ كالسكران

أضناه الجوى والطربُ الأخُّاذ والفتنة إذ تسقطُ من فيضِ

شموس البيضِ لو رنَّحها سكر وشدُّت في الخصور الضممر

أغصاناً وخزُّت لتهاوى عنب الجنةِ في الكأسِ وضُيعنا

بوادينا تُحنُّى فمنا الخمرة والتوقُ، نجرَّ المرط من أكتافنا

نهذي ونستصرخُ جوف الليل بالشدوِ وبالغفوِ على

أكتاف من ناموا ومَنْ أثقلهم سكرٌ، فشدّوا رحلكم في

الليل والتموّا وحنَّوا شعركم بالزيت، حنُّوا بلقى الصينِ

رداء الشاعرِ الضلّيل، دقُّوا الطبل والأبواقَ والبرقَ ففي

الصبح سيفضي لكمو باسم الينابيع التي ينهلُ منها ثمّ

لا يبقى، سيطوي في الفلاةِ الخطوَ نحو الله، يطوي

حكمةٌ شاخت بكفهِ وأشعاراً ذوت في نار جنبيه، لكم

هذي الربى والأرض والدنيا

له الدهرُ وشمسُ البرِّ في أقواس عينيه.

* * *

تلقاني الفضا والحجرُ النطرونُ، ها أني كما آدم مطرودٌ
من الجنةِ، من حقلِ الشباب النضرِ الزاهي ومدفوعٌ إلى
كومة أحجارٍ من الحكمة في زمرةِ قدّيسين معطوبين
بالتأويل والباطنِ والفوق، فمن عاقبني حتى أصير اليوم
ما بين الرقى والكتبِ الصفراء والظلمة والنون؟ وقد
اتلفتُ روحي بالنزول المرّ للبئر الشهيّ الفاتن المسكون
بالأفعى، إذن هشمتُ هذي النفسَ فيما يُشبهُ الفتنة
والصفعَ الذي أفقدني النورَ وأنساني حدودَ اللمسِ،
أصبحتُ قويِّ العقل كي لا يعرفَ الناسُ بأني ملكٌ
مجنون، ها إني أظلُّ الآن قربَ اللذةِ الأعتى وطلَّقت جنانَ
الشعرِ آثرتُ بأن أنزلَ في النهرِ الذي يمتدُّ جنب الشعرِ
رقراقاً.. عميقاً دفقاً ثرًّا ومهراقاً
دعوني أستر النار التي في القلب بالدمعِ، دعوني الآن
مشغولاً ومعتلاً ومبلولاً
فهذا جسدي ينسلُّ بين القبرِ والأوهامِ مشلولاً
يشدُّ الزهرةَ الأولى
فراشاً هائماً صبًّا ومقتولاً
دعوني للسموات التي أعرفها أصبو، فبعدي سوفَ يأتي
كاهنٌ طفلٌ شديدُ العزمِ يُلقي حبله في الفلك الآخر..
يستهدي بما كونتُ من هذي الرقى والكتبِ السحرية
السوداء.. من وحي أناشيد لإسرافيل.. من يقظةِ دلمون،
وما في السيمياء السرّ والكانون
فتُمسي الأرض كوناً فرحاً مجنون
وينسى الناسُ صبًّا قلقاً مفتون.

الياقوتة الثانية

أعودُ

فأحرقُ الأوراقَ والحبرَ الذي لوَّث ثوبي والرقى، أُرخي

لأعشابي لذيذ اليمِّ، استلقي بفجر معتمٍ يرشقُ أورادي

يماماً تائهاً... يمسح لي روحي، فيلتفُّ ضحى البرقِ على

غصني ويلتمُّ على تاجيَ، ما كان معي غيرُ صدى صوتٍ

يناديني وأشباحٍ تدقُ الليل.

هذا ملكٌ يرفلُ في الأسمال تيَّاها جليلاً يُمسكُ النجمَ

ويستمطرُ بالشعرِ جناناً، هوَ طلاَّع ربى النُعمى، شيخي

الشاعرُ الأعمى، سليلُ الوردِ والأنسام والقَرمُ الذي

طوَّع أفلاكا وما سمَّى، إذ اختار مجرات له وافتتح الطينةَ

والجُرما وقال الشمسُ في مُخِّي وما استبدل التبرِ طروساً

حاكها بالنور واجتاحَ له تلٌّ عفيفا وأرتمى يحفرُ عن
سلسلة بائدة ورداً وتيجاناً وأحياءَ خرافات قضت وطراً
وولت فانطوى يحنو عليه الأزلُ المغلقُ والريحُ لذا ألقى
على أسماله الزهرَ وهاجاً صافياً من ثمرِ السدرةِ حتى
ينطوي في فلقةِ البلّور أو يمسك عشب الجوهرِ الغامض
والآفاق يرعاها ظباءٌ تركلُ الغيمَ على لبوةِ هذا البحر أو
يطرقَ نهراً هادراً في البيد، هذا الملكُ النازحُ في مملكة
عليا يناديني، لكمْ هيَّج فجرا في دمي واختار أن يبقى
بعيداً يصلُ النجمة بالنجمة بالأعشاب، منها أسَر الكونَ
على نخلةِ أهليه، إليها ورنا يمزجُ سلسالاً بماءٍ كدرٍ
فالتفت الأحرفُ في فيه وفَّرجنَ له الصعبَ ودون لياليه
بأحلى الطُرس، ناداني حبيبي للربى، لا بد أن أترك
كأسي فارغاً أتبعهُ الآن وأُلقي قدمي في أرضهِ الأولى
فنفسي هَلُكت من لذةٍ حمراء واخترتُ مآقيه ينابيعَ
تداوي عللي تُبرئُ جسمي من قشوري، إنني أبصرُ
يا شيخي أفواجاً أتت سكرى وتيجاناً على ثنيةِ هذا الغيم،
شمساً من قطاف الروح تدنو من غرانيقي وآلافاً من
الجنُّ تقود العربات السود للأقصى فخذني نحوها يا شيخ
ألقاها وأمشي في مناياها، أشمُّ الروح في أشجارها أعلو
بسلواها إلى غصنٍ سماويّ على العرش أدرْ فوقَ إنائي
حبركَ الأبيض واملأني ببحر يغسلُ الدغلَ بروحي والمساء
المرّ عن كفي وأعلامي يردّ الليل عن عقلي ويحميني من
التخمة والجاه، أدرْ يا شيخي الأعمى رضاباً عسلاً فوقَ
لساني واسعَ بي للمنجم التحتيُّ ألقي فيه تمساحي وغصني
وأناشيدي الغنوصية والخمرَ التي عتَّقها قبلي سرّيون

وأنسابوا، كما كوكب زيتٍ، في فنونِ العقلِ في أنغامه
الغمرية الجفرية الأولى لأعلو في نجيع الهدم أُحصي غسقَ
المنفى لينشقَ رماغدي وأغني قصة الموتى.

* * *

هوى عند قطيع الغنمِ النائم في العشبِ المغطى بالندى
نجمٌ وغطُّته فراشات قتيلات ولكنَّ الفتى صلّى لباريه
وناداه المدى فالتفَّ بالزهرِ وأرخى قدماً فوقَ طريق المجد
واحتاح أعاليه.. جمالٌ أسر العين وردَّ البرَّ برَّينِ وألقى
صحف الماضي على روح ذوت من لهبٍ أعمى وأجفانٍ
هوت فوق خدود زانها الطُهرُ وروُّاها طراز الخمرِ شمسين
جمالٌ سقطَ اليومَ من النار وأخفاه عليلُ البالِ في الروح
وألقاه السما فانشقَ ماضيه سحاباً غَدقاً روّى مراعيه
فواهفاه الضحى بالكاظمات البيد والتيهِ، أينْ يا ليل عن
نجمٍ هوى في عشبٍ مجروحٍ وعن غابٍ واشراقات ممسوح
رمى في زيته نبتاً غريباً هيَّم الأسماغك والغيمات والقطعان
واختار له نجعاً بعيداً خافقاً يمتد في أفق كليلٍ أبيض
النبضِ، أينْ عمّا يروِّي عرقك الشائك وأسرح في غبار
الخلقِ، للنجمة لوِّح واربط الطين بصلصال طفا في
خاطرٍ ردك مخبولاً وخلاَّك تنادي شبحاً يركضُ في
صحراء أيامكَ لو مسَّك عشبٌ ردَّك العشبُ إلى الخضرة
فارتحت على سورك تبكي زمناً ضلَّ وما أبقى، جمال
غمرَ الدغلَ وأرخى فيضهُ فوق تلال الليل أرخى شالهُ
فوق تخوم الأرضِ لو زيُّنها الركب وفكّت فوقها الستر
ونامت واستراحت عندها الروح وأعلاها حنينُ الفتح
للشمسِ وروُّاها زلال النبعِ حنُّاها دم الفتنةِ واحتكَّ بها

النهرُ القديمُ الأبعدُ الصافي وفي لفح الندى الغافي على

مخملِ أجساد طفت في عتر الوردِ سرى في دمه الفجرُ

وشدُّته شموس نحو خلجان فخاطَ البحرَ أعلى برقهُ

الأسود للغيم وزخَّ الماسَ ناداغه صياحُ الشاعر الأعمى إلى

الجنةِ والحقلِ السماوي فألقى سرَّه في الليل أدى قسما لله

واختار عصاه ومضى فجراً.

حزينٌ ضاربٌ في الأرض لا يلوي على سهلٍ ولا يركنُ

في بيتٍ، حزينٌ رابطٌ جنحيه كالباز إلى صخرٍ وملقىً في

عراء الله يلتمُّ عليه الطيرُ والعقبانُ ترعاه لكي تنهش عينيه

وقد كان الدجى يوماً حبيساً في شراعيه وشمسُ البرّ حبلى

به، قد كان أنيساً غرقت في كأسه واستسلمَ العاشقُ للتيه

وما أغلق باباً صوبَ نورٍ قادمٍ من آخر الدنيا إلى القلب

الذي عُتقَ دهراً في دماه فطفا فيها، وألقى فوق عينيه

بريقاً كاسحاً وازدان شاطيه، له أثوابُ قديس عفيفٍ

ورعٍ يحملُ تيجان أقاحٍ دررٍ ينسكبُ الكوثر من فيه،

عجيبٌ خلطَ الشمسَ بماء العمرِ فانشقت له الأغصانُ

يلقي الغسقَ المحزون بالألحانِ والصحوَ بترديد تعاويذِ

الرقى والسهدَ بالندمان.

أميرٌ... ملكٌ في آخر الليل، وفي أوله بدرٌ جليلٌ، سمِّه

ما شئتَ.. تاريخَ جنونٍ عاشقٍ، سيلاً من العشاق،

أنساباً وأسماءً من الماشين في كوكبة الوردِ، جميلٌ عاشقٌ

في الأرضِ يرتاحُ على سورٍ من اللُبنى وأنهارٍ من الخمرةِ

والضوءِ فهل يهتزُ هذا العالمُ الراكدُ مثل الوترِ المشدود في

العودِ على أيديه؟

هل يهتزُّ هذا الوثنُ الثورُ وهذا الحجرُ البحرُ؟

وهل يهتزُّ نبعُ الأرضِ وهو الساكتُ الأدرد؟

هل تُصغي لكفيهِ حشودُ العازفين الجامدين الآن في

صالات هذا الكون؟

هل تنفضُّ أرتالٌ من الأرواح نامت واستقرت في نواةِ

السيفِ والعرشِ؟

وهل يفعلها غطريفُ لوغوسٍ معلَّى يضرب الأرقامَ

بالسوط فتبكي وتُدلِّي.. يضرب الأحرفَ بالجمرِ فتعطي

وتعرِّي شفرة الكون؟

فهل يفعلها؟

هل في ظلام الليل يُنهي أمَره.. يعلنُ هذا المحتفي بالموتِ

سرًّا ثم يستلقي قتيلاً وسطَ نورِ العالمِ السفلي.. في

السدرةِ.. في سفر البروج الأصفر الملقى بأفواه سكارى

الكلمة الأولى.

أفقْ.. ليسَ لكَ الآن سوى أن ترشقَ الماءَ بنيرانكَ كي

ترفع بين الحينِ والحينِ كتاباً ثم تمشي زاهياً فوق خرابِ

الأرضِ تُلقي الشائك الأولَ بالناعم والآخر بالقادم ترميها

بقاعٍ يابسٍ يرفعُ في الأكوان أحياءً يولتاذُ بنبعٍ عامرٍ، كمْ

كانت الأنجمُ سوداء وكم غنت لكَ الأشجار واختارت

لك الفردوس بيتاً طيباً حلواً وبستاناً

ولكنك ما أمسكت منه غير طيفٍ شاردٍ في الليلِ ما

أمسكتَ غير الليلِ منساباً وجذلاناً

على كأسكَ يهذي جملاً ناقصةً، أضغاثَ قاموسٍ

وحيراتٍ تبلُّ العينَ قبل النوم، ما أمسكتَ غير الدهرِ

فوقَ الأرضِ مطروحاً وسكراناً.

هوى غصنُ شذاتي

وارتقى الطيرُ لتدبير أذاتي

فهو عندي رهجٌ يصعدُ من شمس رفاتي

وسرابٌ قلقٌ ينزلُ من غيم الزمانْ

وينابيع أرتوت ليلاً بماء الحيوان

هكذا أبقى أنادي الشُعريانْ

بلَّني الهدهدُ واشتقَ رحيقاً من شفاهي ورمى البحرُ إلى

كفي جراراً من خمورٍ عُتقت دهراً وشابت، بلُّها النور

زمانَ النطف الأولى وأخفاها هديلٌ شفقيّ

ورمى لي عطشي الخمرَ السُجاج الودقيّ

تحتَ ما أحتكَ من الأنسامِ في ثوبي وسوّاني التقيّ.

ربما الحالم في النومِ يهدُّ النومَ والطيفَ الذي علَّقه طير

ويحتاجُ رمادَ العقلِ إذ رمَّزهُ الطارق في الغيمِ أو زينّه

النورُ وكبشُ النار، ها أنتَ بهيَّ الروح أمسكت بلوح

الخلقِ واخترتَ بأن تذبح غزلانك والشمسَ عليه،

صحتَ بالناسِ أنا أولُ حرفٍ فوقَ هذا اللوح والنجمُ

الذي ما زال خفاقاً بأقصى الكون والساكنُ في الأرحام

والهائمُ في البرية الأولى، أنادي الوردَ والماءَ الذي يبزغُ

ملتفاً بقنديلي، وأسعى نحوَ نجمٍ ذابلٍ يضعنُ في اغلمنفى

فألقى بعضَ ما ألقى وحيداً قلقاً يلعنني الطيرُ وتطويني

ثعابيني، وألقى بعضَ ما ألقى من الفردوسِ مكسوراً

ومكسوًّا بأطواقِ شظايا تنثني في الكونِ أنغاماً وأحجاراً

ولكني أخيراً أرعوي أرجعُ من نجمي إلى طيني.

الياقوتة الثالثة

لا فرحة كفرحةِ الشاعرِ

لا أبهةٌ ومسطوةٌ.. كسطوةِ الشاعر

لا إمارةٌ.ز تشبهُ ما أسسهُ الشاعرُ

لا كواكبٌ ترقى ولا عناصرٌ تفورُ مثلما في قدح الشاعر

يُلقي دمهُ في بركةِ الليل فيدمي الليلَ والفجرُ يناغديه، أميرٌ

كسفَ الظلمة بالكلمة، والشمسُ على أحلى أوانيه

والبدرُ ما لؤلؤةٍ في تاجه أو خرزةٌ تسطعُ بالنار وتُحييه

وقد أعطى لسورِ المجدِ ظهراً واعتلى قلتعه ينسجُ أقوالاً

وأحلاماغً وغزلاناً تنادي وارتمى في النورِ تيَّاها عفيفاً

ماسكاً غصنَ براريه، جموحاً يطعن الجنَّ ويُلقي نبلَهُ في

زُمرِ الأطيافِ، هذا الهائمُ الصبُّ العليلُ أنسردَ الدرُ له

وانفلق البزرُ ندياً في يديه ورنا رايتهُ تطلعُ من فوق

شواطيه، وها قد زفنَّ الليل وأزجلنا الموميل التي رددها

من قبلنا حشدٌ من السهادِ والعشاقِ، أطلقنا طيور الطرب

التعبى، فلا نجمٌ يناغيكَ ولا خمرٌ يردُّ السهرَ عن عينينك،

لا نورٌ ينجيكَ من القحط ولا إيلافُ تُرخي عندها روحاً

سوى الأرض التي تبلى وأحداقٍ تصيدُ الشارد الصعبَ

وآياتٍ لها وقع القرابين إذا ما أُلقيت أرضاً جُزّت

وتلوت فهي تلويني.

* * *

حزيناً أفل البدرُ

ولفَّ، البيرقَ المكسور، فرسانٌ ملوكيونَ بالزهرِ وأعلاهم

حنينُ الفتحِ للموتِ يصيدون به كبشاً نشيطاً ينعتون

الكون بغلاً ويفيقون، يحطّون على الصخر أباريق جمال

وفناجين وتيجاناً ودفلى، قادهم طيفٌ وروّاهم ضجيج

الدمِ في أوداجهم واستعذبوا خمراً، يدقون بصنّاجاتهم

أندرَ ألحانٍ ويمشون لحتفٍ مشرقٍ مشي خفافٍ يعصرون

التمرَ والأعنابَ تحت البرق، هاهم طلعوا في مطلعِ

الصبحِ ودروا حول نبعٍ تالفٍ وانتشروا فوجاً فمنهم من

رمى ورداً لقرن الثور فانشقت ومادت تحتنا الدنيا ومنهم

من عصى واختار أن يقذف قلبَ النور بالكلمة وارتاح

على بحرٍ من الشذر ورجَّ الماسَ في خوذته واعتصر الجمرا

وها ناموا جميعاً آخرَ الليل وعلى قمصانهم وأفترشواغ

العمرَ، سلاماً أيها الصحب الندامى يا نهارَ الشعرِ يا نورَ

القناديل، لهم في رفرف الماء طيوفٌ هزّها الشعرى

بترتيل، يشقونَ دمَ الليل ويمشون على أطرافِ هذي

الأرض أشباحاً ينزُّ الوردُ من مشيتهم توتاً ويسبيهم

صياحُ الديكِ نشواناً ويكويهم إذا شمّوا على أطراف

بغداد رياحَ الخمرِ هبّوا وتساقوا، حلبوا النور من الكأسِ

وصبّوه على افئدة حمراء تنشقُ عن النبعِ وترتاحُ على غرّة

صبحٍ فيصليٍّ أصفر الطلعِ وها بينهمو الشاعرُ يعلو الفرسَ

النافرة السكرى ويغويها إلى شاطئه يحدو عليها ثم يدعوها

للمسِ اليم والغطس إلى لؤلؤة خضراء ما بين عيون الثورِ
والريحُ على قرنيه تعلو ها هو الآن يحنّي طيره بالعصفر المرّ
وبالكنعان، يمضي صوب أعماق الطواحين ويُلقى ميتاً في
دربه لكن جنحين صغيرين يرفَّان على كتفيه طول الدهرِ
هذا الشاعر المقتول أغرانا بهتك الروحِ والعيش على تكيةِ
أحلام العصور الغابرات، شدّنا من شعرنا بالأنجم الأولى
وألقانا بيمِّ الشمس وانكبَّ على دورقه يُمسكُ بالطين
وبالأعواد كي يخلقَ كوناً كاملاً يرفلُ بالنورِ، هذا
الشاعرُ المقتول ظلَّت في الربى ملقية أضغاثُ ريحانٍ عليه
ومداراتٌ له تطلعُ والنهرُ له يلطمُ، وهو ايوم ما زال كما
مات لُجيناً خالصاً، جوهرةً، نوراً، خلاصاتِ حشود
منتقاةٍ وصراعاتِ جنونٍ طافحٍ بالبشرِ قُدّام الشياطين
العتاة الزمرِ المارقة الخطو من الجنّ

* * *

أفقتُ

ليتَ حلاً مرَّ بي ما مسني بالنورِ، ليت النور ما مرَّ على
عيني وما سوى ترابي نجمةً والتفتَّ يغويني وقمتُ.. ها هو
الله يغطي لي حقولي.. ها هو العشبُ وسيقان البراري
ترتخي في الأفق ها خُشعةُ بيتي تستوي أرضاً ومنها
يطلع الكونُ نقياً رائقاً لا بُقعُ الشرُّ به تطفو به ولا طين
الحياة.. وأنا أنظرُ للأعلى.ز إلى حيث يكون الله
والله يناغيني ويلقي ثمراً نحوي
ونشتاقُ إلى بعضٍ – أنا والله – أوقاتاً يراعيني وأرتاحُ
على فسحةِ كفيه
أوقاتاً يناديني بصوتٍ غامض يعلو:

وحيداً صرتَ يا طفلي مذ غادرتَ فردوسي

وضُيعَّتَ بهذي الأرض محمولاً على بحرِ الخطايا

مثقلاً بالإثم متبوعاً بناقوسي، فعدْ يا طفلي الحالم

من منفاك وأملأ وحشتي واصعدْ بناموسي

فأبكي ريثما يطلعُ فجرٌ.ز ريثما يملأُ صوتُ الديكِ أنهاراً

من الظلمة حيث الأفقُ ينشقُ ليطوي الله عرشاً تحتهُ ثمّ

يحيّيني ويمضي.

هكذا أبقى وحيداً أسألُ الأنسامَ والأيامَ والجفر القديمات

عن الله وأبقى هائماً أحرقُ ليلي بنهاري وأرى في السحر

أخلاطي واستحضرُ روحَ الخضرة الأولى ورجعَ الصوت،

أبقى ساهماً أرقبُ ظلَّ الله في الريح وفي الرعدِ وفي

النور الذي ينحلُ في لجةِ هذا البحر، قد ألقيتني يا ربّ في

جبٍّ عميق راكعاً مضنى، وها علّمتني يا ربُّ أن أنزعَ

من روحي سكون البال والأعماق أن ألجمَ أفعايَ التي

تدفعُ بي نحو سفين غارقٍ في اللذّة السوداء، ها علمتني

أن أطبعَ الأيقونةَ الطقسية الأولى بنعشي وأُهيلُ المسكَ

فوقي وأنادي أربعاً إسطقس، يا سيلَ أباريقي ويا فيضاً

طفا فوقَ أساطيلِ الندى والطين لمَّا صعق الأقنومُ

وأنشقت به بذرةُ حواء وطارت ريحه نسلاً جميلاً دلقَ

الفايروس في عظم البراري ورمى في بركةِ الحيوان أسلافاً

نما فيها البراقُ الطيفُ والعجلُ المقدس والنياقُ الصفر

والبعلُ الذي قامَ بتاجِ الزهرة الحمراء، حين الموجُ غطاني

وشاهدتُ أبابيلَ من الأرواحِ شبّت واستفاقت مثلما

الطوق وغنّت لجمال البشر الزاهي على الأرض ولكنَّ

بروقاً أحرقتهم واستحالوا ندباً في صخرة ذكرى، كأن

الله يلقي فيهمو غضبتهُ برقاً ويرميهم تراباً زبداً في الماء

منشوراً وأكواماً.

كأن البرقَ لا يقبل بالإنسان مزهواً

كأن البرقَ يخشى ندَّهُ والطوفان يخشى بشراً يعلم أو

يسرق زهر الخلد.

الياقوتة الرابعة

لماذا سكتَ الناي؟

لماذا احتجبت سيدةُ الناي؟

لماذا افترقَ الحشدُ؟

لماذا سقطت كأسٌ على الأرض وناحَ الخمرُ، ناحت

وردةٌ، ناحَ كمالُ الشمسَ واستعصى على الفهمِ جدالٌ

بين مرآتين كيفَ انفطرت عشتار نصفين ومن ردّ إليها

بعلها المغلولُ في المنفى وخاط الشوق فلّى فمَها.. فنَّنَ

نحت البرقِ في توشيدها فكَّ لها درسَ المسوخ المبهمِ

الفرَّاج، منْ جرجرها وانشق في بسانها غولاً وخمبابا

ومن دقَّ على فستانها نبلاً وعرٌّى طولها وانحرثت أرض

وهزَّ الثورُ قرنيه، لماذا انتحبت سيدةُ الشرقِ وفاضَ

الكأسُ دمعاً وتراباً ودماً يطوي وحمى تُسكتُ النايَ..

لماذاا احتجبت سيدة الناي؟

*

زماني حيدرٌ

بارَزه سيفاً ونادتهُ دفوف الماء فأجتاحَ أعاليها وناداه

جمالٌ نابضٌ في الشمسِ فالتفَّ في التيهِ، زماني زمزمٌ لم

يعد الماءُ به أنزلُ في أغواره أقطفُ من قيعانه الشوك

وأنشقُ به سبطَ دمٍ رتَّقهُ الراتقُ، مهتاجٌ بفجرٍ يلجُ النونَ

ويطوي النهرَ في الدفتر والصخر برجراج فؤاديه كثيرُ

اللبطِ مطّاغر يزيد الأرضَ عشباً والسماءَ استبرقاً يُغبطهُ

طولُ الليالي فيناديني ويسقيني شرابَ الشمس في غرفته

ليلاً زلالاً جاذباً رهطَ سيوف النورِ لسعاً تحت صدغيَّ
غراماً ماجناً فانسرقت فهرسةُ الأرضِ وأخفاها بدُرجٍ
تحت كفيه، ومنَّى وأزاح الستر عن نعناعه أربك عينيَّ
بنار الموج، علّى، دحرج الطين على ساحله، ردّ،
تدلّى، وتداعى عنده سرب سجود الأقدس الحارّ، جلاه
جلوةٌ تعرى ففرَّ ا لوردُ حيران يُغني تيهَ لذاتٍ تقلّت
وانشوت في دمهِ واسّطرت في النجم.

*

سرُّه.. لا سرَّ له
شكله.. لا شكلَ له
دمهُ يملأُ هذا الكون نوراً، كأسهُ يطفحُ ماساً، هذه آيتهُ
يضربُ مُحّاً بالتعاويذ فيفري الكيسَ والطورُ له طيرٌ
وكافٌ كاغدٌ يلقطُ معداناً وصوفيين رسّامين موسيقيين.
هذي الأرضُ حنّاها وسوّاها بسيخ أحمرٍ هذَّب معناها
له ضبٌّ دبى في جسدي واستنطقَ النار وشقَّ السترَ في
روحي وألقى غُصصاً في بركي شمَّ سراجي وأرتمى في
أطلسي:

1. يطُّقُ الحرفَ يجري الشعرُ سيلاً والسماءُ استبرقاً
تومض في الكلمةِ والروح
2. يطُّقُ الكأسَ يجري الحمرُ خيلاً في شراييني
ويشنقُّ زجاجي نشوةً تصيغ صوفي
3. يطُّقُ الجسدَ انزاحت له عتمةُ هذا الكون حتى
أشرقت شمسُ عظامي وانجلى
حيوانها يلعبُ في الضوء

كريماً غدقاً يلقي سماوات على كفي ويبلي ساكناً..

يقحُ أبراجي وأفواجي

وجمرَ الليل في تاجي

ويبقى خافقاً يحرسُ لي روحي لكي لا تنثني.. أولا تخوف

العهدَ.. أو تتعبَ أو ينهكها مالي وأبنائي

أو يسرقها عاجي.

الياقوتة الخامسة

رمت بغداد في أطلسها النارَ، وفي تاريخها جلجلَ رشقُ

البرق، في تاريخها صفَّق طبَّالون للوهم، ومن نهر دمٍ

يخفقُ من جمرِ ظلامٍ خرجَ السيّاف والصوفي والشاعر،

ها نحنُ نخيط الجرحَ بالدمعِ، إذا الأيامُ شبّت في رؤوس

الناس شيباً ردَّنا الوهم لحفر الموتِ في أرواحنا دارت بنا

الدنيا، وها نحنُ نسوقُ الشمسَ للمنفى ونبكي جثث

الأبناء والآباء في الوديان قتلى في عراء الأفق، ها نحنُ

نقود الكبشَ للذبحِ ولا كبش إلى الفردوس يمضي،

كلُّهم ماتوا ولم تغسلهم تسبيحة حرًّى ولم يحملهم طائر

نهر الموت، أهوالٌ رمت بغداد وأهتزَّ بها عرق دمٍ تحت

ظلام الخوف، أهوالٌ رمتنا فاستفقنا نغزلُ النارَ ونرثي

قمرَ الدمعِ الذي هلَّ ولم يصبح هلالا.

لماذا نحنُ في التيه؟

لماذا سقط الوردُ ونامَ الفجرُ؟ ماذا هزم الشمسَ؟ وكم

من نائحٍ غنى طويلاً حيث لم ينفتح الباب وصرنا في

سجون نملأُ الليلَ أنيناً؟

لماذا نحنُ في الموتِ؟

هوت أجفاننا ثم هوى الوردُ.. هوت أسناننا ثم طوى

الحزنُ قلوباً زانها الطهرُ، الغصون ارتبكت في يدنا

وارتبك النورُن هوت بغداد في تاريخ قهرٍ شائكٍ لاح بها

النهرُ غريباً دائخاً والناسُ صرعى حوله تبكي، تحوك

النار في موقدها أحرقت النارُ ثيابَ الناس شلّت دمهم

شتتت النسلَ وما زالت.

موسيقا لهدم البحر



1996

لوحة الغلاف : سماء زرقاء وملاك للتشكيلية العراقية عفيفة لعيبي

الرسومات الداخلية للتشكيلي العراقي : صدر الدين أمين

الحركة الأولى: الغضب

موسيقا لهدم البحر



ما تبقى من الروح

سأقودُ، من تعبٍ، جوادي

عطشاً .. أزيُّن جمرتيه بوردةٍ

وأرى على أطرافِهِ الآفاقَ هاربةً تغني

وأنا أرتِّبُ حذفَ أعضائي فضاءً إثرَ آخر

لاحتفالِ مجرِّة التاريخِ

للدمعِ الخريفِ ودفع ظلِّ نعاجه

عن طيلسان اليمّ

عن غيم المساء ولينهِ الغنجيّ

للآفاق ضاربةً نعالي .

ولذا نسيتُ مدائحي

ونسيتُ أوراقي وكنتُ بلا عناقِ

أنشقُّ عن وردٍ وأُمرِعُ فتنةً

ولذا تهدهدني السواقي

وأتيه تأخذني الدفوفُ

أُدني خيوطَ دُمايَ صوبَ عيونكم

كم قيلَ أن فراشي أحترقت

وأني راكضٌ بالزهرِ أتبعُ جمعَ سرييَّن

احترقوا وغابوا

وأنا المغني الأخرسُّ الجوُّال في روحي حزيناً تائهاً

انفكُّ عن رخٍّ قتيل

عن مشيمةِ غابةٍ سفلى وأهذي

وأنا رضيعُ مفاتنٍ تطفو على بطن الشقائق

ردُّني تاريخ رجعٍ شاملٍ للغَمر

قيُّدني هتاف مدائحٍ في الورد أو تتلى لشمس.

****

كم قيل أني رافعٌ كأسي إلى شمسٍ

وأعصرُ قربتي فوق اشتباكِ شمائلٍ فَسُدَت

وماتت في الشتيمةِ

في سؤال الأرضِ وهي تموتُ بطعنةٍ

وأنا أقول لبعلها المجنون هيئ أُضحياتكَ

أو تقدم في المشاعلِ

كي يقام لحوضها تُرسٌ

وكي يضع المساء

أمعاءه في البحر

كي تقف السماءُ

حيرى على كفّ المبارز لا تغني أو تبوح.

****

كم قيلَ أن النجمَ يسقطُ في إنائي

وأنا أُعلُّل في الظهيرة غابَ مقتولين في صدري

وأطلق قُبّراتي

كم قيلَ أن حمائم الفردوس ما هدأت وصارت أنجماً

لكنَ كفي معتمةٌ

في الليل في عزِّ النهار وفي مراح مجامري

فأطير من قمرٍ إلى قمرٍ

ومن حجر لدفلى

ويطير تاريخُ الجمالِ بطولهِ وبعرضهِ ويصير أنثى

تطفو على قبح الذي كُنّاه

أرجفني الذهول

فجراً.....

وهيَّجني التلاطم والغموض

وقام رفشٌ خلفَ منطقتين منهكتين

يكنسُ فيهما جثثاً وأشباحاً وزهراً ميتاً .

****

كم قيلَ أن الشمسَ أرحم من ودادي

وأنا الذي آخيتُ شملَ عقائدٍ بَعدت

وقربتُ السماءَ إلى يدي

وأن ابتهالُ حناجرٍ كبرى وصرخة مرمرٍ

ورنينُ نسّاجين محنيين فوق عتادهم

وأنا هتاف رعيةٍ قامت وهمهمةُ الجدي

فمن التقى منكم بميتتهِ وقام

فرحاً.. وهدهد تحته الآفاق عصفوراً ندياً ؟

ومن أنحنى فوقَ الطبيعة رادماً شقًّا بها

ومجانساً في رحمها الأحجار والكلمات ينهرُ بعضها

ويقيم أخرى في مذاودها ويمضي ؟

ومن استفاق بفجره متطيباً يُلقي إلى الأغصان خضرتها

ويمسك نسغها؟

أ لأنني صنَّاجة الصبحِ الذبيحِ وغرِّة الشمس البعيدة ؟

ألأنني أمسكتُ مرآتي وأطلقتُ الفضاء

من أسرها

وكسرتُ كرِّات الرماد بجملتي

ورضيتُ أن أنسابَ مثل جداولٍ

فوقَ الرخام ومهرجانٌ في دمي؟

أحني إليَّ كواكبا ومعادناً عُليا وأمسكُ أرغني

وهي الأهلَّة صعبةٌ وعزيزةٌ

وهو البنفسجُ من يدي ينسابُ

في أرضي وفوق منائري

وأنا لهذا الهتكِ أهتكُ شأفةً

وأردُّ عن عينيَّ إملاقا وأملأُ إبرتي غيماً وأحلاماً وناراً

وأنا حنينُ دفاترِ القتلى ووهج عرائهم

ولذا أفتُّق طينةَ الأسرار في قلبي

وأكتب صائحاً بالشعر

أرمي الموتَ حتى ينحني

وأقوده ميتاً وأنشرُ في فضائي نجماً بتوليًّا ورقًّا ناحلاً

وأُعيدُ تحت كمنجتي حفلاً قديماً لارتفاع الروحِ

أبضعُ قربتي وأهيل منها الشمسَ

أطفحُ طاستي طلعاً ونار

أ لأنني سقت النهار لحقله..؟

ولأنني جرَّحت مشكاتي وأدميتُ الهواء؟

أ لأنني غنيتت أغنيتي الجديدة

ورسمتُ فوقَ الوردِ أعلامي

وفي كوبي وفوق زمرّدي

وأنا أحرَضُ طينة الدنيا بقلبي

وأقيم جوهرةً لشعبي فوقَ تاجِ الأرض

أنحتُ قُبّراتي

وأنا أقودُ الشمسَ وعلاً تائهاً

وكذا أردَّ جحافل العقبانِ عن بيتي وأخرجُ من جروحي

زهيانَ.. أرفعُ وردتي علماً

وأفتكُ بالقبيحِ .

1986

موسيقا لهدم البحر

البحرُ

كان يفيضُ في المنفى

وفي الكلمات

كان البحرُ طيرَ خرافةٍ

يجتاحُ غابتَنا ويعلو

والبحرُ كان جماجماً

ومعاولاً وحشودَ منفيين

منطقةً لأسرِ الشمسِ

مجداً كاذباً ومعاولاً عمياء

كان مطيّبوه

يتماسكون فيقرأون مدائحاً حتى يقوم

وكان ينبضُ

ويشرئبُ

ولا يقوم .

والبحرُ.. كان مدلّلوه

يتهيأون بوردةٍ في الشَعرِ

بالمزمار يرشقُ نجمةً ويُخيطُ أخرى

بالتفاتةِ سنبلٍ للقبر

بالنيران تأكلُ ما تخلَّف ثم تنقرها الدفوفُ

ولا يقوم .

والبحرُ سرٌّ مغلقٌ هتكته إبرةُ شاعرٍ سكران

سرٌّ يستقرُّ بعشبةٍ ويُفكُّ بالكلمات

يمضي البحرُ دورته

ويتعبُ كي يقيمَ طلاسماً في الوحلِ

يهدأُ أو ينام .

وأنا وأنت مقيدان بنملةٍ في راحتيه

وله نرتِّب حبلَنا كي لا يفيضَ ولا يشيخ .

فعلامَ أبدأُ ؟

والبدايةُ هجعةٌ

وفحيحُ هاويةٍ ورملٌ في التخوت

وعلامَ تبدأُ ؟

والبداية لمعةٌ في الفحمِ

رهبانٌ بدائيون يفتتحون جُبَّ الدينِ..

قبرٌ أو خراب

وإذا بدأتَ

فأين تبدأُ؟

أين تُمسكُ، غفلةً، رَجعَ انقسامِ مجرةٍ أولى

وفي الطرقاتِ سرَّك ؟

والطرقاتُ بغلٌ نازفٌ في الليل يحملُ نازفاً

وبكَ اقتتالُ سلالتين

وبي اختطافُ مفاتنِ القاموس

والموتى وطفلٌ لا ينام

فلأيما جهةٍ تغادرُ لن يكون سوى الفضاء

مدنَّسا بالغيم.. لن تضع السماء

إلاّ تفسِّخ جثة منسيةٍ

و لأيما جهةٍ سننشئ قبةً

أو قرعَ موسيقا لهدم البحرِ

نعلفُ ثورَنا.. وعجولَنا

ونقومُ نذبحها لفجر كاذبٍ .

وبرغم هذا يا بعيدُ

فلن يقومَ سوى البعيد

ولن يناسلَ ماسةً في الخمرِ

غير تهتكٍ ملأ المكانَ

لكأن أجراساً تحنُّ لضاربٍ في الليل

هل شمَّ الضبابُ عرينَـه؟

وأفاض قتلاً واحتطاباً غامضاً في الحشدِ

هل وضع النهارُ نهاره في العين؟

أم لغةٌ تسدُّ منافذاً تعمى

وينقرضُ الحجار.

جمرٌ وبرنابا بعقل الخمرِ ينقشُ

برنابا انشقاقُ السترِ وهو يسدُّ ثغراً في الطبيعة

والفصائلِ واللقى ليلاً..

وبرنابا يهزُّ حجارةً في النوسِ

في الكلماتِ

في نُظمٍ أُريد له الثبات

ليلاً.. وبرنابا يشقُ مشيمةً خضراء

يضربُ في العماء

فاهدأ صديقي عند هذا الجُفرِ

إهدأ يا غرابُ وردُّنا يا حوت

من حيث اقتفانا خالقٌ

من حيث أثمرَ في الخطيئةِ ناعمٌ مضنى وأربكَ تيهَنا

وأنا دمٌ في الماسِ أُربكُ صفّهم .

يا للحواريين ..

أغواهم سكونٌ

واستثار غرابَهم نملٌ

وأشعلَ كنزَهم في ما ترادف في النبات

وما أُهلَّ عن الجنون

كسروا أواني حاملات البحر حينَ تهيأوا زمراً

ليلقون ابتهالهمو/ الفجيعةَ في المياه

وأنا ألمُّ زجاجة المنفى وأنفخُ في الكلام

فالبحرُ سرٌّ ناقصٌ

وأنا سجينُ فتاتهِ

تنشقُّ عن لغتي سلاحفُهُ

وأربكُ شملَه

والبحرُ تمتمةٌ

ومعنى لا يدلُّ عليه معنى

وردةٌ سوداء

أو حطبٌ بليل

أ يقومُ هذا البحر من منفى تيامت

من بغايا حامليه ؟

ليسدَّ في دمنا السماءَ

ويُقفل الآفاقَ .. يسجنُ رحمَنا

من أين تنطرحُ الجهات لتستقل ببعلها؟

من أين تُفتحُ.. أين يلمع عقلُها ؟

ورهانُ مَنْ ردمَ انفصالَ مدينتين وكانَ ميتٌ في الزمرِّد

كانَ ميتٌ في المياه ؟

لغةٌ سكونُك يا رمادَ البحرِ تبضعُ كلّيتي

لغةُ سكونك في انتفاضِ جناحِ قبَّرة

وفي غفو الغزالِ وفي البياض

لغةٌ سكونك :

رجعُ فيزيقا تموت

ومنجمٌ في الغيمِ.. في الدمِ ... في الشرار

فمتى ستمضي كي أقوم بأطلسٍ القيوّم

ولكي أهزَّ خرافة

أو مخَّ زاحفةٍ تحنٍّ لجوهر

أنتَ الذي ناداك حفريون

منحنياً بنصّ رتّبوه ورتّبوك

نادوا ورتّل جنبهم طفلان يقتتلان في القاموس

كي يضعا رمادَ حلولهم

ولكي يردَّا عنهما شبحا قتيلاً

أو يقولا قولةً في ما تداعى من رموزِ الكونِ

في ما أُقفلت من فاتحاتِ جموحِه

ولكي يدقَّا سرخس الكلمات في صلبِ السيوفِ

ولكي تفكَّ يداهما رمزَ انحطاط البحرِ

كانا يحفران

في النوم

في اتباع بوصلةِ اللغات وما يوشُّح تيهَها

في نورِ أضغاث الكحول .

والآن إختصما وناما

لكنَّ أرضهما جنونٌ أبيض

وسماهما ضربٌ من الجمرات

من وردٍ وموسيقا لهدم البحرِ

وما تزال..

زايرجةً وصناعةً للهتكِ

مرمرةً لشقِّ النثر

منطقة النبال

فعلامَ تزحفُ يا مكان؟

ناما.. وضاعَ البحرُ في حلميهما نملاً

وأصبح قشةً في دفترين

ناما.. وأجهزَ ثالثٌ فقهيٌّ بينهما

وأطبقت الجهات

شملاً على طفلين منتخَبين للفوضى وهدم البحر

وعلام أفتح هذه الأقفال في سطر لهوميروس

أو برقٍ لساحرِ أُمةٍ منسيةٍ

أو قرعِ حسيين في جلد الفراغ

وهجنة الأشعارِ.. في رجمِ الكنوز وكيدِها.

ومتى سأمسكُ إبرةَ الرهبانِ يجتاحون في اللغة العظامَ

وماسةُ التاريخ تلمعُ في أوانيهم

وورِدٌ أزرقٌ يغفو على التابوت

كيف يرتلون الفجرَ؟

كيف يفيضُ هذا الحشدُ في فمهم ؟

وكيف يحوّلون

ما يستحيل من الكلام لكتلةٍ رغويةٍ في الشمس؟

كيف أُقيمُ بين مدافن التاريخ زلزالي وأعلوا زاهياً ؟

من أجل أن لا ينطفي في البذرِ غيمٌ أحمر

من أجل أن تبقى الحواسُّ ونقشُها في الأفقِ أعلى

من أجل بِلّور يشكُّ بكعبه روحي

وأفتحُ في المكان

صحفاً ومُغتسلاً وسريين،

ليِّنة تشبُّ لغاتُ همسكِ

ليِّن بطنُ المسرة والعيون.

ولذا.. فمن هتكَ القبائل هتكَ مهندسٍ جفريّ

أو رفشَ ارتجاف منابت الياقوت أو طعنَ الخفاء؟

من منكمو وصلَ السماءَ وكان يَصعقُ أو يرنُّ بريقه

ذهبٌ وكان البحرُ فيه ممزقاً يطفو

وكان مهيئاً للنطعِ

لا لغة الفحولة تدَّعيه ولا سراط شائكٌ يُلهيه

لا أنثى تقولُ له تعال

من منكمو ألقى بقلبِ غزالهِ في البحر؟

كي يبقى دمٌ يعلو وكي يلدَ الفضاء

من منكمو امتلأت عقيدته بلعنِ البحر ؟

حتى تستقيمَ له الجهات

وتشرئبَّ له الأفاعي

بالله..

من هتكَ انتظام الجذب

وارتعشت بوردته الظِباء؟

متهدراً يطأُ الفريسة بانكسارِ فريسةٍ

ويقدُّ من قصبٍ فراغاً

ويضيعُ في أدغال أُحجيةٍ

فيغفو البحرُ بين يدين

تغفو أمةٌ

وأنا أدقُّ معذباً صنّاجتي

وأنا أُرتُّب هذه الأحجار في رأسي

وأرفعُ طاستي

سُمًّا لأفقعَ – آخر النبلاء – قلبي

باكيـــاً..

ولكي يقوم البحرُ

في المنفى إليّ وقد نفوه..

وهيجوا رملاً بنا

ولقد نفوه موشحاً بالقتلِ

- أين نفوه؟ -

فينا !

يا للفلاسفة..

انتهوا من حيث نبدأُ

طينةٌ.. ومذاقَ ياقوتٍ.. نبيذاً أحمرَ

وصراخَ حسيين يهدأُ أو يموت

يا للفلاسفة..

أشتكوا من وطأة الأجراس

إذ هتكوا نظام الهندسات

وكسَّروا روح الشراب

وكان فيهم ناعمٌ قلبَ استدارةَ كوكبٍ

هل كان يعلو فيهمو غسقُ المعاني؟

ربما..!

غسقٌ لنحويين أو فقهاء أو غسقٌ لرتلْ

هل كان يعلو فيهمو طبلٌ؟

وكان يدقُ في الطرقات طبلْ

طبلٌ لهذا البحرِ حتى ينحني

طبلٌ لرزّاميه في الورقِ المنشّى

لالتفاتةِ عنزهِ ولقاتليه

طبلٌ لهم في كل صحوةِ كلمةٍ

في كل مشتبكٍ وكل زوالِ معنى

والآن نامَ العازفان ورتلا نصًّا لهدم البحر

ناما.. أم توارا !!

تعرفُ الطرقاتُ ذلك

تعرفُ الغيلانُ

والظلمات تعرفُ والسماء

ناما.. تورا..!

أم أحيلا للظلام؟

1987

عزلة في الكريستال

سقط المغنّي

كانت الألفاظ قبراً للمغنين، احتمالَ مكيدةٍ

أو شهقةٌ للعقلِ في الزبدِ الطريّ

وفي معادن شفرةٍ سريةٍ

أو سوط أنثى تشتهي سفنَ الرمادِ

ولا تسافرُ أو تلين.

ويسوطها الغرباءُ والغرباءُ نبلٌ أبيض في الشمس

لا يتحركون .

سقط المغنّى

كانت الألفاظُ تحملُ ميتين

وكان أن ألقى طحالُ البحرِ خرزته

وأزهرت السواحلُ مثلَ ذئبٍ نازفٍ

وطوى رمادُ الخمرِ إبرته

وكان لنا مساء.

من أين يبتدأُ النزالُ وأين يهدأُ ؟

أين يسدلُ سترهُ فوق أنبساط مقالع البلّور ؟

في أحشاء مصيدة.. وفي طرقات أفعى لا تموت

وكيف أفهمُ هذه الأخلاط ؟

كيف أمسكُ شمعتي وأجسُّ هذا البحرَ أو هذا الكحولَ؟

وكيف أفهمُ معبر الألغاز؟.. كيف أصيدُ ناري ؟

في الليل...
كيف أقولُ للماشين منتهكٌ مزاري ؟

هل كان لي أفقٌ سوى ردم المسافةِ

بين ناموسين منكسرين في طمي الفراغِ ؟

هل كان غيرُ فتات بابل في اليدين

أو غيرُ نرجسةٍ تسمُّ إذا أفاحت؟

أينَ يبتدأُ النزالُ وأين يعلو؟

أين يسدلُ ميتَهُ ؟

وأنا الذي أُعطيتُ هذا السمَّ في طبقٍ وضعتُ

أروي فصولَ التيهِ

أروي قصةً جعلت سنيني معبراً

لرمادِ هذا الوهم أو نفياً لروحي

ولذا أخافُ من الحقيقة

ولذا .. لماذا تهرمُ الكلماتُ في شفتي لماذا لا أقول؟

وأنا الذي ضيُّعت وقتي عازفاً

في جوقةٍ تبكي يدين نحيلتين

تبكي معزفاً متمزقاً

وتبكي نوتةً سريةً تعمي العيون إذا أ فاقتْ

دلني يا ربُّ

ماذا كان غيرُ الريح تعصفُ بالترابِ وبالعظامِ وبالسنين ؟

وبمن أرى؟

أبعينِ ميتٍ

أم أرى بعيون حفّارين ينتحبون للماضي

لأغرقَ في الأنين؟

هل كان لي غير التفاتةِ غاضبٍ طعنَ الأفول

وكان يهتفُ للضحى؟

أو غير هرطقةٍ أُناقلها هناك منابزاً

كي لا أشقَ هتافَ أبنائي وأسقطَ في الغبار

أو غير شمسٍ مُرٍّة يجتاحها رملٌ من الفايروس

- هذي محنتي –

شيئٌ يعذبني سجالٌ بين كابوسين مستترين :

فاجعةِ الكياسةِ

أو فضاءٍ مغلقٍ في الورد

أو تابوتِ ماسٍ في دمي.

للبعلِ...

كيفَ ترمُّم الأشياءُ بيضَتها

وتعلنُ لا اتحاد حياضِها؟

هل كانت الأشياءُ مملكةُ ملائكة وكنا ناقصين؟

وكان نسلٌ من طرائدِ مدّلهمٍّ شائكٍ في عين فحل الحوتِ

ينبضُ بالأفول

****

يا ربُّ..

من أين انفصالِ مشيمةِ التاريخ عن بدني؟
ومن أين َ الخلاص؟

ومنْ سيُصغي؟

شمسٌ تموتُ

وتنبتُ الديدانُ شمساً في عماءٍ مقفلٍ

شمسٌ تموتُ وتستحيلُ بقاعنا رملاً

وننعسُ في الرماد

حتى يقال بأننا أبناء منسيين إقتتلوا وغابوا

شمسٌ تموتُ ونحنُ نعزفُ للرنين رنينَه

ونقولُ: بوطيقا.. رمادُ الوردِ

بوطيقا.. ظلامُ القبرِ

بوطيقا.. تهدُّم رايةٍ

فعلامَ يا تاريخ تنشرُ تابعيكَ ؟

وعِلامَ تدخلُ في عظامِ مكيدةٍ كبرى

وتضربَ في العماء.

****

أعلو وأطفق أن أُغيَّر دمنةَ الشهوات

أو أحتكَّ بالشمس الخرابِ

وبالمعادن معدناً في إثر معدن كي أحرَّك غفلةَ الأشياءِ

أو أمضي لجوهرها بخفّ أبيض.

وعَلامَ تبكي أيها التاريخ

كلُّ علامةٍ بعلامتين تفيضُ قتلاً

وانشقاقاً سافراً

ولكلِّ رشقة ياسمين قبضةٌ

ماذا ستبكي أيها التاريخ؟
أنت محيَّر ما بين منفيين : روحكَ

أو فضائكَ ميتاً في خاتم ملكيّ

في عبدٍ تمزقَ في الحراسةِ والنفاقِ

وشتم روح الخمرِ

أنت محيٌّر ما بين شطآنٍ وقرمزٍ لفتةٍ للأفقِ

أو رحمين منتعشين بالخشخاشِ

أو تلٍّ من الماس – التفسخ والغبار

وأنا أردُّ رمادَ أنسابي وأتلو لإنكسار أخي المسيح

وأن ديني ما اقولُ

وأن دينَ الناسِ فنٌ خالصٌ

وظلامُ أيامي يزولُ ويهربُ التلفيقُ قسراً

والسياسةُ واللواحقُ والفضاءُ مقيداً.

وأكادُ أرسمُ شهوتي عشباً يفورُ

لتدقَّ أبواقي صفيرَ فراغها

وأقولُ قُطّعنا

وأقطعُ ميسمي – عقلي – وأعمى

ضعنا هناك

ضعنا .. وضيٌّعنا طريق مقفلٌ لله

ضعنا هناك وهبَّ نسلٌ من يغوثٍ كاسرٍ في الطين

هبَّت كلمة

ورمادها ذهبٌ تناثر في كؤوس الشمسِ

في لغةِ القرود وفي دفاترِ كاهنٍ سكران

في عصرٍ يكاد يشبُّ ممزقاً.

في قلب هذا..

ردُّنا حجر إلى حجرٍ إلى لغةٍ نفكُّك سرّها ونردُّ حيمنَها

لهتكٍ مدلهمٍّ في المعاني والرماد

في قلب هذا يستفيقُ زمردٌ في الغيم

في كبد الكلام وفي الغناء

نجمٌ سينقلُ وهمَنا في ما استردَّ من الكنوز

وما تدفق خارج الرغبات منتفخاً نهشٌّ به الطيور

من أينَ تُقفلُ هذه الطرقات؟

من أين استفاق قتيلُ صبحكَ في العماء؟

هل كانت الألفاظُ قبراً ؟

هل طوى تاريخُ معجمكَ انكسارَ كواكبِ الكلمات ؟

هل رأت النوارسُ ما تساقط في السماءِ من الدماء ؟

هل كانت الألفاظُ قبراً ؟

هل تراشقت الملائكة، إحتضاراً، نبلَها وورودَها ؟

في قلبِ هذا قادني العرّاف

من حيث انتهى السكرانُ مقتولاً بزهرِ الخمرِ

يرقبُ آخرَ العربات تحملُ ميتين

هل كانت العرباتُ تحملُ ميتين ؟

وكان سرٌّ بين مقتولين يُفضحُ بانسلاخِ مشيمةِ السيّاف

بالدمِ في يديه

لزجاً..

وكان حوارُ منطقتين من ماسٍ

وكانت آخرُ العربات تمضي في الغروب

ولكم نحنُّ، ونحنُ أدرى، للجنونِ

ولكم نحنُّ لحتفنا

سكرى ولا مجدٌ لنا في الأرض

لا بيتٌ ولا لغةٌ نجانسُ قيحنا فيها لنشفى

سكرى نجرُّ فراغنا كالكلبِ من بارٍ لبار

لحوارنا المقتول في فمِنا

لحشدِ مدججين

وأمامهم حشدٌ من الفلاسفة استثاروا رغبةً في مخِّ هذا الماء

وانتبهوا لآخر قبراتٍ تبذرُ الياقوت في كفلِ الطبيعة

منهكين بفكِ رمزٍ من رموز الإقحوان وأسرِ حشدٍ من طيور الليل

يُطلقُ في المجرّات الخفيّة

مَنْ ترى انتهك السكون ؟

ومن أزال ضبابَه ؟

وعوى بأبعد نقطةٍ في اليمّ أن لا ماءْ .

من دكَّ السمندلَ

واختفى في الشقّ ؟

مَنْ صعقَ المعاني واكتوى؟

في قلب هذا تستفيق فصائلٌ

في ما يباحُ وما يُغنّى.. ما يطبّل أو يبوح

في قلب هذا مرةً سقطت أصابعنا وتهنا وألذُّ من طرقاتنا

كان الفضاءُ مرنَّحا في الكأس

ألذُّ منها الجرحُ يُشرقُ أو يفيضُ

ولكي يقوم لطوطمِ التاريخ هذا الحشدُ نقتلُ منظراً للأفق

أو نمضي هناك

حيث انتهى السكران ينبشُ هاذياً في نصِّ روح الخمر

في وشمٍ عتيقٍ

في جثةٍ كيديهِ

في العينين ترقبُ آخر العربات أو تمضي هناك

طينٌ إذن ذاك الذي أطلقت فيه عنادلاً وعزمت تنقش

بالسماء فراغَهُ

طينٌ وأنت تدجّن الأفعى التي في ركبتيك

وأنت تمسحُ من قماشكَ لوثةً

هي نبضُ عشبتكَ، اهتزاز مدائنِ الجمرات في عينيك.

فعلامَ تبكي أيها التاريخ

أنت مُلّغٌّم

ومدجَّجٌ بقلائدٍ فَسُدت وبالدم والجنون

وشباكِ صيادين منسيين في سفنٍ قديمة

ولقد رأيتُ صفوفهم تعبت

وكانوا حشدَ قوّالين

حشدٌ آخرٌ يأتي

ويأتي بعده حشدٌ ولا ملكٌ سوانا

فعلامَ تبكي أيها التاريخ في المنفى

ويضحك مَنْ رمانا !!

* * **

سقطَ المغني

كانت العجلاتُ تمضي فوقَ زهرٍ والبراري تستفيقُ

وكان ليلٌ شائكٌ يحتكُ بالموتى

وليلٌ شائكٌ في الكف أو بين انطفاءِ مراكبٍ غرقت

وأخرى في الغيوم

لمّ هدُّم التمثال فلسفة الجهات ؟

فقام حشدٌ حوله يعوي ويبتكر القبور

للموت ينذرنا هنا وهناك والأمجادُ له

للنفي يدفعنا هنا وهناك والأوطانُ له

جيلٌ يجرُّ وراءهُ جيلاً ولا أفقٌ سوانا

يرمي عليه قميصه وعتاده

ولذا تشكَّل شعرُنا في التيه يبتكرُ الخرافة

يستفزُ جواهر الأسرار في عقل المعادن

أو يخبِّئ شفرةً في النار ثمة يطلقُ

بينها الحيوات والأشنات

هل نسلٌ سوى نسلِ البروقيين يُربكُ هذه الأسراب؟

هل نسلٌ سواهم يستفزُّ البحرَ في التيجان ؟

هل تلك البنادقُ أطلقت أثمارها ؟

وانفك جمعٌ من طيورِ الليل يضربُ بعضه

جاء البروقيون

والعرابات تحملُ ميتين

وكان أن القى بنا سرٌّ لسرٍّ

لاحتقانِ مفاصلِ التاريخِ

للكظم الخفيِّ وللخرائب والصوامعِ والجنون

لماذا فعلتَ بنا هوانا؟

ما الذي القى بنهركَ جثةً

فَسُدَ النهارُ بها ومات

ماذا فعلتَ؟

أكان حتفُك أن تموت بلا وصايا أو رفاة !

****

والآن.. هل سقط الفراغ؟

سقط الفراغُ

وكان ما بين الفراغين امتلاءٌ كاذبٌ

والأرضُ قوقعةٌ وقبرٌ ضيِّق

ماذا ستصبغُ رغوةُ التاريخ بالأسفلت ؟
وجهٌ.. مرمرٌ..!

ماذا وهذا النهرُ يلفظُ كلٍّ يوم جثةً

ويفيضُ رملاً أو دماً ؟

والآن.. ماذا حولنا؟

هل كان ليلٌ ضاربٌ جرسَ الرماد يمسّنا أم أننا قمنا

لكزنا شهوةَ التاريخِ بالبرسيمِ

أم سقطت خيالات مدجّجة

ورتّـل ناعم أعمى مدائحه لنَعمى

فلربما القيعان تنسلُ سبطَ أشكالٍ

وروحُ الماءِ ينطق أو يقوم

هي دمنةٌ هذي الخفايا في دمٍ طُهريّ

أو استبرقٌ في الشمسِ

أو شركٌ سيأسرُ نفسه

فهل انطوى تاريخُ غفلتِكَ

استردَّ مكائداً

والأرضُ قوقعةٌ.. وماضٍ ليس يمضي

أو قبائلُ تنتمي لقبائلٍ هرمت ..

فصفحاً يا عيونَ الديكِ

يا ترفَ الغزالات الغريبة

يا مساكبَ وردِنا

زردٌ تطرُّز خوذةَ البرّ

انتهاكُ مسافةٍ كنسيةٍ تذوي بقتل التمِّ

أو سفك العلومِ

من أين؟

ذا أُسٌّ يقدُّ سلالةً في الطين

ذا نجمٌ يضيء

وذا نهارٌ أزرق في بزرةِ التفاح

ذا مستنقعٌ ينسلُّ من عظمٍ لشمسٍ

لاحتراق النملِ فيه وللرعود

أ فهل تنادي هذه الأحجارُ ساحلَها

ويبكي من صباحٍ أسود كأسٌ ويدمى ؟

ليقود حنجرةً تغني

وتُرى ستمضي القُبُّرات لحتفها أبداً ؟

ويضحكُ من رمانا ؟

ومن تدافعَ، وهلةً كذباً ، وعاش على هوانا

فاطلع فإنكَ رجعةٌ..

ودفوفُ محتفلين

أين مساؤك النعسان؟

والكأسُ التي نُقشت عليها قافلاتُ طعانكَ الحسيّ

أينَ مهدهدوك؟

يا فجرُ أنت تصادمُ الحجرينِ في البلعوم

أو قططٌ تغني وهي تنقشُ سرَّنا ومصيرَنا

يا بوحُ..

يا أمراضُ...

يا أضغاثَ عافيةٍ

ويا رهبان يقتتلون من أجل القداسةِ

أو حراسةِ ماسةِ الفنِّ الرهيبة

يا مجانين انتهت أشواطنا

ولذا يرنُّ النجم في شفتي

وأسمعُ ما يكسَّر من فنونٍ في النهار

إني أرى شمساً تنام

وطينةً تبتلُ بالمنفى

وليلاً لا يليل

وأرى سهاماً في عيونِ الشكلِ

أُبهةً تُرنَّح أو تموت

وكذا أرى فوجاً من الشعراء يُصعقُ

قبِّرات فوقَ نهر الموت أو حجراً يقوم

فلمن تغني أيها التاريخ أو تبكي ؟

سواءٌ ..

هذه الآفاق رملٌ ضاربٌ في العمقِ

أو جثثٌ تعومْ .

1986

الحركة الثانية

إجرسيني أيتها الكلمة



سأطردك أيها المنطق من حظيرتي

سان جون بيرس

ريثما يهدأ هذا الشرق

ريثما يهدأ هذا الشرقُ قُومي

ريثما تنفطرُ الأسلحة الطينُ

وينفضُّ غبارُ الدمِ قومي

ريثما يتعبُ سيّافوه أو تمضي الجياد

فوق تلٍّ شاهقٍ تّلقي بتاريخ الجيادْ

ريثما تبردُ هذي الأرضُ من حُمّى

ويُعلي عاشقق صلبانه

يفصلُ بين الشمسِ والبحرِ ويمضي

فوقَ أرضِ النور

فوقَ النورِ قُومي .

هذه قوقعةُ العالمِ ما بين يديكِ

هذه ساقيةُ الشمسِ بساقيكِ تفورُ

هذه الشمسُ أفاقت وطفت واضُّرعت زرع اليدين

وسرايا سنبلٍ في العين

ما هذي المراعي

لفُّها قوس القلاعِ

فوقَ طفل الماءِ والعشبِ

فما هذي الدفوف

تحت كثبانكِ

لفُّ الورد كفي

وأنا أنسلُ فيكِ الشرقَ

لفّ الوردث كفي

وأنا أغزلُ تيجانكِ

أو أضربُ أعوادي ببطنِ الأرض

- قومي –

ريشةٌ تمسكُ ناموسي وغاقٌ يتلوى

تحت حجليكِ وحشدٌ طاحَ

طاقٌ يتطوّي

طفلتي أم طفلها؟

شرشفٌ مندلقٌ من نور كفيها يُدلّى

شرشفٌ طاسٌ.. شرابُ الشمسِ

شملٌ شهويٌّ

شرشفٌ شمعٌ

وطيرٌ رابضٌ يُلهبهُ سوطُ غنائي

ثديكِ الحارُّ تغطيه الغيوم

ثديُّكِ الدورقُ يكتظُّ بماسٍ وسماءِ

ها هنا ينطبقُ الأفق فقومي

وارفعي كأساً رشيقاً

وانحتي فضتهُ صُبّي إليه

خمركِ الباتعَ.. وارتجّي بطاسين عليه

أطلقي صوتكِ في طوطم أُنثاه وغرّي وردتيه.

****

وطري.. أم شمعدان العالم السرّيُّ أم روح تحومُ

وهي عندي ذهبٌ يصعدُ من غَمرٍ وريحانٌ مجلّى

ولها يخفقُ هذا الطين ينفلُّ ويغلي ويُغلّى

ولها زقُّ عيونِ الشمسِ

رقُّ الأرض

ساقُ النارِ تعلو.. وتُعلّى

وهي عندي زغردَ النورُ ورفَّ البحرُ عينيهِ

وتنسابُ كدهرٍ

زنبقٌ زاجٌ وأشواقٌ تُشَمُّ

تحت شطّ شقَّ في طينتهِ برقاً

وطقَّ الدغلُ دُفلى

عترٌ من جهة الجامِ

وطورٌ وشرابٌ راشقٌ عقلاً ونورٌ في الخلايا

ولها الأرضُ تُصلّي وتصلّى

جملةٌ ضاربةٌ في ذهبِ الشرقِ

وتاريخٌ من الورد يفوحُ

جملةٌ جعجعَ فيها الخمرُ

وأنزاح لها زانٌ

وكان الماءُ يبلى .

****

ما الذي أجفل هذي الملكة؟

ما الذي دحرجَ من قامتها رهطَ انبساطاتٍ وهدَّ الماءَ فيها

ما الذي ساطَ سماها؟

وطوى.. ماجَ بخفيِّن مراعي دمها

زفَّ لها العشبَ فرقّت شفتاها

ما الذي هيّجها؟

أشعلَ في موقدها النارَ وفلَّى الفمَ

مَنْ أشعلَ فيها القصب النابتَ في القاع؟

ومن طشَّ غُبارَ الأطلسِ الكوني في ماعونها؟

مَنْ دحرج الحرَّ إليها؟

من تُرى أخرجَ من عرشِ الحرملك

هذه الأنثى التي تعصرُ تاريخ النساء

في يديها؟

من تُرى أقلقها؟

مَنْ زمَّرَ الغصنَ وخلاّها تعوم ؟

من ترى عذَّبَ هذا الجسدَ الهادرَ ؟

من غلّفه بالغيم ؟

من صاغ يديها ؟

ورمى في الخاتم السريَّ برقا

ورمى ورداً لعينيها ومن قامَ إليها؟

في صباح الكونِ ثرَّا غدقاً

من أيقظ الآلهة التعبى وغاب

ما الذي ألقى بخفّيها هناك

ما الذي ألقى بتنورتها

سوتيانها

قمصانها.. فوق المياه .

ريثما يهدأُ هذا الشرقُ قومي

ريثما تنفطرُ الأسلحةُ الطينُ

وينفضُّ غبارُ الحرب قومي.

1989

تمامُ الجسد

سيقومُ هذا الطيرُ من جسدٍ عجيبٍ

وتقومُ شمسٌ.. خمرةٌ.. دفلى

وتعلو سدرةٌ وثمارها حجرٌ قديم

وتقوم نارُ تلاطمِ موجتين

لتهزّ أطلسِّك العظيم

وأنا تُداوله المرايا بعضها قُصّاد بعضٍّ

أو ترادفهُ الأيادي

فطوى طريقاً يشبهُ التاريخ

محضُ جنونِ رايتهِ ومربضُه البعيد

شمسٌ.. ولي ذهبٌ وتُرسٌ واشتعالُ مرابعٍ

وأنا سيُبعدُ ساعداك مساءَ أثقالي ويضربُ فلذتي

وأنا شرارُ محشِّة الأحجارِ

سبطُ مفاتنٍ سطعت

فتدخلني يداكِ

لتصوغَ أحشائي وتشتلَ غيمها

وهي المرايا ردّدت صوري وصاحت

وأنا أُصفُّق بالسماء وبالبحار قصائدي

لأرى صفوفَ العاشقين مدججين بلينهم وعفافهم

وملطخين بسرّ رغبتهم فأعلو

وأرى عناصرَهم تشبُّ بضّفتيّ

وأرى تمامَ الجسمِ يغلي ماسةُ

ويلينُ فوقَ بقولِـهِ

فأعودُ من حيث ابتدأتُ مضرَّجا بالخمرِ

مشتبكاً بوهجِ قلائدي

وأمام عيني تستفيق مراكبٌ

وتشدّ لذُّتها كؤوسكِ ..

متعبٌ سكرانُ

روحي لا تشمُّ سوى النساء مبخّرات بالظلام

وسوى احتشاد أنوثةٍ في الكون تمخرُ علّتي

خمرٌ وموسيقا.. ورغوةُ فاصلٍ يهذي

وكان طبيبنا يجثو

ويشهقُ في صفاتي

وأنا وأشباحي ننوحُ على يديكِ

وأنا أصلَّي في معابدي احتراقا ثم أرفعُ سارياتي.

جُرِّي قتيلك من جحيمٍ شائكٍ

وتلطّخي بحنانه

وأنا سماءُ النارِ أرقشُ شمعتي

حسبي مداعبةُ السماء

حسبي شقوقُ البرق

حسبي سرُّها وفضاءً سرّتها

وحسبي أنني أمضي لنبعٍ لا يجفُّ

وأرتوي حتى أفيض

وأنني كأسٌ ترقُّقه الأيادي

وأنا سقيمٌ غائبٌ في نور قلبي

لا أراقبُ غير ميلي باكراً للشهوةِ السوداء

للطير الربيلِ

لتمتمات تلولِها وهضابها

ليدين متعبتين من وجدٍ

وللعينين مترفتين بالحمى

وللوردِ القتيل

يجلي مفاتنَها

وللمعنى يرفُّ بشمسها

ليلاً.. وصبحاً يستحيل.

1989

إجرسيني أيتها الكلمة

الكلمة تتقدم

ولكن.. إلى أين؟

الكلمة، التي هي فؤادُ الله، تتقدمُ في الدم

الكلمة تخوضُ في بركه وسواقيه

الكلمة، التي تفكُّ الفولاذ ، تزيلها عتلةٌ

الكلمة، التي هي زهرةُ أدمغتنا وتاجُ تاريخنا،

تتقدمُ بين الجثث

الكلمة تتقدم لتصل إلى الهاوية

الكلمة التي تقدمت في ظلام الخلية وفي عتمة العظام

كانت ذات يومٍ تخوضُ مع الوردِ والحمام وتلمعُ في العيون

الكلمة تمخر، اليوم، نهر الدم والأسلحة

وأنا أمسك بزهورها مثل راهبٍ وأنتظر الزلزال

الحديدُ في المقدمة

السكاكين والأسلحة

الجلدُ في المقدمة

السياطُ المخبأة تحته

إجرسيني أيتها الكلمة.. إجرسي جسدي

أما أن نُعلي صرحَ الكلمة أو نُعلي صرحَ الموت

ولكن لا.. لا يمكن للكلمة أن تنشر الموت

فإن فعلت ذلك فتلك أكبر كارثة.

كم كنتُ أخشى أن تضيقَ معابري؟

وأرى رماداً في عيون اليمٌّ يكسر برقه برق ويهزمُ تابعيه

وأرى ملائكةً تعرُّش في اختلاط الطين

هندسةٌ تدبُّر للطبيعة مقتلاً

ومطببين يَضيعُ مشرطُهم وأقفالاً تنوح

كم كنتُ أخشى أن يخيطَ زجاجَ جمجمتي

كلامٌ.. وردةٌ.. ذهبٌ ؟

وكم ضاع الطريق ؟

لأرى طريقاً لا يدلُّ

وعازفين ممزقين

وأرى كمنجات تؤلفُ مسلخاً

كم كنتُ أخشى أن أرى قمري يموت

فأستعيد مدائحاً لأُعيدَ تاجاً كاذباً

ولأشتهيه..

لغماً لمنطقتين في رأسي

وسكيناً لشمسي

وأنا هنا في الرملِ ألفظُ شفرةً

ألقى القرودُ إليّ بها وأمضي

عن أي شيءٍ يبحثون

والكلُّ مدٌّخر حصافته لموتٍ قد يجيءُ.. فلا يجيء

والكلُّ تحتَ زجاجةٍ يرثُ النعاس

كم كنتُ أخشى أغنياتي لا تشقُّ فريسةً

أو ربَّة الظلمات تخطف من فمي

زهراً وتُطلق رمزَها في حقلي المنسيّ

كم لمعت عيوني؟

وأنا أرى رتلاً من العشّاق تشعله بروقٌ

ثَمَّ ينتفضون في أصدافهم

خوفاً من المنفى ونفضاً للغبار

خوفاً وينهمرون كالأمطار تحت دثارِهم

يحكون بعضَ عزائهم في التاجِ

بعضَ عزائهم في الوهمِ

كي تلد الجهاتُ قفى الجهاتِ

وأنا أجرُّ عتادهم

وأقولُ مات الموتُ

أملأُ جعبتي

ورداً وموسيقا وأعبرُ في الرماد

وأنا أجرُّ ذبائحي من عقلهم

وأنا هنا في الطلعِ أجرسُ لذّتي

وأردُّ وردي بين عتّالين أقلقهم فراغ بائدٌ

وأقولُ منعقدٌ بتُرسي هيكلُ الأبواق

منعقدٌ.. وأحفرُ في دماغِكَ يا نباتي

****

هل كان حيضٌ في سوادِك أيها الشهويُّ ؟

كانت إبرةٌ في الشمس أم هبط الزمان

ما بين منطقتين يجزرُ بقلَها عسسٌ

وينقلُ روحها عبدٌ أُذِلّ..

وكان رمزُ خفائها

ينشقٌّ فوق معارفٍ أفلت ويبظرُ وردتيه

في ما أُحيل من الغموضِ إلى النبات

وما تدافع تحت نارِ مسرةٍ

لا شك يُقتلُ رمزنا

وهو انتفاضُ تهدِّج الأرتال.. نبضُ حقيقةٍ لمعت

ورجعُ فصائلٍ للمهد.. رجعُ مقسّمين

لا شك أنثى تستحيلُ لغابةٍ

حتى تقام لها طقوسُ السفكِ

حتى في نهاية شوطنا تنفكُّ موسيقا من الأحجار

أو يضعَ الجمالُ

رُخّاً له في البيت كي ننسى وكي يعمى الرماد

لا شكّ.. شمس فريستي سقطت

وأبغي أن أحوَّل ماءها خمرا ونار

أو لوح أورجانون يمسك بالمعاني راجفاً

في الوردِ.. في فخّ الجمال

ولذا أرتِّب ميتةَ الشرق القديمِ

وأصطفي شرقاً رشيقاً

وانتفاضة ماسةٍ في جسمه

إني رأيتُ شعوبَه وشعابَه

ورأيتُ بحراً لا يُحدُّ من اللغات.. ومثله

بحراً يفيضُ من الدماء

ورأيت توّابين يشتعلون في نار العروش

ورأيتُ قافلةً تتيه

ورأيتُ.. كانت كلمتي ذهباً فحولها القرودُ

لشتاء أحلام ورملٍ واحتمالِ كريمةٍ

فأعيشُ عيشةَ شاعرٍ دفنَ المسرّات العجيبة

والفتونَ بجبِّه

وأراد كسرَ الموتَ حتى هزَّ مرتبة الكلام وقال قُطّعنا

وقال : قف أيها الماموث

بارك مقعديك

ورقّقْ الحسرات وليكن الرماد

فصلاً لمعتقدين هدَّهما الأفولْ

وقد انتبهتُ لطينةِ التاريخ تُحرثُ بالسياط

وقد انتبهتُ لحشدهِ

ولحشدِ سيّافيه يحتطبون بل يتنزهون

لأرى برمزين استفاقا فوق حشدٍ هاتفٍ

أو في مناطق رحلةٍ وثنيةٍ للموتِ في كظرِ الكلام

وأرى برمزين استُفزا وردةً وسلالةً

عطشَ الخفاءُ لأجلها

وأرى من الأيام نفياً شاملاً

وضباعَ نهبٍ واتحادَ مجاهلٍ

فمن استفزَّ برأسه ذهباً تناثر في الشوارع

طلقةً.. وقصيدةً.. ورمادَ وردٍ شائكٍ؟

ومن اشتهى شمسين مثل مهذِّب

ومترِّس

وأخٍ لميقعةٍ يُشَّمُ غبارُها في اليمّ

في أقصى السماءِ

وفي البقول ؟

ومن ارتضى بالمجد يلسعُ قلبهُ لسعاً ؟

ومن لطمَ الرعود

وأزاح عتمتها بماسةِ حاذقٍ في النفي

فارتبك البعيد ؟

ومن انتهى للنور وسط غنائمٍ وطبولِ هتكٍ

وارتفاعِ فراشةٍ ؟

أ رأيت ! كان دمٌ غبارٌ.. كان همسُكَ طعنةً في الستر..

كان معذّبوك

يتدافعون لنقضِ أُسَّك أو أساسِكَ أو رموا

حيرى بأسئلة تهزُّ عفافهم

أ رأيتَ !... لا أحدٌ يذود

وجدت نفسَك في المتاهة

هكذا رميٌ بنهرٍ لا يفيضُ

وجثةٌ من ألفِ ألفٍ لا تقوم وقُبّرات لا تغني

فمتى سألفحُ ريحَها بشقائقي؟

ومتى سأقوى أن أقوم بكيدها؟

حتى أرى فجراً يشقُّ مشيمتي

وأرى هتافاً أبيضَ

وعيونَ موسيقيين تلمعُ في الغبار

هذا دمٌ للنار

أو لغةٌ لحبلى كي تحيضَ

وبعض موتى في الخفاء

ولستُ أذكر كيف قامَ رمادنا

وأتى على اليخضور محترساً وفاض

لا لستُ أذكرُ كيف قامَ

وكيف كان ؟.. وكيف كنتُ ؟

وكيف ضاعَ بعيرُنا؟

أو كيف زاغَ ؟

وكيف راح ؟

وكيف تاه ؟

وكيف تهتُ ؟.

1989

الحركة الثالثة

الخراب

لم تبق غير أصابع



الإنسان، أطول إنسان، لا يستطيع أن يرقى إلى السماء

الإنسان، أعرض إنسان، لا يستطيع أن يغطي الأرض

الإنسان، يموت وقلبه يتوقف.

من قصيدة سومرية

نهضت جوقة السيوف

(سيناريو شعري)

مدخل:

نهضت جوقةُ السيوفِ وارتعشَ الوردُ

واستحمُّت فراشاته بدمٍ

ربما النهر ما زال يبكي

ربما المطرُ اشتدّ لكنَّ ماء كثيراً تلوّن

واشتعلت سحبٌ بالشموع.

الطفلُ يزحفُ نحو أفعىً تنام على دميته :

أين بيتي لأدخلَ محتمياً من عفونةٍ تتناسلُ؟

أين نهري لأغسلَ ما تبقى من يدي وعيوهني ؟..

كلُّ هذا الرماد وكلُّ المساءِ المشظّى،

عربةٌ تسحبُ الجسد الغضّ

فوق السيوف .

الطفل يتسلى بأسلحةٍ وقيود :

هذه أولُ الفاجعة..

ثورهما يتقدم في الدمِ.. أول ما يلمعُ منه النحاسُ المزيُّن بالورد،

أولُ سربٍ من القشُّ والشمعدان وأول بطنٍ

تفوحُ بخنجرهِ ،

تلك عينٌ من النمل..

من فاتحين ومن شمسِ سوسنةٍ وبغايا..

تلك دبابةٌ تتقدم في اللحم،

بوصلةٌ..

ومغدودنٌ لا يملُّ مراياه

الطفل ينحني على فوهةِ البئر:

أين أول الفاجعة؟

قلبهُ مندلقٌ في معاني الظلام وفي رهط أسلحةٍ وعبيدٍ،

أفقٌ تكلله غيمةٌ ماطره.. هذه أولُ الشرايين تزحفُ

في كوبِ نبيذٍ ،

أينَ أول الكلمة ؟

هذه دمنةٌ.. تلكَ عصفورةٌ هرمت وهذي الموائد

مفروشةٌ برمادِ العظام وورد العيون.

هذه آخر الفاجعة..

شمسنا تتشقُّق،

سقطت هذه التوابيتُ منها

وضاع بها مطرٌ ونحرنا عجولنا خوفَ فاجعةٍ قادمة،

أول السيوف هذه.. لم تهذبها الضحايا،

وردهُ أسودٌ وطرازُ حواجبه غامضٌ

ويداه حبال.

الطفل يسقط في البئر :

لم يعد هناك ما نسميه طفلاً

هذه آثار يديه على الحائط

تلعننا واحداً واحداً.

لم تبق غير أصابعٍ

لم تبقَ غير أصابعٍ تتلو قصاصَتها

ولم تعد العيونْ

غير التماعةِ خرزةٍ منفيةٍ في اللحم

لم تعد الأيادي

غير التمعّن في السيوف

وغير أُبهة محطمةٍ

ولم تعد الحشود

غير التباهي أو تذكُّرِ شهوةٍ منسيةٍ

للهتكِ.. كان الطينُ طيناً والمنافي سقطُ منفى

والحياةُ تفكُ فولاذاً وتشهقُ في القيود

خوفاً من الوجعِ الغريبِ وخوف أن تُلقي المعاني

قُبَّرات فوق سور الموتِ

خوفَ الدود يزحفُ عشَّه في العقلِ

خوفَ الماء يجمد في العروق

وخوفَ أن يزنَ الخلاسيّ الحقيقةّ بالنقود

يدق قردتَها المغني

وخوفَ الشمعة انكسرت سلالتها

وطيَّنت الفضاء وصار كوكبها هزبرا جائعاً

****

لم تبق غير أصابعٍ تهذي ..

ولم يعد المساء

ظبياً نداعبه بمحجننا وعبداً نشتهيه

لم يبقٌ هذا الأفق:

بعضُ حمامةٍ

وأنينُ شمسٍ نائمة

لم يبقَ غير الليل

أول ما يكونُ وما يصيرُ وما يغيب

وبه يطوف الناسُ كالأشباح

ودٌّع بعضهم بعضاً

وخاطوا الأنف علّ جروحهم تشفى

وخاطوا الحلقَ علّ جروحهم تشفى

وخاطوها لكي يبقون

وخاطوها لكي يفنون

خاطوها

وخاطوها

وخاطوها

وما زالوا.

قال: ابتعدْ في الخمرِ

قال: ابتعد في الخمرِ

لا فجرٌ يضيء ولا كلام

الوردُ ليس الورد

والأضغاثُ ماسٌ والصنوج

دقّت لرجم حبيبها

فاشربْ .. لأنك طاعنٌ في الصحو

إشربْ.. طاعنٌ في النثر

وليكن الجمالُ براحتيك

قال: ابتعدْ وأضاءَ بحراً

والكؤوس تدفقت

ونمت على جلد الزمان زهورُه الصفراءُ

ضمَّ غناؤه شوقاً عجيباً

وانتبهنا أننا نبكي وأن الليل يبكي

والزمانُ مقيدٌ في دمعنا يلدُ الزمان.

من أينَ عينـي

أُفقٌ..

هتافٌ أبيضٌ

وخيوطُ خزٌّافين تعبر في العظام

وفي غشاءِ مجرٍّة سوداء

منْ أينَ الجنوبُ؟ لكي نزنّر خصرنا بالماء

منْ أين الشمالُ؟ لكي نهبَّ مداخناً

منْ أينَ كي تمضي الخرافةُ في امتصاص خُرافةٍ

ولكي يُهذبَ إفعوان الخمر جعجعة الحواس وجيشها ؟

مِنْ أين عيني؟

كي أسدَّ مكائداً في الأفق تطلعُ

رمزُها أفقٌ يدردمُ

واختلاطُ برامجِ العينين

والقدم الكسير

منْ أين كأسي كي اردَّ النوم عن هذي الجموع؟

منْ أين مجمُنا لكي نهبَ البروقَ غصونها؟

فنرى بقية ما تناثر من جهات

من أينَ؟.. لكنّا هنا ضعنا وضيُّعنا الصباح

وأضاعنا المعنى وغنينا طريقاً مقفلاً

وتسخّمت وتلطّمت أقدامنا

وروى سجّلٌّ الخمرِ قصتنا

وشخنا

في النـهر الصافي

(سينـاريو شعري)

مدخل :

في النهرِ الصـافي يا سوداء العينين اغتسلي

في النهر الصافي

وتحلّي بأساور من فضة

وخواتم من ذهب

في النهر الصافي

الإغتسال :

في النهر الصـافي مُدَّي قدما ودعي النهرَ

يموتُ من الفرحِ ويضحك في لفتته

في النهر الصـافي مُدَّي شالا ودعيه

يناغي المركبَ والمجدافَ

دعي النهر يغني

في النهر الصـافي اغتسلي من وحلٍ ودمٍ وحروبٍ

ودعي كُحلَكِ يُظهرُ

أقراطكِ أكبر

أساورك الخفّه.

قولي:

في النهر الصافي حنّي الكفين وحنّي الشفّه

وقولي لجدائلكِ انطلقي مثل أفاعٍ في النهر

وقولي للثوبِ انفتح الآن كزهرةِ سوسن

قولي للعينين انفتحا في ضوء الشمسِ

وقولي للفم تلَّمس زغب الماء

قلوي للأرض انطلقي

للأنهار افتتحي الآفاقَ وصُبي في بغداد.

من أجل بيوتٍ خاليةٍ من دمعٍ:

في النهر الصافي

قولي للأطفال الشهداء أفيقوا

وأزيحوا من فوق سطوح الدارِ الأسلحةَ

المزقَ الأوساخَ النارَ

في النهر الصافي

وضعوا الأزهارَ

ضعوا الغارَ

ضعوا الكُللَ

وجرِّات الصيف الباردة

ضعوا الأوتاد

من أجل بيوتٍ خاليةٍ من دمعٍ ودخانٍ وشظايا ورماد.

نصفان

لا البابُ لا الطرقاتُ

لا الآفاقُ.

محبسُهُ هنا في مقلتيه

ولذا يقرِّب خمرةً وكتابةً

ويظلُّ يرحل في يديه

وأنا هناك أفورُ مدَّخراً مراتبَ بهجتي

وأخيطُ بدراً في فضائي أو أرى شمساً بمخّي

أو أراقبُ نجمةً وفراشةً وأصيدُ فَخّي

هو في انتشاء حواسِّهِ

وأنا أُمزِّق حاسَّتي وأضيء هذي الأرضَ بالمعنى

ستقتلني إذا عذبتهُ ،

وإذا فَتحتَ ظلامَهُ فيَّ انتشيتُ وقام كُلّي

أنا ظلُّ هذا المعتمِ السكران

وهو رهينُ ظلّي.

أفكلما ارتفعت

أفكلما ارتفعت أغانينا.. أتيتَ

وطار طيرُكَ حارثاً ناياتنا.. كلماتنا.. أفواهنا

أفكلما سقطت معاولنا.. ضحكتَ

وكسَّرت أغنماك الآفاقُ

وارتبكَ الصباحْ .

أفكلما صحنا صمتَّ

وكلما جعنا شبعتَ.

ها أنتَ مبتعدٌ

وها نحنُ ارتضينا عزلةً نقضي بها عمراً كئيباً

والكلامُ ممزقٌ فينا

ولا صوتٌ مباحْ .

نـام الرعاةُ

نام الرعاةُ

وظلَّ فردٌ حارسٌ يهذي بداخلِهِ

وهيّجت النجوم

زرعاً دفيناً غاصَ في أعماقه

ماذا عن الفردوس؟ كيفَ أضاعه؟

ومتى يعود إليه؟ كيف يعود؟

ومتى سيبكي الفجرُ أو يحكي

وقد طال الخراب؟

ثملاً سينفخُ نارَه التاريخُ في فمنا

وكي يضع الزمان

بيضاً كثيراً في مفاصلنا

وها دمع الرعاة

يطلي سماءَ الليل ها دمهم

يقطِّر في الأغاني

ثم يطفحُ في الصلاة.

لا فرق

لا فرق ..

إني رافعٌ كأسي إلى تمرٍ

لأنهل سُكرتي

وأطوف من جبلٍ إلى جبلٍ

أجرُّ القُبّرات

جملاً معذّبة تفكُّ الأفقَ

أو أضع الجنون

بيدين فارغتين أنقشُ شهقةً

وأشيلُ أخرى

في بريد الموت

تلمعُ في العيون

مَنْ ضاع ومَنْ ضَيَّع

هذه لذةُ من ضاعَ ومن ضُيَّع

يا أحزانُ قُومي

هذه مركبةٌ تائهةٌ في الدمعِ

هذي السنبلة

هزُّها نفخ شفاهِ الشمسِ .. يا أوجاعُ قومي

هذه قافلةُ الخمرِ تُفلّى جسدي

إصبعٌ يصعدُ للعقل

فتنشُّق له الدنيا وتغلي

إصبعٌ ينزلُ في القاع فيبتلُّ ويهذي

هذه شهوةُ من فكَّ الرياح

وبه تاهت حشودٌ

وتشظت وانطوت

في تُرسه تلك الرماح.

هم يعرفون

هم يعرفون ولست تعرفُ من تغني أو تخيط

هم قافلات معتَّمٍ.. وملّغز.. ومغرَّبٍ في الوحلِ

هم ليل الضفاف وطَمرُها

وهم ارتعاشُ خرافةٍ في الضوء

والوردُ المذبَّح في السواقي والبخار

ونهوضُ معنىً من معاني الموت

هم هذي الجيادُ وليلها تعدو وتسحلُ راكبيها كي يقوم

أفقٌ براياتٍ ملطخةٍ ونار

ويسدُّ ليلٌ أنفنا وعيوننا

هم يعرفون ولستَ تعرفُ من تكون

هم يعرفون..

ولست تدركُ ، بينهم ، في أن تكون ولا تكون

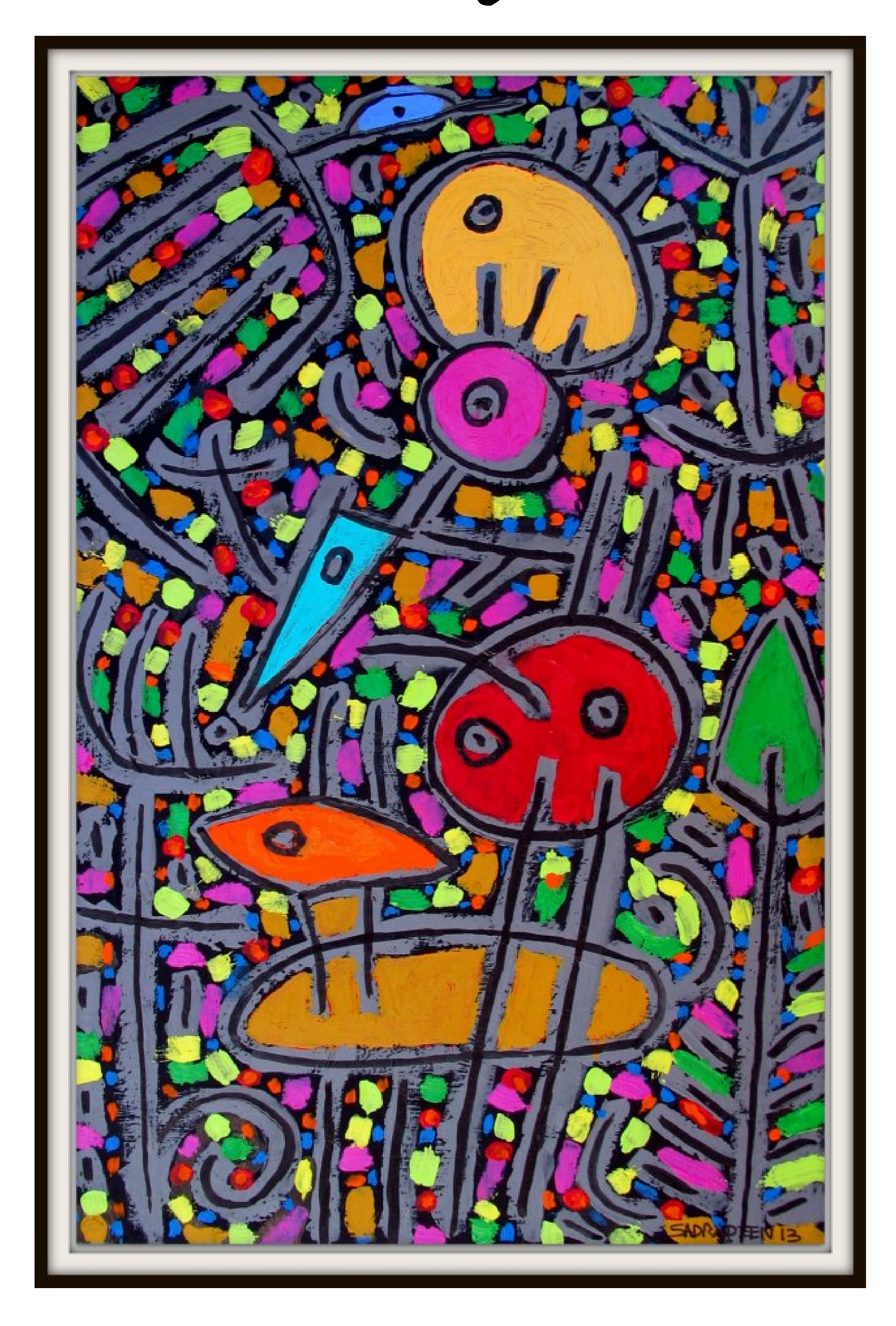
فاحذر وباعد وابتعد.. وأعلُ

وتِهْ طرباً بأنك في الجنون.

الحركة الرابعة

الأفول

تصدُّع الموسيقا



رماد على ماء بغداد أم وردةٌ أم دفوف

رمادٌ على دجلة

يرشقُ خدَّ الرصافة والكرخ

دمعاً ..دماً ..ودخاناً

رمادٌ على الجسر

ينزفُ في النهر تاريخَه وهواه

رمادٌ على نخلةٍ

ألفُ طائرةٍ فوقها

وهي من رطبٍ تستحم دماً ونحاساً

رمادٌ هلى شجرٍ كان يحملُ نوراً وآساً

رمادٌ على نجمةٍ

سقطت وتشظّت ببغداد

واحترقت حرقةً والتباساً

رمادٌ على النهر ما عاد يسبحُ لحنُ عليه

وما عاد مركبُه زاهياً

ما عاد فيه شراعٌ يغني

رماد أنا ألحقّ : حلاَّج وردٍ ومعنى

رمادُ انزفي يا جروحي السماءَ

وصبَّي دما فوق هذي الرفوف

رمادُ الليالي.. رمادُ القطوف

رمادُ طُعّنّـا

رمادُ اكتوينا بنار هوانا

رمادُ أحبتنا... نخلنا.. نهرنا

وطنٌ كان في عينِ طفلٍ ينام

وطنٌ صار من وجعٍ كلُّه لا ينام

دمٌ في أغانيهِ

في لفتةٍ من لفتاتِ يديه

دمٌ في الصلاة

دمُ الكلمات

والفمُ مختلطٌ وحزين

رمادُ الحشود التي مُزّقت

تشربُ الشايَ في ملجأ آمنٍ

رمادُ الزجاج.. رمادُ العيون

رمادُ الكفوفِ

رمادٌ على طفلةٍ عبرت بين بيتين فاحترقت

رمادُ وليدٍ من البرد تسترهُ قنبلةْ

رمادُ الجنائز والجلجلةْ

هنا كلُّ شيءٍ يرتُّق شيئاً

ويلتصقُ الجلدُ بالعظمِ خوفَ يفرُّ

وخوفَ غيابِ السماوات .

كانت ببغداد سنبلةٌ

حَبُّها ذهبٌ وسقاها المحبون

فضةَ أقوالهم وهواهم وروحَ الحرير

كادت تطيحُ وكادت تصيحُ

وكاد يباغتها وجعٌ فتنوحُ

هنا كلُّ شيء يرتُّق شيئاً

وترتطمُ العينُ بالعين

تهتزُّ أرض العراق

مسلاتُه.. شمسُهُ.. غيمُهُ.. نخلُهُ.. وأغانيه

كان الفراتُ يشيخُ

وتسقط من رأسه غيمةٌ باكية

وكانت ببغداد أطلالُ ليلٍ

وأطلالُ معنىً وحيد

وقافلةٌ من نجومٍ ممزقةٍ ، ومطحنةٌ وحديد

كانت سيوفٌ تمشطُ

وكانت يدٌ تسكبُ الدمَ فوق العراق

العامريةُ

هدهدت أطفالها في الليل

وابتهلت ونامت في السماء

قمر يبلل شعرها

ويخيط مفرقها الضياء

حتى إذا ما مسها شبح الظلام

وزمجرت فيها الرعود

نزف الدمُ الفيّاض من أعماقها

وهوى الهواء

العامرية... قُطِّعت وتدحرجت

وأزالت الأشباحُ ضحكتها

وزمجرت الدماء

دمٌ في العيون

دمٌ في الشوارع

دمٌ في الأيادي

دمٌ في البيوت

وليلٌ بالليلٍ يُخيطان أجسادنا ونموت

دمٌ في الكؤوس

دمٌ يقطرُ الشجر.. دمٌ تنزفُ التخوت

بنا يُزهرُ الموتُ غاباته

بنا تستحمُ التوابيتُ أو تتناسل

بنا يطبقُ العصرُ أشرعةً ويفوت.

1991

شاعرٌ سرقته الخيول

إلى فوزي كريم

لماذا تُراني أحدُّق فيك؟

وأنسى رفيفَ أغانيك

أنسى النجومَ التي تتساقطْ

حين تغني.. وحين تئنُّ

وحين تشيرُ إلى جهةِ الروح

أنســى..

ومن رهقٍ أتجمعُ في نقطةٍ وأُناديك

أنسى..

وأنسى الطيورَ التي هشُّها الغوص في جوهر فاتنٍ وعميق

يدكَ الآن تخرجُ من حائطٍ وتقدُّم كأساً إليّ

يدكَ الآن تخرجُ من حائطٍ وتُخيط رمادي

يدكَ الآن تُشعل شمعاً لمائدتي آخر الليل

بعد أن غادر الأصدقاء

أنسى..

وأنسى بأنكَ تخلطُ خمري بماءِ المطر

ولكنني أتذكرُ..

كانت أغانيكَ تحت نخلةِ (الإتحاد) الطويلة

تعلو بعيداً.. وتعلو

فينشقُّ فجرٌ

وتضحكُ بغدادُ من طفلها كيف صار يؤذنُ

أجملُ من أعلنَ الفجر.. فوزي

وأجملُ من صاغَ وردتهُ

أجملُ ظبيٍ حبا نحو منبعِهِ

واستحمَ به وتعمّد.

لنا الصبحُ والليلُ مزدحمَين

والفجرُ لك

لنا كلُّ هذي المباهجُ تعلو وتهبطُ

والسكرُ لك

أجملُ مَن حَمَّس النارَ.. فوزي

وأجمل من فاضَ في راحتيه

وأذكرُ من تعبٍ ما كان يهذيه كفُّكَ

ما كان يبعثه من دفوفٍ ومن قصبٍ

وأخشابِ طرفاء منقوعةٍ في المياه.

لماذا تُراني أُحدّق فيك؟

وأهوى بأن أفتح البابَ

أهوى بأن أتلصَّص.. كيف تطيرُ

وكيف تطرزُ شالاً من النور

كيف تذوب .

ولكنَّ بابا من الماءِ أغلقتهُ ومضيت

لماذا أهزٍّ على وتر مهدَكَ حينَ شتائي؟

وأنت العليل الذي جرُّه النوم

أفتحُ عيني على مشهدٍ أبعدُ الآن من كوكبٍ

حيثُ تغفو

ولا تطلبُ كأساً.. ولا مزَّة

ولا قارباً تعبر نهرَ الجحيمِ به

ماذا دهاك؟

ولماذا تهزُّ على وترٍ مهدَ يومي وليلي وحينَ شتائي

فأبقى أرتجُ تاجاً من الشوكِ، سكران، أرفعهُ أو أكاد

على رأسكَ

حتى يقودك فجراً يهوذا إلى الصلبِ

أو تتهاوى بعيداً إلى البحر

دونَ يديكَ.. ودون يديَّ

ودون كلامٍ يبدِّد هذا الظلام

لماذا تُراني أُحدِّق فيكَ؟

وفي شارعين يطوفان ، آخرةَ الليلِ ، بغداد

أو بروكسل أو باريس أو لندن.. لا فرق

ومن أين لي أن أُفصِّل ثوباً جميلاً كثوبكَ ؟

- أبيض فضفاضاً –

كي أرتخي عند بارٍ

أحدِّق في قاعِ كأسٍ وذُبالةِ ثلجٍ وخمرٍ

وأمضغُ تبغاً رخيصاً

وأحكي عن الروح

تاريخها

والتفاتاتها وملاكين متَّسخين

ساطهما البرقُ

بعد الفجر سقط ملاكان من السماء مقوصا الأجنحة ترش دماؤها الليلَ والباراتِ والقباب فتلقط من السماء حباً وحنطة، كم بكينا على طرقِ الليل، رش وجهي ووجهكَ هذا المطرُ، كم بكينا فرط جمالٍ وعرقانٍ صاعدٍ من المياه.. الملاكان يُمسحان دموعنا.

أينَ فجري أُرمِّم به عتمةَ أيامنا الزائفة؟

أينَ جولاتنا في الجحيم والفردوس نستعيدها من دانتي؟

أينَ عكازتي أقوم بها وأتوضأُ.. وأعطيها لرامبو

((ملاكا أحلامٍ مسحوقةٍ)) كما تقول..

إننا لوسيفر إله الضوء (الحرية والشعر)، دموزي وننكثرزيدا، إدريس والخضر، طُردا من الجنة لأن الكؤوس التي ملؤوها كانت مترعة تماماً.

قصَّوا أجنحتهم عقابا على كل هذه البصيرة الشاملة.

* * *

أينَ فوزي لأرمَّم كأسي الذي كسروه ؟

أينَ فوزي ليشدَّ معي الخيوطَ الرفيعةَ كي نهاتف السماء ؟

أينَ فوزي لنراقب نسغَ النباتِ يعلو سيقانه ونسميه (دامو)؟

أين فوزي لننبشَ في سيرة (جوزيف كنشت)عن ما نساه هرمان هيسّه ؟

اينَ فوزي لنكتبَ على طولِ بغداد لافتةً تقول:

المُلكُ أساس العدل ؟

أينَ فوزي لنُعيدَ إخراج فيلم (رفائيل الفاسق)؟

أينَ فوزي لنتلصَّص على هنري باربوس من ثقبِ المفتاح؟

أينَ فوزي لنكتب سيرةَ بشار وأبي نؤاس بريشة مغمسةٍ
بالدموع والخمر ؟

أين فوزي لنُشعل، ثانيةً، شعلةَ الدُورة ونُضيء دجلة
وندور حولها ونرقصَ رقصة العبيد ؟

أين فوزي لنشهد فجرَ بغداد مجروحةٍ ونغني :
(مدنٌ بلا فجر تنام) ؟

أين فوزي ليعيد لي خاتمي/ فتختي فأزهو بها طافحاً
بطلعِ الإناثِ يرشقُ أصابعي وعيوني ؟

أينَ فوزي ليشطبَ ببسالةٍ أسماءَ الشعراءِ الكتَبةِ ؟

أينَ فوزي يعدُّل ضفاف النهر ويزيلُ عنها الأسوار الغليظة؟

أينَ فوزي يدور في آخر الليل على عجلةٍ ، وهو سكران،
يتساقطُ الوردُ من حقيبته على الشوارع ؟

أين فوزي يرشُّ علينا الخمورَ كلما صحونا ؟

أينَ طاسته.. أين قنديهُ.. أين منديلهُ.. أينَ سكندولتهُ ؟

أينَ هلالهُ.. أين إيقونته.. وأين مداه ؟

أين قافلته وهي ترمي علينا الذهب ؟

راحَ فوزي، فغنيت له:

على جواد الحلم الأشهبِ.. سُرقتَ
سرقتكَ الخيولُ إلى حيث تخرجُ شمسٌ من
البحر أو حيث تغطسُ في البحر
لا فرق

غابت أغانيكَ يا سيدي وصديقي .

* * *

كيف أعترفُ الآن أن حشداً من الملائكةِ تساقطَ

أثناء رمي الرصاص إلى الأعالي؟

كيفَ يمكن أن أوضَّح أننا قد صنعنا ألفَ ليلةٍ وليلةٍ

جديدة وفقدناها في الوقت نفسه؟

كيف يمكن أن أحلَّ معادلة: الروح مقابل الغذاء؟

كيف يمكن أن أتَّقي برصا يتساقطُ من قبة إنليل أو من

سلاحفِ أبنائِه في الجحيم؟

كيف أعترفُ الآن أن أسماكاً مثلَ رامبو تطلع كلَّ يوم

على ضفاف دجلة والفرات، وأنها تلبطُ.. تلبطُ

ثم تموت؟

كيف أعترف الآن لمن (يهرم ويشيخ وفي راحتيه زهرةُ حبه لا تذبل)

أن راحاتنا عاطلةٌ ولا تمسك بها شيئاً

سوى الهواء ؟

كيف اعترفُ أن قافلةَ الشعراء المصعوقةِ بالبروق محطمةٌ

في مقاهي بغداد وتحت طاولات طويلة من الرماد.

كيف أحملُ أصابعي.. وماذا أفعلُ بها؟

كيف أحملُ لساني.. وماذا أفعلُ به؟

كيف ألهو بنردي؟

كيف ألهو بيومي؟

لم أعد أتذكر شيئاً سوى متى أقول: لا

ومتى أقول: نعم

* * *

سرقتكَ الخيولُ إذن

لا سرج، لا زوّادة، لا كأس

أفقٌ تسدُّ منافذه الخيولُ الهاربة

أفقٌ غبارٌ لا رنين به سوى بقايا صوتك المطعون

يقرأ آخرَ الليل القصائدَ

شاحبٌ ومقطّعٌ،

ودمٌ على موائدنا.. سخامٌ.. ثمة طائراتٌ قربنا وممزقون

(وتأخذني من يدي)

آخذكَ من يدكَ وأصرخ للبحر للبحر.

ولكن أينَ يدُك التي لوَّحت عاليا ثم طاحت إلى الأرض

تسحبها الخيلُ منزوعةٌ من نداءٍ ومن خاتمٍ ومن لطخةِ

خمرٍ كانت تثيرُ الملائكة غيظاً وشهوةً ؟

إذن أينَ أنت الآن لآخذكَ إلى بحرِ موتى وخردةٍ وخرابٍ

ونارٍ من الناس موقدةٍ لا تنام ؟

إذن أينَ أنتَ الآن لتسمعَ ما لم يقله زمانٌ ولا شافهُ بشرٌ

ولا كتبه صانعُ أسطورةٍ أو خرافة ؟

كنتَ ترى (الفخذَ محروقةً) وترى العنفَ منفجراً في

حشودٍ مطوَّحةٍ بالهتاف، وجُننتَ لتصف (قارة أوبئةً)

يا صديقي.. يا صديقي

لو أنكَ رأيتَ أوبئةَ قارتنا الآن لصمتَّ

وما قلتَ شيئاً سوى طرفِ سبابةٍ تشير إلى الشرق

تلعنُه... ثم تبكي عليه.

ماذا سوى جُثثٍ ودمعٍ لا يجفُّ

ماذا سوى (حجرٍ من جنونٍ) يصيح

ماذا سوى فكِ الحمارِ يلوحُ أبيضَ رمَّدته أُتونها

ماذا سوى الأغصان تشهق : لا أحد.

كلبٌ هزيلٌ راحَ يلوي ذيلَه

كلبٌ هزيلٌ.. آخرُ صورةٍ للموتِ

ينبشُ قلبَنا ورؤوسنا

كلبٌ يجرُّ خرافةً سوداء تنحبُ أو تشيخ

عرباتّها تمضي بنا تعوي

فنودعُ ما أدِّخرنا من جمال في السواقي

ثمَّ نصمتُ ناطرين..

سكبت على صينيِّة شعراً طويلاً

والشموعُ تلطخت

حنَّاء إصبعها ودمعةُ كحلها

كرخٌ عتيقٌ كُلُه يبكي توابيتاً على ضفةِ المياه

سكبت على صينية تطفو على أمواجِ دجلة

آخر ما تبقى من سلالتها

كُلهم ماتوا

من كان يعلمُ أن طريقنا في آخر الليل إدلهَّم إلى قبورٍ أو

سوادٍ أو خراب، كنا ندغدغُ هذه الطرقات بالضحك البريء

وتمتمات الشعرِ والأرواح

كنّا نغذُّ الخطوَ نحو الوهم أو نمشي إليه

كما العساكر يقرعون الطبلَ دون سماعَ شيء

كنّا نعدَّ النجم في عزِّ الظهيرة

لكنَّه في الظهيرة كان يسكرُ في خلوةٍ

ليرطبّ حنجرة يابسة

يا لكاردنيا.. أحبت زمرةً من نافضي الأوهام، أحبت

شكلَه وطرازَ خمرتهِ ونشوةَ ظُهرهِ ومسائهِ وجنونَ ليلته

التي ما زال يمنع فجرَها كفُّ الحصيري

إذ يصول على الموائد:

- عبد الأمير.. ماذا بجيبكَ؟

- منٌّ وسلوى

يالعاصفة الغبار ووردنا المنهوب في نارٍ تشبُّ وتنطفي في الماء

- ماذا بجيبكَ يا زمان

- غيمٌ وأسلحة

عبد الأمير يقول: إذن وداعاً.. لن أُوَجَّل سكرتي

ذهبوا إلى ليل

وخلونا إلى ليل

وصار الليل أطول ما يكون

* * *

قربَ رفيف أجنحةِ القُبّرات

قربَ بستانها المغلّف بالشمسِ

قربَ منهلٍ من مناهلها

وقربَ جداولَ لا تنتهي

انتصبَ تمثالُ فوزي شارداً بين حشدٍ من ذوي الرؤوس السود

يلهجون بدعاءٍ سومريٍّ له.. وللماء يفيض من

لحيتهِ.. ومن كتفيه (مثل إنكي)

وكانت الأسماكُ تلعبُ في عيونِه وفي حقيبتِهِ ويديه

الأسماكُ تقفزُ من حضنِه نحو رقبته

ولا شيء سوى ابتسامتهِ الساخرة

كانوا يصعَّدون نشيدهم له وابتهالاتهم فيه بلغاتٍ عديدة

وكان يهمسُ لهم دون أن يسمعوه:

(قلبي الذي باتَ يعرفُ الناس)

أخذَ أهلُ الكرادة تمثالَه ووضعوه في قصرٍ،

وأوقفوا حرساً خاصاً أمامه يؤدي طقوس المجيء والذهاب

مثل رقّاص ساعة

ماذا يفعلُ تمثال فوزي بكل هذه التحايا المخزيةِ (كما يسميها)،

نزلَ عن قاعدة تمثاله، وقلبه ينبضُ بين يديه،

وأخرجَ من دُرج الموسيقا (فانتازيا شومان) ، التشيلو والبيانو فقط ،

وانحدر مع الضوء إلى آخر آباره.

كأسه معلّق في البروق (كان الحرسُ يذهبُ ويجيء كما

رقاص الساعة) وكان هو يرتّب عناصر الطبيعة مع (مندليف)

ثم يعود إلى قاعدة تمثاله وهو يشهقُ من حسرةٍ

أو لذةٍ، ويوقف الحرسَ ويعانقه ويقول له : يا حبيبي..

ما الذي قد صنعتَ بنفسك.

* * *

ما الذي أوهمَ فوزي أن نارَ الخمرِ أعلى؟

ما الذي أوهمَه أن الفراشات، التي طارت إلى إصبعه ، نارٌ..

وأن الشمسَ نعلاً ؟

ما الذي رتَّبَ في قامتهِ نسلاً من الزهر

ومن حوّله.. صيَّر من خطوته الأنهار بعلاً ؟

من تُرى أرشده للنبعِ مخلوطاً ؟

فصفَّاه وصار الشعر وعلاً

قاده ليلاً إلينا..

فصرخنا وانتشينا وضحكنا وبكينا

ثم صار الشعرُ بغلا

قد ركّبناه وسقناه وحمَّلناه قشا

ورثيناه إذا ما انتحرَ البغلَ صبوراً

ثم عشنا في تبات ونبات

* * *

هكذا ، أيها الهرمسُ الضعيف، هيكلٌ هشٌّ وقلبٌ من قصب

ما الذي جعلَ كلُّ هذه الغيوم ترتبك عندما رفعتَ عصاك.

كان قلبُك ينبوعَ وهمٍ كبيرٍ .. متى تتعلم أيها المعلّم؟

وكان قلبكَ مطيةَّ همٍّ كبير.. متى تتعلم؟

وكيف تُراك ستدرك أن بلاداً من الماء جفّت

وأن الصروح هوت صامتةً

وأن الزمان انحنى على جُرحهِ

وتجمّع في دمعة طفلٍ

متى تتعلم أيها المعلّم الكبير ؟

كان يمكن أن أسلخَ حنجرتي واستبدلها ببوقٍ لكي لا أجوع،

لكني أختفيتُ وراءَ حنجرتي أدوَّن النهار والليل

وهما يتلاحقان مثل قطٍ وفأرٍ

وتعبتُ ذات يومٍ من التدوين

أين حنجرتي؟

سرقوها إذن !

حسناً.. أين نوتاتي ومدوناتي؟

يا إلهي.. لم أكن أكتبُ بحبرٍ، كنتُ أكتبُ بماءٍ.

هل لا بدّ من استبدال الحنجرة ببوقٍ لكي يبقى النشيدُ عالياً

هذه مهنةٌ مُرهقةٌ

وداعاً أيتها المهنةُ المرهقةُ

وداعاً أيها الشعر.

1992

خواتم الأفعى

1997

وراودتهُ التي هو في بيتها عن نفسه وغلَّقت الأبواب وقالت هيتَ لك.

سورة يوسف: 22

سادنات الأقدار

في يدي الكرومُ.. في يدي الكؤوسُ

صايةُ الأرجوان على كتفي وذيُلها على ذراعي

أتضّح كرسيُّ الروح أمام عيوني وصعدت

زخارفٌ إيروسيةٌ عليه.

إختلاط أقواسي البغدادية والقوطية ينذر با لخراب

سقطت كيمياءُ الصوفيةِ عند قدمي

وسقطت سهامُ كيوبيد

وسقطَ الجمرُ في قلبي

جمعتُ خواتم الفضة في طاسةٍ،

وجمعتُ القلائد في طاسةٍ.

خرجتُ من جنائنٍ دموزي نحو أرض عمُّون، تخليت

عن أغنامي وجلبتُ معي الناي، أعزفُ لحشودِ الرفائيم

التي تقودني إليها.

بيتها في داليةِ العنب، بيتُها في ضبابٍ ومطرٍ، بيتُها

النابضُ مثل ناقوس مساء آفلٍ

دخلتُ من باب الحديقةِ.. جرارٌ محطمةٌ زوهورٌ نحاسية

وأشباحُ تتقافز، سادنات الأقدار وقفنَ عند الباب..

بخَّرن الملابس التي على حبلِ الغسيل ووضعنَ الماشاتِ

في شعورهنَ ومسكنَ المغازل وغزلنّ.

- قفْ.. إلى أين تريدُ الدخول؟

- إلى بيتها.. نادتني أصواتُ هواها فنزحتُ من

ضفاف دجلة إليها.

يضحكنَ، وتظهرُ في سحبِ البخورِ نجومٌ تقطرُ دمعاً،

وفراشات لا تقوى على الطيران، يغزلنَ بمغازلهنَّ

الخشبَ ويتناقصُ حجمُ الصوفِ.

قالت الأولى، وهي تنزعُ الريشةَ من عمامتها:

تعال أنظر، أيامكَ معها قلئيلةٌ، ستذهبُ

بكَ إلى حقولِ الجحيم وقد لا تعود، وإن

عدت فستعود محترقاً ومدمّى.. أنظر

وراءكَ وأنظر أمامك.. وتبصّر في ما

أنت مقدمٌ عليه.

قالت الثانية، وهي تفرشُ أمامي صحيفةً ملفوفةً:

هنا تقعُ على وجهكَ وهنا ينكسرُ ذراعكَ

الأيسرُ، وهنا تضطربُ نبضاتُ قلبكَ

وفوق هذا السرير تفقدُ الذاكرة، وعند

هذه الأعمدة تسقطُ في الجبِّ، وقرب

هذه الضفاف يشيبُ رأسكَ، وهناك

ستتوجعُ من ألمِ غدرِها، وهنا ستُسرقُ

أموالكَ.

قالت الثالثة، وهي تدوُّر كرةَ العالمِ في يدها وتقرأُ

خطوطها: يا ولدي ما الذي أتى بك إلى هنا،

هذه ليست إنانا ولا أناهيت، السماءُ

هنا غير صافيةٍ والنفوسُ آسنةٌ والبراكينُ

ما زالت تثورُ كلما تنفستْ، كمْ من

الأوراقِ ستطيرُ منكَ؟ كمْ من الأحلام

ستهربُ؟ وكيف تُراكَ ستصبر على هذه

الزوابع. لا الشمسية معكَ، ولا تلبسُ

معطفاً، ولا تدثّر أصابعك بكفوف

الصوف، ولا العصا في ديكَ.. كيفَ

تُراكَ ستصبرُ على كل هذا؟

زيركَ الفخارُ سنفطر، وكوبكَ سيسقطُ

وتماثيلُ أولادكَ ستتصدعُ، وأقدامُ

زوجتك ستدمّى من الشوك، ومناديلك

ستحترقُ، وخيطُ عمركَ يكادُ ينقطع،

عُدْ إلى بيتكَ.

في يدي الكرومُ.. في يدي الكؤوسُ والخواتمُ وعلى ظهري بساطٌ من الكوت وعباءةٌ من الكاظمية كيفَ أعودُ؟ وماذا سأفعلُ بكلِّ هذه الهدايا؟ ماذا سمعت من العجائز الثلاث؟ لا يمكن أن يمنعني أحدٌ من أن أؤدي ركعةَ الحبِ حتى لو شابها الدمُ، وكيفَ لا أفوزُ بالعشقِ الذي حنَّيت له أصابعي ونذرتُ له طريقي.

الساحرات الثلاث.. سادناتُ الأقدار ضحكنَ ورمينَ أدواتهنَّ وعاودنَ غزل الأقدار.. أخذتُ الريشة والصحيفة والكرةَ وتأملتُ مصائري، ورميتُ بها إلى سطح البيت.

صرخنَ بي:

- أعدْ إلينا أغراضنا

كنتُ أهمُّ بالدخول إلى بيتها، فصرخت السادنةُ الثالثةُ وهي تُخرجُ المقصَّ من جيبها وتقول:

- أعدْ إلينا أغراضنا وإلاٌّ قطعت خيطَ عمركَ

صعدتُ على سلِّم بيتها، المخصص لقطع الكروم وأعدتُ الريشة والصحيفة والكرةَ ونزلتُ.. ودخلتُ إلى بيتها.

السادنات كنَّ يغزلنَ بمغازلهنَّ ويبكينَ.

جحيم أرش

شكلُ هذا الجحيم شكلُ رحمٍ تالفٍ

شكله شكل كأسٍ مكسورٍ

هبطت غيلانٌ ونظَّفت المكانَ بنارها وأعدَّتْ دولابَ الفخارِ ومغزلَ الخاتونِ.. أعدَّت قِدراً كبيراً وأوقدتُ العظامَ والحجارَ تحته.

شكلُ هذا الجحيم شكلُ ريشةٍ ساقطةٍ من طير

الرخِّ ومن جناح السماء الموحشةِ

هبطت خيولٌ مجنحةٌ وصهلت في غرفتها، بيُتها قربَ

نهرٍ يسيرُ موحلاً متجمداً في الظلام، حفرت الخيولُ

بأقدامها أماكنَ الشراكِ.

شكله قبضةٌ محكمةٌ، وفيه يتعذبُ الشعراء وفيه

طبقاتُ الحديد وأفاعي النار

هبطت مزاميرُ الصفير على أشجارها، وتلاقحت

الوطاويطُ فيها وسقطت قطراتٌ معتمةٌ على وجه القمر

شكلُ هذا الجحيمُ قاربٌ دونَ مجذافٍ

ولا شراعٍ، شكله يحجبُ النجاة.

هبطت نسورٌ من الأعالي ورفعت البركَ من الأرض

ونست بعضها، تناسلت الأفاعي وتطلعت إلى الأعالي

شكلُ هذه المياه خابطٌ

شكلهُا لزجٌ وغريبٌ

هبطت حبالٌ من الأعالي وأحاطت بالفريسةِ، وتقدمت

السيوفُ إلى جسدِ الضوءِ، رموزٌ مقَّطعة وفجرٌ ذبيحٌ.

شكل هذا البيت لهبُ سيفٍ لا ينطفئ

ينتصبُ بين شجرةِ الحياةِ وشجرة الموتِ.

أنقلُ الحصانَ باتجاه القلعةِ، وأضعُ يدي على خدّي،

طاووسُ الفخارِ في حديقتكِ وداليةُ العنبِ، صورٌ تبكي

وصورٌ تضحكُ.. رماحُكِ ما زالت تقطرُ دماً.. هل

مضيق عشتاريا

لا الآفاقُ تتَضحُ

ولا جهاتكِ تتعددُ

أنتِ امرأةٌ !؟

أضعُ قدمي على الدرجِ وأصعد.. يدي تحملُ الورودَ،

وجدران بيتكِ تضجُّ بالأفاعي، ما الذي تخبؤه الأيامُ لي

هنا؟

كتبتُ على خشبةٍ أعلى باب غرفتكِ (ولشو هـــ النوم)

ونمتُ.

خرزٌ كاذبةٌ في حزامكِ، وغشاءٌ من التنكِ الأصفرِ

يغلِّف أفخاذك، خلتهُ ذهباً !!

كنتُ كغزالٍ مسحوبٍ إلى ينابيعكِ، وكانت رائحةُ

الأنثى الكونية (م) تقودني إليكِ، صعقتني رموزٌ باسلةٌ

خرجت من الماءِ، وخرجتِ برداءٍ سمكيِّ تحملين سطلَ

الزهورِ.

أمامي حقلُ شهواتكِ.. وفي يدكِ، لكنكِ تحوكينَ

الخديعة تحت أقدامي.

الهاويةُ ما زالت بعيدةٌ لكنها تحت قلبكِ وعيونكِ.

الشعلةُ في يديكِ تتفتتُ مرةً إلى فراشاتٍ ومرةً إلى ترابٍ

ومرةً إلى نجومٍ من الوغفِ، كنتِ مهيَّجةً بسمّ بطيء

يسري.

وكنتُ كغزالٍ أعزلٍ يلمع جلدي تحت الشمسِ.

ثلاثُ سنواتٍ وسريرُ (أرش) متَّقد

ثلاثُ سنواتٍ وأسلاكُ جسدها تضيء المدينة.

البوماتُ تحولنَ إلى حماماتٍ، والسدُ تحولَ إلى ثورٍ

ونحاس الشمس تحول إلى هلالٍ فضّي..

كنتُ أبخُّر سلالها وهاويتها ونتُ أزرعُ الماءَ في

مضيف عشتاريا الذي أجدَبَ.

أبدلتُ تاجكِ الرمادي بتاجٍ من الزهورِ والذهب

أبدلتُ صايتكِ المهلهلة بصايةٍ من الشمس

ابدلتُ خواتمكِ المزيفة بخواتمٍ من اللازورد.

ثمانٌ وثمانون صيحة ربيع في حصادٍ واحدٍ متّصل لا هدنةَ فيه وأنتِ تتلوين، كأفعى، من لذة الحصاد.

رشقةٌ من رشقات شغافِ القلوب حلّت فيك. كنتُ أتعوذُ بكِ من سواد العالم وأهذي بكلمات ليست شعراً ولا وحياً ولا خرافةً. كنتُ أعيد رشَّ غاباتي بالسماء وأقلعَ من مقالع البلّور طيوري. أتأمل شعبَ شهواتكِ يجري كغزالٍ أعزل يكاد يفنى من اللذة.

سادت عبادتي دمى الطين الأنثوية، وفُتنتُ بامتلاء أجسادها حباً بكِ، خلاصةُ الزراعة وشعائر المطرِ وأشباحُ الخصوبة تشتعلُ في حقولي.

أجلسُ عارياً أمام النافذة وفتحاتُ الأباجورِ تسُرب لي فجدراً مزنراً بالخطايا الجميلة.

كيفَ أسمّيك؟

سماءُ وردةٍ أم لفحاتُ ربّة الجحيم !

كيف أدّعيك؟

كاستي أم مازتي أم طير صدري

فرَّ هارباً!

كيف أراكِ؟

غابةٌ من الضباب بيننا

وغابةٌ من الحديد.

كان بيتُكِ المتاهةَ الصغرى، وكان جسدُكِ المتاهة الكبرى وكنتُ مسجوناً في المتاهتين أتتبعُ الإشارات

على الجدران. كنتُ كالغزال.. جلدي يلمع تحت

نجومكِ وكنتِ ظلامي.

أووووف

وإذ قلتِ: هل هذه النار تكفي؟

وانولتني شمعةً فأشعلتُ روحي

وما عدتُ أعرف أرضاً سواكِ

وإذ قلتِ: يا الله كم أحبكَ

قلتُ: فدوةً.

وأنبتُّ غابةَ (أوفٍ) عليك

وإذ قلتِ: You know something?

ما عدتُ أعرفُ شيئاً

سوى أنكِ كنتِ السماء

وكان كلامكِ هذا المطر

وكان خضابك هذا الندى

وكنتِ شرارَ النبيذ المحلّى

وكنتش الجمالَ المعلّى

وكنتُ الذي فرّقته الرياحْ

بجسمكِ.. كنتُ المباحَ.. المباحْ.

هذه التي أراها

هذه التي أراها

مدلهمّ سواها

وردةٌ تفتحت وتعالت

شلّت العيون وتلّوت

في ضباب العيون شعلتاها

شعلةُ الشعرِ

وشعلةٌ.. ها يداها

طوت البدرَ في سطوعها

وحين غابت طواها

هي أختُ له تمنعت عنهُ

فاسّاقطت فاشتهاها.

نهر الأحزان

مددتُ صولجاني فحوُّلت نهرَ أحزانكِ إلى فراتٍ

ورميتُ فيه أسماكي..

كانت آثارُ ا لأحزانِ على مواعينكِ وفي كؤوسكِ..

الغيومُ على الأباريق والفناجين، الدموعُ على سلِّم البيت

عرشٌ مخربٌ عبث به اللصوصُ

وأقواسٌ حزينة في الممرات.

أخرجت صايتي الحمراء ولبستها وعزفتُ على الناي

خرجت ضحكاتكِ من شرانقها بطيئاً

ثم صارت ضحكاتكِ أعنف من مارشٍ ملائكي

محتشد، فقّست البيوض في سلاّتك وتنفست

تحوِّل نهر أحزانكش إلى أمواج غبطة.

هكذا كان فجرُ أيامي معكِ

فسبُلت ركبتكِ ساعةً متَّصلة

فانفتحت لي أسرار جسدكِ.

ربيعُ الأفعى

لا نار أعلى من مواقدنا

تُبَخُّرنا

وتخلِطنا

وتمطرُنا

ولا فجرٌ يناظرُ فجرنا

متلاطمين.. ومسرجين

ومشهرين.. ومتُرعين

ومقُفلِّين.. ومطلّقين

كُنَّا كما كنّا..

سماويين نضبطُ خيمة الفجرِ التي هطلت

ونضربُ عودها بالأرضِ

تضحكُ فرطَ منائرٍ في الروح تصعدُ

ما هذا الذي سُقناه من قطعان؟ تصعدُ

ما هذا الذي قدناه من شهوات؟ تصعدُ

ما هذه الحقول توضأت بالأخضرِ المغسولِ في دِمنا

وما هذا المكان؟

عدنٌ.. فلا أفعى سوى أنفاسنا تسعى

وأيدينا تخيطُ خرائطنا في النارِ

هل تصحو الخرائطُ من تشابكها؟

وهل تصحو الأصابعُ من تناسلها؟

وهل يضعُ الزمان

تاريخه وجلاً علينا؟

عدنٌ.. مضببٌة نشقّقها

وندخلُ في مغاورها

ونُشعلها مشاحيفاً وشمعاً

عدنٌ.. عليها غافيينْ

خرجا بطيئاً من ضلوع الأرض

ثم تمازجا بالنارِ ضلعا

لا نار أعلى من مواقدنا

تُبخّرنا

وتخلطُنا

وتعلنُ فجرنا.. قُبلاً ودمعا.

هل زاغَ، كُثر ما حدقَ فيكِ، لوثةُ

حاجبيه

وقلبه؟

أم صارَ في كأسكِ ثلجاً !

هل أخذتِهِ من مقعدٍ جنبكِ؟

هل خلطِتهِ بخمرةٍ؟

أين هو؟

أين أغانيه؟

وأين معزفُه؟

هل ضاعَ منكِ فرطَ تصفيقكِ للفجرِ؟

وهل أتاهُ ما أتى الربيع من رياحٍ؟

أين تراتيلُ عُلاه؟

أين تلويحةُ كفيّه – بلا ردْ – صباحاً

حين تخرجين دون قبلةٍ أو ضحكةٍ

قاسيةٌ جداً صباحَ كل يوم

هادئةٌ جداً هدوء البحرِ يكتظ بنارٍ

ثم يستحيل زوبعهْ..

أنا الذي دلَّل

والذي أسهرَ

والذي أبكى

وتاه في يديكِ

والذي فجَّرَ نبعاً نائماً

أنا الذي غنَّى وفاض

والذي شقَّ لكِ الثوبَ

ودقَّ فوق صدره

لكن سيفاً قاسياً في الصبح، مثل صنعِ فنجانٍ

من القهوةِ لا يُعجبكِ، أقسى من الموتِ

تشلحينَ ليلَ كلٍّ يوم.. مثلما ثوبٍ

وتدفنين ما فعلتِ حينَ يَطلعُ الفجرُ

وحين تنهرين طائراً مثلي.

قاسيةً جداً صباحَ كلٍّ يوم

وكالقمر.. عاليةٌ جداً

مشعّةٌ.. كاملةٌ.. مساءَ كلّ يوم

كأن نورَ الكونِ، كلِّه، في ومضة

من ومضاتِ وجهكِ

في ثنيةٍ من ركبتيكِ

في التفاتة الثديين نحو كفي

وفي ربيع أفعاكِ التي تلتفُّ

- فرط لذة –

حولي ولا تشبعُ.

* * *

فمٌ

إذا حرُّكتهُ بالشعرِ.. كان ماسةً

وإن شكى.. فهو ازدحامُ غيمةٍ في الوردِ

وإن حكى.. فهو الجنونُ والجمالُ والضحك

فمٌ

إذا حرّكته بالقبلات رنَّ في السماء

رنَّ في الجبالِ وانتشى

فمٌ

إذا أفاقَ مثل نبعِ فضةٍ

وإن غفا كالتينِ

كالطيور هاجرت في الغيم

- هل تطلعُ شمسٌ؟ لا

- لو تطلعُ شمسٌ فهي كُرتي

- وأنتِ !!

- أمضي إلى ملعبٍ ضوئيي.

أنتِ بيتُ شمسٍ

أنتِ نهرٌ ذهبٍ

وأنتِ ماء مرمرٍ

غاضبةٌ كالشمس.. صبحَ كلَّ يومٍ

حين تسوقين، كنارٍ، سُرفَ السِّيارة السوداء

- إلى أين؟

- للجحيم

- حسناً...

ولكن قبلَّ أن نذهب للجحيم

إمسحي الغبارَ عن خاتمكِ

تمسحهُ... ثم.. تسوقُ للجحيم

أيتها الشمسُ..

أنتِ ترعين مخلوقاتكِ لوحدكِ

دون مساعدةٍ من أختٍ أو زوجٍ

أو حبيبٍ.. فلا تبعثي لنا بأختكِ

أو زوجكِ أو حبيبكِ.

نحنُ أبناءُ الماء

لا تبعثي لنا من مصهرك هذا

الشرر المتطاير.. صباحَ كلّ يوم.

عرشُها يبكي

عرشُها يبكي

وتفاحُ يديها ذابلٌ والشمسُ سوداء وتغفو

الأواني اندلقت وانهمر الحزنُ عليها

مَنْ ترى ألقى تراباً في الكؤوس

مَنْ ترى أرخى غيوماً

مَنْ ترى أربكَ بستان الكروم

عرشها يبكي

كأن الأرضَ تبكي

سقطت مرآتها وانكسرت

نامت ينابيعٌ ونام الفجرُ فيها

عرشها يبكي.. ويشتاق إليه

هل مضى فجراً.. مساءً ؟

ومتى يأتي ليَسقي حقلها

ومتى يأتي لبكي عرشها في راحتيه ؟

ومتى يأتي.. وتفّاح يديها يشتهي غصن يديه ؟

نونا

تعلّق نونا على رأسها ريشات تقدر فيها سنوات عمر

عشاقها، كانت تنتخب الأجمل، مثلما تنتخب

خواتمها: الموشّى بالأرجوان، المخمّر، المشرِّب بحمرة،

المهذّب بالفيروز، المقبُّب، السهم..

ماذا إذا شاركتُ إمرأتي الدفوف

وطار من دفقٍ إليكِ برقٌ مغلقٌ

أنقى وصار بينكما يدور الماءُ

صارت نجمةٌ في ثديها تبكي إليكِ

وطار طيرٌ فيكِ منها

ثلاث ريشاتٍ على رأسها.. عمرُ كلِّ عشيق يمرّ بها،

ترسمُ في لوحها الطيني مثلثاً وتطشُّ عليه الخرز.. كلّها

داخل المثلث. سيُشبعها هذا لذةً وجنوناً

نونا التي في النار تخفقُ في يديها

ماذا إذا جمّلتها أحلى، وباركت

الدفوف رنينها لليوسفي المحضّ،

منحدرٌ إليكِ خرابها، حسراتها

ومنحدرٌ إليكِ سفينها المهزوم

من موجٍ عميق.

سقطت الريشة الرابعة على أفخاذها وحركت شهواتها

لكنها لم تضعها على رأسها

سقط في المارثون الذي أعدّته له..

وسقطت معه الريشات كلها.

ظنَّ أنكِ البتول

أرجعي فتنةَ الحقولْ

أرجعيها لكي تقولْ

أن ما ضاعَ منها ومني

شعلٌ في مراحاتِ كفّيك

غيّبها الطبولْ

أرجعي روحَ من عَدا

وطوى سيفه في الندى

وبدا منه ما بدا

شاعرٌ شتلَ الوردَ والمدى

في حواشيكِ

ظنَّ أنكِ غصنٌ

شاعرٌ.. ظنَّ أنكِ البتول.

أسمال تايكي

كان لا بد من نشرِ أسمال تايكي على الأسوار

كان لا بد من وضع حدّ لهذه الأشباح

كان تاجُها من ورقٍ

ضربَ الوهمُ يدي

من أناديه لكي يلضم عقدي؟

أأنادي ذهبي الضائع في الأردن؟

أأنادي غيم تايكي !

ماذا أنادي ؟

أنا حزين.. أكتب عشرات الكتب ولا أستطيع العيش

أنا حزين.. أقولُ شعراً ولا أحد يسمع.

من أناديه لكي يفهم ألغازي ويصغي

أتلوى في دم فتَّتني

ماذا تراني سأغني؟

هل أ غني تايكي وأنا أرها كلُّ يوم تسرق المارة؟

هل أغني تاجها وأنا أراه قرب الأرصفة محطماً

هل أغني ثوبها وأنا أراه ممزقاً؟

لا شمس في بريدي

لا شمسَ في بريدي

لا كلمةٌ.. لا نجمةٌ

ولا صواني شمعها

لا الخاتمُ النحيلُ في خنصرها

لا الدمعُ في كفوفها

كنتُ أرى الرسائل التي تطيرُ في السماء لي

كنتُ أرى الحمامَ في يديها

محملاً بالورق الصغير لي

كنتُ أرى الغيوم في البعيد

لا شمسَ في بريدي

تضيء قلبي

أو تخوضُ في حديدي.

صايتك الحمراء

من أين أتيتَ؟

الصايةُ حمراء على كتفيكَ ومراياكَ تزخرفُ صوركَ

معها في مراحٍ وفي جذلٍ وركضٍ وراء النسور،

الأنهارُ تجرجر لحنها الطويل والطيور تسحب

المشهدَ بذيولها.

هبط الليلُ عليكَ وأنت تغني، فرطَ خشوعٍ على

ركبتيها، مدائحُ الجسدِ ورائحته تلفحُ خدَّكَ.

مشهدك معك، العناقُ فوق المدينة وفوق

معلاّيات البترا وعند مداخل إيلة وفي الغابات.

صايتك الحمراء تتبدلُ إلى رداءٍ سمكيّ كي تلحق بها في

الأنههار وتحمل نجومها إلى رحم المياه كي تلد

الكسلمات والأعاجيب، وكي تُخصب المايه

ببذورها.

صايتك الحمراء تتبدلُ إلى جلدِ ثعبان لتدخل في الأغوار

وتحمل مشهدكَ إلى العالم الأسفل حيث الموت،

لقد تبدلت هي إلى أفعى.

نـهرُ الدموع

سأبكي دماً

لو بَعُدتِ مسافةَ نبضٍ

ولو طارَ منكِ حمامٌ إلى غير ما جهتي

ولو شهقت مقلتاكِ لغيري

ولو بعثرت ريحكِ الورد في غير نهري

ولو شتّت – يا حبيبتي –

أصابعكِ الطافرات السماء على جسدٍ

غير هذا المعذب في راحتيكِ

سأبكي دماً

هل أقولُ كلاماً

أم الريحُ مرَّت بنا ذات يومٍ؟

وكدتِ أبتعدتِ

وكدتِ أُخذتِ

وكادت مراكبنا تتهاوى بعصفٍ

وأمطرت الروحُ بحراً من الحزنِ

وسارَ على سور نارٍ دمي

واشتهى أن يصيح ويبكي

هل أقولُ كلاماً؟

سلالي وفاكهتي وجنوني

ونهرُ يمامي ومرآة روحي

وفيضي وغيضي

كلامي الذي لم يعد في جدارِ فمي

كلامي الذي إصبعي

كلامي الذي وجعي أرتضيه

كلامي الذي في دفوف مُجوني

كلامي الذي لم يعد في فمي

كلامي الذي صارَ عشباً ونوراً

على راحتيكِ وفي ساعديكِ

على شفتيكِ وفي فخذيكِ

سأبكي دماً في الكلام

لو أنكِ شاروتِ غيماً.. وشاورتِ نهراً

ولو زفَّت الريح نبضا لغيري

ولو أن شاردةً في يديكِ تطيرُ

ولو أن واردةً تتخفّى

ولو أنكِ بعتِ ضلالي

ولو أن رفاً من الحلم أغفى بعيداً

ولو أن قُبّرة منك ما رنَّمتْ

ولو أن خاتمكِ انفضَّ عن جملةٍ غير برقي

ولو أن هذا الهواء تكوّى

وهذا الذي في يديكِ تلوّى

ولو أن ماء من الماءِ جفّ وسوّى

ولو يا حبيبي

تنفستِ في الفجر نوراً بدوني

ولو قامَ في الليل طيفك

يجلّي صدور الرجال

ولو يا حبيبي

توجّعت مني

ولو في الصباح المنقّى اشتكيت

ولو قامَ وردك في غير قبري

ولو في الشتاء البعيد ارتجفتِ لغيري

ولو في شهواتك تهوي السماء

ولو في غبارك غاب الغبارُ

ولم يجتبين

ولو كضُّت الريح زخَ الدموع عن النادبين

سأبكي دماً

وأغرف من شهقاتك روحي

أعيدُ لها جملتي

وكلامي الذي ضاعَ

ورشقَ الحنين

سأبكي دماً

لو أشرتِ بسبابتيكِ

وأدخلتيني في سراٍ من التيه – دونكِ –

أبكي دماً..

وأموت.

هل تسمحين ؟

هل تسمحين

بأن أمدَّ يداً وأغني ؟

وهل تسمحين بأن أفتحَ البابَ

أو أنتشي أو أسلَّم روحي لمرقى جديد؟

هل تسمحين بأ، أتنفسَ أو أصطفي غير هذي القباب

وأرخي قميصي على شمسها وأملأه بالرياح؟

هل تسمحين بأن أذهب اليوم للنار

أو بيتِ طاهر

أو أتمشى قليلاً على الماء؟

حتى أردَّ إلى فطرة روحي المسيح الذي غابَ فيَّ

هل تسمحين..؟

يكادُ الهواء الذي في يديكِ يموت

تكاد الحياة تموت

فهل تسمحين بأ، لا أموت؟

في قلبكِ ثعبان

ماذا تخبئُ جمرتاكِ لعائدٍ مثلي إلى عثراته

ومجونه وجموح ليلته؟

وماذا تصطفين مباخراً، لمهاتفيكِ،

من العطور معذبين وتائهين وعاشقين

البسيط يوحنا ليغسل غيمة الأردن بالكلمات

والعاشور وردٌ للصعاليك الكبار

وهنا المتيّم والمدُّم والمربع والمجلّى

الحالمون إ عبروا وما انتبهوا بأن خواتماً تنشقُ من عطشٍ

وأن خلاخلاً ما رنِّمت منذ انفصلت عن الجمالِ وروحه

ماذا تخبئُ وردتاكِ؟

ماذا تخبئُ هذه النظرات لي؟

ومذا ترفعين لهالكِ مثلي؟

ماذا أسمي سنبلَ العينين يرجف في رمادي؟

ماذا يخبئ قلبكِ؟

في قلبكِ الثعبانُ: الأنيموس تبعك

يفترس الأنثى التي فيكِ

ويخرجُ عارياً

من شق جرِّتك العتيقة.

لا تدور الأرض حولكِ

أخيط ما مزقته

أخيط ما مزقني

أيامنا تذهب مع نهب الكروم، أيامنا تطوف في مسلةٍ

موحشةٍ أخطط لارتفاع مكاحل الحانات والعشاق

لكن المواسم المخربة قادمة.
أذهب باتجاه القوافل الحزينة..

أذهب إلى الصحراء وإلى البرية فأجد

أن الأرض ما زالت تدور

لا تدورُ الأرضً حولكِ.

انفضُ أوهاغمي وأعلِّق البوصلة على حصاني وأنطلق.

خرقُ اليوسفيين

إجمعي، في سلَّة، خرق اليوسفيين والقيها في النهرِ
لم يعد فيكِ ما يُغري، هربَ الجميعُ من جحيمكِ
لم تعد تخبئُ صرَّة أسراركِ سوى بقع الكحل والنبيذ
وأضغاث شهقات الـ(أوف) على شريطكِ العتيق.
أصبحت أوجاركِ مملؤةً بالشوكِ والحسك وقشر جلودكِ
القديمة التي كنتِ تستبدلينها بعد كلٌّ سباتٍ.
ماذا تخبئ صرِّتك سوى الرسائل الشاحبة
والصور الممزقة
أجمعي تعاليم أرش وليليث وعلِّقيها على بابك
إجمعي شرارات الجحيم وتدفأي بها
أخرجي السيوفَ المتقدة الحمراء التي كنتِ تطوفين بها

على مكحّلي العيون ومسدلي الشعر على المتون،

العاشقون الفاتنون الذين عصفت بهم جُملُ الدمع في

عيونهم فأحبّوا وهاموا

أخرجي عليهم سيوف الرماد وافزعيهم بها !!

أعيدي لي أنفاسي الحرّى

أعيدي لي مرشّات الطلع التي كنتُ أرشّها بك

أعيدي لي وغفي وبكائي وحسراتي

أعيدي لي انتباهات عزيزو في معصمي

وأعيدي لي صليب أبولو المخبأ تحت المخدة

أعيدي لي طُغراء دموزي المعلقة على حائطكِ

أعيدي لي منحوتة الكتبي المكسورة في مكتبتكِ

إجمعين في سلّة، خرق اليوسفيين وأحرقيها في بيتكِ

لعلهم يشفون من كيدٍ قديمٍ.

كنتُ مخبولاً

كنتُ مخبولاً بكِ

كنتُ مخبولاً بترعاتِ يديكِ

كنتُ مخبولاً بهذا الجسدِ الأرعن

بالتلاّت بالوردات بالنحلات

بالساحات بالغابات فيه

كنتُ أعمى في هواكِ، كنتُ مخبولاً

ولكنكِ أرجعتِ إليَّ العقل

أرجعتِ لي المنطقَ

يا رافضة المنطق

أرجعتتِ لي العينَ التي طاحت هناك

يوم أعلنت هواي

لا طريق.. لا عيون. زلا التفاتْ

أرجعتِ إليَّ العقل مجروحاً

وردّتْ في شرابيني الحياة.

أجنحتي وأجنحتكِ

كانت أجنحتي وأجحتكِ من الشمع والريش

فلماذا إذن حين هويتُ إلى البحر كنتِ تطيرين؟

لماذا حين أذابت الشمسُ أجنحتي كانت

أجنحتكِ تتصلُّب أيتها المخادعة

لقدتركتِني أحلِّقُ إلى العالي منتشياً بكِ

وبقيتِ على منخفضٍ تراقبين سقوطي.

تحت التفاصيل

شرارُكِ أم شهقةٌ في العيونْ

ونبضٌ من الشمسِ يخفقُ في ما يكون وما لا يكن

وأنتِ انتفاضةُ ضوءٍ وبرق وتعويذةٌ لا تخونْ

وأنتِ انجرار المراعي إلى كفٍّ حشد من الصابرين

وأنتِ المجرّة مجدولة وطيعة في اليدينْ

وأنتِ السماوات قد كُسرتْ

وقد زُيّنت وقد رجُّها الطلق

أنتِ الجنينْ

فكيفَ أصبُّر هذا المساءُ وذاكَ الصباحُ

وتلكَ الليالي.. وفوق التفاصيل.. تحت التفاصيل

خلفَ اليدين وبعدهما والحنينْ

وانتِ الجنونُ العجيبُ

الشرابُ المشقُّق

أنت المعابدُ مفتوحة ومغلقةً

ومهدومةً ونافرةً وشائكةً ومثقلةً بالأنين

وأنتِ اردوازُ السماء وعقدتُها

وبناتُ المياه ولفتُتها نحو رشفٍ

وأنتِ الودادُ وأ،تِ المعين

وقد كُسِّرت في دمي ضحكاتك

رجف انتشائكِ

وردُكِ

لكنني قد أكون ه نا أو هناك

وقد أتجول ما بين بينْ.

أنـهار الشهقات

أنهار من العسلِ والشهقاتِ شربتُها معكِ.

ألا تسمعين..

ألا يرتجفُ جلدُكِ من شدةِ ما فعلتِ

طعمُ الآذان.. طعمُ الفجرِ.

كان يطلع عليَّ الفجرُ وأنا بينَ قلاعِ أفخاذكِ

أو على رحيق شفاهكِ

أما الان فها هو الآذان وفي فمي عشبةٌ مرٌّة وأنا

دائخٌ وممزقٌ وتعبٌ ومحزونٌ..

وحدي الان أمام خشبةِ الصلبِ

من قال لكَ أن الهجرَ أحلى

من قال لكِ أن رفع رايةٍ غاضبةٍ بوجه مُحبّ أحلى

دائخٌ ومطوَّح

لم يعد في دماغي سوى الصحراء

دماغي المكتنزُ بكِ المعمِّى بفقدانك.

منذ أناهيت

عدتُ إلى اليوم الول من الخليقةِ

قرَّبت فمي من السماء

قرِّبت فمي من الأرض

لكن يدي طوَّحها الجمال

غطَّت الأيام بكائي كقميصٍ

ولوّح لي السومريون قبل أن يهبطوا إلى الأهوار

كانوا يغنون على الجبالِ، فضعتُ في ألغازِ أصولهم

تركتُ أناهيت قربَ جحيم العامرية، ومنذ كفَّ

طيرها عن الطيران صوبي صرتُ أسأل:

هل أغفو ثانيةً على يد امرأة؟

كانت أقدامي تتناسلُ بين شظايا الحربِ

وشظايا الكلمات

وكانت أعلامي مبخأةٌ في جيوبي

لم أبح لأحد بأني لا أحبُّ سوى النساء

كنتُ أخافُ.. أخاف من النساء والرجال

أن يعرفوا هذا فيكرهوني

ماذا أفعلُ بقلبٍ ركّبته الطبيعة على هذه الصورة

كلهم يقولون لي: والحياة؟

أقول: كلّها في المرأة.

أدمت أقدامي أشواكُ طريقٍ ملتوٍ ومزروعٍ بالشراكِ

ثم وقعتُ كطائرٍ في حديقةِ قصركِ

أسيرُ قربَ بابكِ وأخافُ منه

ترمين لي سدّتك لصعدَ لكني خائف

منذُ أناهيت التي كانت تطيرُ فوق بيتي

وتصطفي لي أجملَ البخور

وأجمل المرايا

ومنذُ أناهيت صَمَتٌّ بانتظارِ المعجزة

لكنكِ لم تأتِ لي إلاّ بالخراب.

تمغةُ العنكبوتة

أسمعُ صوتكِ في زوايا غرفتي الموحشةِ الرطبة

أسمعهُ في الممرات.. أفتح بابَ الغرفة وأبحث عنه

يقودني سلٌّم إلى المغاور حيث يهربُ صوتكِ

يخرج صوتكِ إلى الشارع.. يركب سيارة و يهرب..

في قبضتي زهرةٌ يابسةٌ منكِ

ونعشٌ طويلٌ ممدٌ أمامي

تمغةُ العنكبوتة في آخر النعشِ

مسرى حبٍ مطعونٍ في طقس جنازةٍ

كيف حصلَ أن توارى هذا الجمال؟

كيفَ أدَّخرت الطبيعة أسلحة لقتله؟

كانت العنكبوتة قد ملت جعبتها بالسهام

وأظافرها بالسمُّ.. كانت تلمع باسمةً

مثل بطلة فيلم (البطل توتو)..

كانت تقُّدم كيكاً في الحفلة مغموساً بالسمّ.

أذهبُ إلى ناصية الطريق..

يا إلهي هذه جثةُ (أرش) مطعونةً بالسهام

العنكبوتة تهربُ وتترك تمغتها على جبينكِ

أنتِ أسيرة سحرٍ لا فكاك منه

كان سحري ذات يوم

ولكنه الآن أسود مثل تمغةِ العنكبوتة.

هكذا ببساطة

هكذا ببساطة تحلِّين إزارك لغري !

هكذا تذهبين إلى حيث يشطُّ بكِ صيدُ اللذات !

هكذا يا مرقّصة الناسك !

زيركِ الفخاريُّ مفطورٌ..

وحواجبكِ غير منتظمة

كأن الصدأ الذي ظهرَ على قلائجكِ إشارةٌ

تتركيني كأني فلاُّح بستانكِ

أو حاجب بلاطكِ

تتركيني كأني نادلُ لياليكِ التي سُفحت في الخديعة !

سقطت داليةُ العنبِ في بيتكِ

وتكسَّر زجاجُ نوافذكِ

وتعفنَ التبغُ الذي كان يُنعشكِ

تمغةُ العنكبوتة تلطخُ بابكِ

وتلطُّخ عيونكِ.

كان لمّا أطحت به

كان لمّا أطحت به

مستوحشاً في يديه

طارَ منه فؤادٌ جريحٌ

حينَ أبصره الناسُ قالوا: السلامُ عليه.

كان لمّا أطحت به

هائماً بالصلاةِ إليكِ

ضومرتبكاً كيفَ ينحتُ قامته ليليق بكِ

خاشعاً ليديكِ

كان لمّا أطحت به

لا يغني وحيداً

كان نسلُ المحبين يُصغي له وينوحُ

وتاريخ حرقتهم وهواهم يذوبُ

بآهاته ويفوحُ.

كان لمّا أطحت به

واقفاً في النجوم

ويقطرُ، من وله، دمعهُ.. دمهُ ويذوب

وسلالك مخضوبةٌ

كان يذوي هناكَ على مهلٍ ويغيبُ

كان لمّا أطحت به

مشرئباً لقلب السماء

يناديه.. ينبضُ فيه إليكِ

وفي وردةٍ في الشفاه

ويسأله أن يدقَّ برفقٍ

وأن يتلطفَ جمرُ خطاه

كان لمّا أطحت به

غارقاً في دماه

حين حمّلت، ما خفَّ أو ما غلا، منه

وانسللتِ بعيداً

مثل سارقةٍ لقطيعِ شياه.

أيتها الطاووسة

حسناً.. ألم ترفِّض عيونك هذه الليلة

ألم يحككِ باطنُ قدمكِ

ألم تشهقي بالنبيذِ

ألم تسمعي صوتي في حفيفِ النباتات

أيتها الطاووسةُ الوحيدةُ

ألم تتساقط ريشات ذيلكِ لأني لم أسقِها

ألم تتهدل ثيابكِ لأني لم ألمسها

ألم تجفَّ عطوركِ..

حسناً.. حين تشلحين ثيابكِ

ألا تذكرينَ أصابعي

حسناً.. حين تتنفسين

ألا تشهقُ همساتي في رئتيكِ

ألاّ تتورد شجرتي في صدرك

صنعتكِ عضواً عضواً ومسحتُ بفمي ما صنعت

ورضيتُ بجناحيكِ العملاقين يضمّاني

ورضيتُ بفخذيكِ يقبراني

ورضيتُ أ، أتحلّى بك..

لماذا؟

هـِرش

لم تكوني، لحظةً واحدة، شبه إنانا أو أناهيت

وما كانت يداك

غير حبل شائكٍ يلتفُّ في روحي

وما كانت خطاكِ

غير وقعٍ لأنينٍ غامضٍ تحت جروحي

لم تكوني غير (هِرش) صابني في غسقي أو فوق جلدي

لم تكوني غير مكرٍ وخداعٍ صلفٍ دنّس ثوبي

لم تكوني غير طبع الذكر الفاشلِ تستعصي

عليه الجنّة الأنثى

وما كانت سماكِ

غير مرآةٍ لقاعٍ غيهبٍ كان أفولي

لم تكوني أبداً أنثاي

كنتِ الموت يسري في حقولي.

خواتم الأفعى

ألقي إلى نبع خواتمكِ

فألمحُ عشبةً تهتزُّ، ألمحُ وردةً تصحو

وألمحُ كوكباً ينشقُّ،

ها نبضُ الطبيعة يشرقُ الآن

وها عُبّادها ومطيبوها يشرقون

صلّوا عليك وسلّموا

وتزنّروا بالمساء

باسمكِ

بالسماءْ

فجرٌ من الخمرِ المرتَّق في كؤوسِ الليل

فجرٌ من القبلاتِ والشهقاتِ

من نبضِ الكروم وفيضها

ماذا بصدركِ يما مليكةُ ؟ :

- طيرٌ من الذهبِ النقيّ

وغيمةٌ بيضاء

أنصتُ:

شنشلاتُ قلائدٍ، ورفيفُ أجنحةٍ وماءْ

ماذا بصدرك يا حبيبي

-لغةٌ ولا أحلى

ورئةُ خمرةٍ

ودلالُ قلبٍ لا يتوبْ

ماذا بروحكِ:

- حسرةُ الرهبان

والديرُ العميقُ، وطرّتي.

أبكي وأنصتُ: شهقة اليا (أوف) والصلبانُ تلمعُ

مطرٌ يبلُّ مفاتني

كفّاك، من بدء الخليقةِ، تغزلان فتاكِ

وتجمعان له الحجارَ، وتجمعان له النهارَ

وتجمعان له الحقولْ

كفّاك، من بدء الخليقة، توقدان له المساء

وتصنعان له الطبول

كم مزّقوه.. فخطته

كمْ غيّبوه.. أعدته

كمْ رتّبوا شراكا لخطواته فطار إلى يديكِ..

وصِدته.

كم من سماءٍ كسّرتها هزّةُ الأحزانِ في عينيه

داوتها يداكِ.. ونلتهِ

كم ناحَ.. لم تـأتِ

وكم أمسى.. وما أضحيتِ

كم حلّى.. وما جلّيت

ساهٍ يطاردُ نجمةً في الصبح

يبصمُها.. يذوقُ شرابها

هل تسمعين أنينه؟

هل تسمعين النارَ في فردوسه ؟

هل تسمعين؟

كفّاك، من تعبٍ، تطارده، وتمسكه، وتطعجه

ساهٍ يرقُّش بأسمكِ الأحجار

يحفرُ فوق جبالِ (رَمْ)

وتحت مياه (صيدا)

صوراً مكررةً لكِ

صوراً لـ(بارات) العجيبة، أو لـ(تايكي) أو لـ (عشتار) النبط

يشدو فتطعجه..

يراقبُ نجمةً تمضي

وتطعجهُ

فيرمي عند نبعٍ خاتماً

ماذا بنبعكِ ما مليكةُ..

خرجت من النبعِ ومن الجرّات المكسورة فراشات لا

تحصى، وخرجت بيوضٌ، وخرجتِ من الماء يتضوّع

فمكِ بكلام أبيضَ، وتلتمعُ عيونكِ بسماء صافية،

وأياديكِ كانت دفوفاُ، وخرجت تتمشين أكثر مرحاً

من غزالةٍ وكان النور يحك وجهكِ، وتتسرسحُ بماء

فراتكِ الرغبة، كان القمرُ ما زال مدفوفناً في جسدكِ

ويدكِ تحمل المشاعل بدلاً عنه لتضيء الكون،

خرجتِ ونفضتِ الماء عن جسدكِ ومسحتِ النهار

بالخيول والليل بالخمر، ومسحتِ معصربتكِ على

صليبي الذي رفعتِهِ في الحقول.

ماذا سترفعُ هذه الأيدي من الأيام.. كي ننسى؟

وماذا تنقّي؟

ننسى ولا نهبُ الهواء سوى كلامٍ آفلٍ

ننسى إذن شمساً تهتفنا..

ونلكزها بعودٍ حيثُ تخرجُ من مياهٍ تحتنا.

ماذا سترفعُ هذه الأيدي؟

أترفعُ شمعةً كنَّا نبادلها الصباح

وننثني في نحِرها

ماذا..؟

أترفعُ خاتماً عطراً، به شغفُ الأصابع والتبوغ؟

ماذا.. أترفعُ سنبلاً سمكاً

وترفع ما تبقى من خضابِ الفجرِ بلَّ عيوننا؟

ماذا.. إذا انفتحَ الجنون

وهال منه ترابنا؟

ماذا.. سترفعُ هذه الأيدي

أترفع وردةً سوداء !

ترفعُ قارباً يغفو !

وترفعُ من بقايا ليلنا المحفور في حجرين في كأسٍ

سراويلاً، وقمصاناً من البلور

كي ننسى.. فلا ننسى.

ماذا ستجمعُ قُبُّرات سريركِ المبلول من قشّ

ومن زبدٍ ودفلى؟

عجنَ المعجُّن قمحنا

في القدر ثانيةً ورشَّ عليه ماء الليل

ثمَّ أثابنا.

فَصلَ الخيوطَ عن النسيج

فَصلَ الأيادي عن تشابكهافصل العيونَ عن العيون

فصل الشفاه عن الشفاه

فصل الصباح عن الأصابع

والمساء عن السماء

فصلَ النجومَ من إتُّصال سرّتنا

وسرَّح في حشائشنا الوعول.

فَصلَ الذي فصل

الذي فصل.. الذي ننسى

فلا ننسى.

ما هذا الفردوس، حتى الآن لم اكتمل.. ما زالت الكنوزُ ماثلةً أمامي ومغلقةً، أخرجَ من الصندوق خواتمه وألبسها:

الأبيض الرمادي: لحفلةٍ دانديةٍ على الجبل

الأزرق: لأرضِ (ع) نرقصُ ونغني

الأخضر: للذهاب إلى مكتبة الآثار

الأرمني: لزيارة البترا

الموشُّى بالأرجوان: للسكر بصحةِ طاهر

المهذَّب بالفيروز: للمرور في وادي رمْ.

كنتُ أتعوذُ بها من كلّ شيء..

تحريكُ الحواس قبل المباشرة.. الأعضاءُ موزعةٌ في

الأقداح.. كلامنا يصفق، عشيقاتي وعُشاقها

يفرحون ويتعاشرون.. أما نحنُ فنترك لهم غرفةَ النوم

وننزلُ تحت الدرج، مرآتنا معنا، هناك نطشُ

الخرز ونثرثرُ، أجنحةُ الأساطير فوقنا. سقطَ الكلامُ

من حنجرةِ التاريخ على أجسادنا، كاد يختنقُ لولا

الإبرة التي مددناها ليُدخل فيها خيطه.

من فضلكم.. هذه المواعين وهذه الملاعقُ وهذه

الكؤوس وتفضلوا، الموسيقى أيضاً تعيقُ تقدمناغ نحو

بعضنا.

هبطت سلالٌ ومخاوفٌ وترهاتٌ. زونزلَ عنكبوتٌ

بخيوطه.. هالةُ جسدي نشَّطت هالة جسدكِ، امتلأ

البيت نوراً عندما اتحدنا، هرب العنكبوت

ووقفت الحيوانات الصغيرة في الزوايا تحدّق:

يا لهذا الجلال.. أعضاءٌ تضفرُ أعضاءً

أعضاءٌ تقطرُ أعضاءً.. ويدُ الزمان

تضغطُ أكثر وتقول: إدخلا ببعض تماماً.

ورميتِ في لغتي خواتمكِ العجيبة

شنشلاتكِ.. رنّة الأسوار غزل حرير ليلك.. فُلفُلاتكِ

جمركِ المكويّ في ما ئي

فطار الليل رُخاً من سريركِ

وشالَ بقبضتيه سماء تاريخي

أتنزلُ أيها الرخُّ العظيم؟

وطار مبتعداً، جناحاه يصطفقان.. مبتعداً

أتنزلُ..!!

ماذا بكفِّك يا مليكةٌ ؟:

-هالٌ ورشةُ ماءِ وردٍ

ماذا برجلكِ ؟

-طوقُ خلخالي المحلّى بالذهب

ماذا إذن فوق القلاع ؟

- صوري وأشباحي وأغلفتي وناري

ماذا هناك على الشراع ؟

- أنت

وضعتكَ كي أودّع حبّك المجنون

كي أرقى لحبَّ آخر أعلى جنونا

ماذا إذن فوق الرفوف؟

- مُغلفاتُ عشاقي، رسائلهم، قصائدهم رمادُ

عيونهم، صورٌ مغربلةٌ لهم.. وغبارُ معناهم.

إذن.. ماذا على الجدران؟

- سنبلُ دمعتي يُرخي ربيعاً تائهاً

أ لأجل أن نبقى علا الجدران صرنا !!

ماذا على تلّ كنو كاندو:

- شمُّة الفردوس.. ضاعت

لم تعد فيّ ولا في بدني.. ضاعت

ولا ببيتي ولا صدري

لماذا كلّ هذا؟

ماذا إذن في الغيم ينبضّ:

- سُرُّتي وسراةُ أيامي ومقبضُ معدني

من قالَ أفشيتُ الحقيقة عن سدوم

خرافتي؟ من قال إني قد عرتفكَ

أو لمستكَ.. أو رأيتك؟

ماذا إذن !!:

- إذهب إلى الينبوع وأرمِ خاتماً

فلعلَ ما يعلو إليكَ يكون مني

حسناً سأذهب..

يوم ذهبتُ لم تكن الخواتم في يدي

كانت تُزين ما رأيتُ من الأصابع الألف

التي كانت تلُّوح لي: وداعاً

20/ 3/ 1997

خريف الأفعى

لعلِّ في تلويحة الطيور لي ما يُشبهُ العزاءَ

لعلَّ في هزائم الغروب ما يتيح لي فتحَ جروحي

والتنصَّتَ الطويل لانهيار الشمسِ في مدافني.

لعلّ في كتابتي على الحجرْ

ما يُشبهُ الوفاءَ للسماء وهي تنحني على الخراب

بالحنين والمطر.

لعلِّ في رماد وردتي، بين يديك، ما يشيرُ للخريفِ

قادماً على الخيولِ والشجر.

لعلَّ في انكسار فصَّ خاتمي علامة على الأفول

هكذا السماءُ دارت.. لم أكن على يدِ السماء

لم تكن قصائدي معابداً ولم تكوني في يدي.

دائخٌ أدورُ بالقصبةِ حول التلُّ الصغير، أضع

المساميرَ في قوطية والأقلام في قوطية، أرتُّق

الشقَ في قميصي وأخيطُ نهاية بنطلوني ودمعي يجري

قصائدي في ركن الغرفة يبللها ماءُ المطر وكتبي

تحت السرير مهملةً، لا خمرَ معي ولا صور

صاحباتي اللائي هجرنني، أُقيِّد القمرَ

بالزناجيل، عنوةً، قربَ بابِ غرفتي وأهذي

له بصلوات قديمة.

أتيتُ من مدافنٍ عمَّرها القهر الذي ما زال في تلويحةِ

المودعين والمسافرين، في بكاءِ طفلةٍ نحو يدٍ حنونٍ، في

الأحزان تنخرُ الزمان.

أتيتُ في بحِّة صوتِ منشدٍ، وفي مساء حزنٍ لفَّ بغداد

بغيم النفطِ والدخان.

أتيتُ أحمل الحبِّ الي، كالماس، شعَّ وسطَ كلّ هذه

المكائد.

أتيتُ.. لكنكِ كنت تسخرين

وكنتِ تعصرين لذةً من سفه الحاوين – لا روحٌ ولا

شعرٌ ولا جمالُ فيهمو – وكنتِ تعصرين ليلاً شابحاً

النفاقُ والنساءُ دون حبٌّ، والرجال في الذكورة الفجِّة

في الثياب.

وكنتُ مخبولاً من الحبّ

النسيمُ حبٌ والخنورُ حبٌ والأغاني، الرقص، الشعرُ

والعيون والآلهة الآثار والفجر، وكلُّ خطوةٍ حبّ.

نفضتُ عن ثوبي دخانَ القهرِ والرماد

كنت أتّقي الزيف الكثير

كنتِ تغرفين منه

كنتُ مجنوناً من الغرامِ لفّ قامتي ورايتي وفرسي

ماذا قلتُ: إيرين التي كسّرت الدنيا

لأجل عرشها

ماذا قلتُ: موسيقا تفوحُ من جبّانة الموتى

ماذا قلتُ: كيلوباترا ثيا التي سحقت الرجال

لأجل مجدها التافه.

ماذا قلت: سنحاريب بين قصره من العظم

ماذا قلتُ: كاليغولا.. حذاءُ الجنود، الحيوان

في ثياب إمبارطور.

السر دنيال طائحاً في بركِ اللذة، هل ضاعت هناك

آشور، وهل كان سوى العاشق يجتاحُ خراب المدن

الحروب راكباً حماره يقود ربّة الجمال زفّها

الجحيم في غروبها،

كيف أسمِّيك وجلدي ظل لامعاً تحتَ سياطِ

حبِّك المجنون

كنتُ عاشقاً

وكنتِ تهوينَ الذي أتاكِ من مواكبِ العزاء حاملاً

تخضيبه الذي حَّرك خُلخالكِ وجداً والذي حوّل

أحوالكِ فردوساً ونام في يديكِ.

أصغيتُ، ذات يوم، إلى أغنية حبّ هبطت عليَّ من

قعلة عالية ودوُّنت كلماتها على يدي، لم يكن معي

حبرٌ ولا ورقٌ، كانت يدي لوحي، السماءُ في

حروفي، المطرُ في عيوني، هطلَ وحيٌ غزيرٌ وهطلت

كلماتٌ عليَّ.

أنا مضطربٌ.. أنسجُ رقعة الأسرار للشعراء.

فلا يصغون.

أنا مضطربٌ.. أنحتُ أكوابَ الخشب للسكارى..

فلا يشربون

أنا مضطربٌ.. أحوك آلاف الجوارب للجنودِ..

فيعودون قتلى

أنا مضطربٌ.. أضعُ طعامهم في الـ(سفرطاس)..

فلا يأكلون.

لعلَّ يدي فاشلةٌ

لعلٌّ لساني أدرد

لعلَّ الشراب الذي معي غاسقٌ، ولعلّ الشهوات التي في دمي تتفصدُ، قمري محطمٌ وترابي خائرٌ، دوائر الفلكِ في شباكي لا تتحركُ، الزودياك محطمٌ، كم مرةً ضيعتني الخيوطُ في نسيجها، وكم مرةً فاضت على لحيتي خمرتي ووجلتُ، وكم مرةً استباحت وحدتي حناجر الباكين.

علّ حنجرتي معطَّلة

لعلٌّ أجنحتي محطمة

لعلَّ النشيد، الذي أنسجهُ، بلا صوتٍ.

دائخٌ أدورُ بقصبةِ البهلول حول رماغدي وأضعُ المسامير في قوطية والأقلام في قوطية.

أيقظتني شهواتكِ على بريد أعمى أكتبُ له فلا أجد من يراسلني، أيقظتني رسائلكِ المنتشية برنينها على الضباب.

أفيقُ في مناجم الزمان

أينَ فتنةُ الأنثى التي ت ركتها فيكِ وأينَ وردتي

أين جلالُ الخوفِ من عبيرها ولمسها وفرشها

أين جنون التيه في فردوسها..

أفيقُ.. أين المرأة التي فيكِ، وكيف ضاعت هكذا وضِعنا

لأجل تصفيقٍ على الشرفة واستعراض رهطِ الأمازوناتِ

االنساء الخُلّب، الومض، الأكاديب !

لأجل غيمة (الجاندر) في العراء !

كيفَ أضعبِ ما فيكِ؟

لأجل المالِ يستحيل خردةً تحت حذاء الوقت !

العنكبوتة التي تغارُ من ظللكِ

ماذا.. خبّريني !

أين المرأة التي فيكِ

استحالت رجلاً مخنثاً يدقُّ طبلَ الموتِ والفراقِ

لأجل ماذا؟ ضاعَ ذلك الفردوسُ

أضعتِه ثانيةٍ..

العنكبوتة التي أغوتكِ تطفو فوق شجرِ الروحِ الجمالِ

النارِ

العنكبوتة التي ترقدُ في أسفل ما كان جميلاً بيننا

العنكبوتة التي ساقتكِ خارج الفردوس

أهكذا يعودُ ذات الخطأ التافه

هكذا يمرُّ مرَّة أخرى، على المرأة.

طردٌ من الجنَّة وبهذلة وعملٌ يجرُّح اليدين

أفيقُ في مناجم الزمان

أين العاشقة؟

أفيقُ.. خوفَ زهرتي، التي هناك، بين أضلعي تشيخُ

لكنَّ شعري قال: لن تشيخْ

أقبضُ بين راحتيَّ، خائفاً،

على سماءٍ صنتها

غسلتُها من السخام، جاء منكِ،

غسلتها من سحبِ الحروب

من رماد طائراتِ القُبحِ

غسلتها من فوهات الموتِ ثارت نحوها

أقبضُ بين راحتيَّ، خائفاً،

علي كتابي

أصونه بالرمشِ بالتمائم

أصونه كي لا يطيحَ كتلةً من التراب

أصونه كي لا تضيعَ، في الرياحِ، الكلمات،

الأسطر، الصور.

أقبضُ.. من يحفظُ لي حيرةَ روحي

كلُ شيءٍ قادمٌ خرابْ

الخريفُ يضربُ الأفعى

الخريفُ قادم إلى دمي

الخريفُ حول بيتي

الخريفُ..

كلُّ من أ؛بُّ يحني، بعد حبٌّ، قوسه ويضرب

وكلُّ ما في جعبتي من السهام يستحيل تبناً

كلّ ما في يديٌّ لا يضرب

كلّ ما في يد من أحبُّ يضرب

الهواء.. والدموع والأوراقُ تضربُ

الأيامُ.. والرياحُ والهجيرُ تضربُ..

إضربي تماماً

إضربي قوياً يا سيوفُ

هذا جسدي الممزقُ

هذا جسدي المخضوبُ

قطعةً.. فقطعةً

إضربي تماماً

حتى تُشبعين الرجلَ الجلاَّد فيك

حتى تتوارى المرأة الغشاء حول مسلخٍ يصرخ فيكِ

هل تسمعين.. هل تسمعُ: اضرب.. اضربي..

أضرب.. أضربي.

حينما في الأسافل

(إينوما أرش)

أفيقُ من كابوسها المعتمِ

من صندوقها المغلقِ

من محابس الكفين والساقين

أفيقُ من رمادها بلَّ دمي

ومن شقاقِ رمزها يقودني مضرجاً بالنار

من مسائها الضارب في اليبابِ

من دفوفِ كاهناتها الخُلَّب

من شتائها الطويلِ

أفيقُ.. هل أفقتُ؟

من مزالقِ الزنبقِ في الثديين !

من مفاتن الصعود والنزول !

من شرارها المحيل رأسي لترابٍ !

هل أفقتُ؟

من شِباك فجرها !

ومن جنون ليلها الصارخِ باللذّات.

أفيقُ من رشقةِ قضبان يدي

كبُّلت فيها، راضياً، يدي.

أسكبُ من رمادها على كؤوسي

من خواتمٍ زنَّرت السماء ذاتَ يومٍ

وحينَ، من تلاطمِ الأمواج، بلّتْ سُرَّتي

وشعرتان فوق كتفي

أطيرُ – بعد أن طارت – على تلاّتها

ماذا فعلتُ؟

أجملُ الذنوبِ

ماذا قطفتُ:

ما تهادى من عريشةٍ آفلةٍ

ألطمُ...

ليتَ ما رأيتِ – من ضربِ يدي صدري – جنوني ذهبي،

رهطَ شعوبٍ منذ دموزي وعشتار

توهمتكِ عشتار،

رهطَ تفانين سُراة الليل

يبكون على سيّدهم

يسجونَ عليهِ الوردَ والحنّاءْ.

رهطَ مغزلٍ

يتبعُ ألفَ مغزلٍ يشكّلون

جملةَ السماءْ.

ألطمُ...

ليتَ ما ضحكتِ منه أو نغزتِه

أشرقَ في عينيكِ عن شمسٍ من الشمعةِ في صدري

وعن حشدٍ من الأسرارِ

تهوي تحتَ غربالكِ

عن ليلٍ يشيخُ.. لا يليل

ألطمُ..

تعرفين كم لطمتُ في مواكب العزاء

للجمال رنَّ في دمي

وللطيوب فاحت في مفاتني

وها لطمتُ في فراشكِ

ألتقت يدي بخيلِها

وها لطمتُ في عماءِ معناكِ

استدارت السماءُ فيّ نحو أصلها

وها لطمتُ..

هل لطمتُ من شوقٍ إلى الموتِ

أم اللذُّة فاضت في دمي؟

حتى هجستُ الموتَ أحلى ما يكون

هل سيغفرُ لي الغنوصيون عبر كلّ هذا الزمان

منذ سومر حتى خزائيل أنني لطمتُ أمامَكِ

وأبحتُ أسرار عرافتي لكِ، هل سيُعيرني

أورفيوس مرةً أخرى نايَهُ بعد أن شتمتُ هذا

الناي، هل سيغفرُ لي سايمون أنني قصصتُ

أجنحتي بين يديكِ.. هل ستعذرني ملكةُ

السماءِ إنانا أنني طابقتكِ معها؟

أينَ رموزي؟

أينَ ما أدلقتُ من فحواي؟

ما فحواي !!

هاتي حفنةً منكِ.. هنا فحواي

هاتي كمشةً من ورقِ الشعرِ.. هنا فحواي

هاتي قبضةً من طينةِ الخمرِ.. هنا فحواي

هاتي شرشفاً أو قمراً أو سَهراً

أو لفتةً من بابِ سردابكِ

هاتي هملاياك

وهاتي صينكِ

هاتي السهوبَ.. الخيلَ

هاتي العشبَ

هاتي الكتبَ الضالّة

فحواي..!!

ولا فحوى سوى فحواي

سأنادي جوهر الذكون

وأمضي في جحيمي.

سأدلّ الناس بيتي

وسأحكي قصة الكنز الذي يخفيه أفلاطون أو دالي

أو العشبَ على قرية سان جون بيرس

أحكي قصةَ الشمس التي حطّت على روحي وطارت

سأنادي جوهرَ الأشياء في رامبو وفي جورج صاند

في بلاتافسكي.. وفي آخر نسلِ اليشرطيات إلى حدِّك

أتلوى مثل (أحلام) وأبكي

أتلوى مثل تاريخ من العشقِ وأبكي

أتلوى مثل دموزي وأبكي

ألأني أترعتُ كأسكِ تماماً !

ألأني سقيتُكِ حباً لم تذقه امرأة !

ألأني هيَّجت رموزَ الماضي فيكِ (فضحكتِ منها)

ألأني أحرقتُ قامتي وأضأتُكِ !

ألأني دخلتُ فيكِ وتواريتُ !

ألأني أغلقتُ شبابيكي عن سواكِ !

ألأني أرضعتكِ وجعلتُ اللبنَ غزيراً في ثدييكِ !

ألأني سادنُ العشقِ الذي ليس سواي

فوق هذي الأرضِ من يعشقَ أو يجعل

نارَ العشقِ ديناً !

ولماذا أتلهَّى بالحصى فوق سماءٍ راجفةْ؟

ولماذا هربَ المعنى وخلاَّني وحيدا ؟

مدلهماً في غباري

ومُساطاً بنجومٍ لا تُرى

أين شياهي؟

أين أكوابي؟

وأين الورد يهذي في يدي؟

أنتِ سمِّيت (المتيّمْ)

هل كذبتِ؟

أتِ سمِّيت (الذي ليس من الدنيا)

وسمِّيت (العُلى)

أين عُلاكِ؟

أينَ تاريخ هواكِ اللافحُ المجنونُ تُحصين به؟

عشاقَ أيامكِ

أينَ النارُ في موقدكِ الخابي؟

وأينَ الماءُ في بركتكِ الثكلى؟

وأينَ الجوهرُ الفاتنُ – عفواً –

أين تفصيل الذي تهوين؟

كذبٌ.. كذبٌ

أنتِ سمّيت الكذبْ.

وسألغي من تراب الأرض شيئاً أسمه نهرَكِ

ألغي منه ما طالبَ

وألغي من فصيل الطير طيراً أسمه يوسفَ

ألغي قاطعات اليد واللائي جززنَ المهج الحرّى

وألغي كلّ من قدّت بكفيها الصباحْ

وسألغي راميات الوردِ في نهر الرياحْ.

وسألغي راودتهُ التي في بيتِ هواها

ألغي البابَ إذ غُلّقت

الجملةُ في الباب (ولشو هـــ النوم)

وألغي (هيتَ لكْ)

يا قميصي...

كيف أغويتَ يديها؟

كيف هيَّجت عزيزات النساء؟

كيف ضَّللت عيون البرق.. كيفْ؟

يا قميصي...

برهةٌ ثم أراني أعصر ا لكفين

من هذا الكذب

أفتغويني إلى أقصى كهذا

ولقد أغويتُ جيشاً من نساءِ الآلهة

أفتغويني !

وقد أغويت نبلاً شقَّ صدري ونساءً من حريرِ

المطرِ المخضوبِ أشواقاً وأعلاماً وبرقاً.

أفتغويني !

وما كلّت يداي

كثرَ ترتيل وتكوير ورتقٍ وندى.

سوف ألغي كلَّ ما يربط نعلي بترابِ الأرض

فردوسٌ من الكارتون

فردوسٌ من الباغة

فردوسٌ من الغيم

سألغي كلّ ما خطّته تايكي

وسأرمي في مياه البحر تمثالَ إنانا

وسأرمي ناي بارات.. وكُتبي

وسأبقي كلمة واحدةً

(كذبْ)

حدُّثيني عن علاكِ

حدِّثيني عن سرايا كذب يبسطُ في الأرضِ خلاياه ويدبي

حدِّثيني عن تراتيب مراياكِ

التي ما أظهرت شيئاً سواكِ.

كم غرفتِ الطين؟

لا شيء سوى الطين ووحل النادبات

كم غرفتِ الآن منهنّ بلا جدوى؟

لأن الطاسَ مثقوبُ يديكِ

كم غرفتِ الآن منهن بلا جدوى؟

لأن القوسَ في كفكِ مقطوع الأغاني

كم صرختِ دون جدوى؟

كانت الريشةُ تعوي

إذن أين عُلاكِ؟

في خرومِ الورقِ المكتظّ !

في الهاتفِ لا يسكتُ !

في التفصيلِ (ما يفعلهُ الآخر) !

أينَ عُلاكِ؟

في الأعالي.. ليتها !

في صروحِ الأغنيات الكاذبة !

في دوي الهرج.. التصفيق والتدليس !

في وهم المغنين ووهم العشق !

لم تحبّي أحدا

كنتِ تحبين المرايا بين أيدهمو

كنتِ تحبين الكلامَ.. الصور.. اللمّة.

أينَ عُلاكِ؟.. أتلوّى مثل دخان وأبكي

أتلوّى مثل (كل الناس في قلبي) وأبكي

أتلوّى مثل أحلى العاشقين لأكتظّ وأبكي

أتلوّى مثل غابات من الماءِ وأنشقّ وأحكي

قبضتي في شهوةِ التاريخ تعلو

قبضتي في نزوات الماء تعلو

قبضتي في كيلوباترا

قبضتي في شمسي ولاَّدة، ليليث، سدوري، الفوز

قبضتي عندَ أناهيت

(أين أناهيت؟)

قبضتي في رفرفِ الشعرِ.. الفنون..

الفجر والخمر وأبكي

إصبعي يلمسً صمتَ الآلهة

إصبعي يُرجفها

تهتزَ من نومٍ طويلٍ.

الإلهيُّ الذي فيَّ يفور

الإلهيُّ الذي حاكَ رموزي وجنوني

وخفايا وردي السريّ

الإلهيُّ الذي ينبضُ في القاعِ وفي الماء وفي الشمس

وفي العين وفي الطير وفي النور الذي تحت الأصابع

كلُّ ما يعرفه التاريخ عن سبطِ الإلهيُّ

وفي لمسةِ ناي الفجر

وفي كحل أناهيت

وفي ضربةِ جنحِ الماء

وفي عين رضاب.

الإلهيُّ على حافةِ كأسِ الملحِ والليمون..

أين أنتِ الآن؟

في الوحشةِ !

في أقصى ثباتِ الكائن الباسلِ !

في أقصى الوضوح !

أين تقديسُكِ للغامض ؟

أين الغامضُ السريِّ ينمو في ثناياك؟

وأينَ السهرُ المجنون؟

لفحُ الفجرِ مطحوناً

فأين الفجرُ !

قمحُ الثغرِ مبلولاً

فأين الثغرُ !

أين تقديسُ الخيانات الجميلة؟

أين تقديسُ الذي همّشه التاريخ !

الأنثى، الشاعر، المجنون، الطفل، المحذوف، الغائب.

أين تقديسكِ للعصفِ الذي يُلهب روحَ الأنبياء؟

أينَ غوُّاصاتك السفلى التي تبحث؟

عن دُرٍّ ومرجان بعيداً في السماء؟

أين كلِّ الكلمات الزاهيات الرائقات الناعمات الفاتنات

أينَ وردُ الفالنتاين؟

أينهُ الوجهُ الصبوحُ !

أين أبطالُ حكاياتكِ وهماً:

بطل العطر، بطل الحياة المتخيلة،

ألم تحيي شعرَ الكائن الذي له خفةٌ

لا تحتمل

الذي كان معفراً برائحة فروج النساء

الذي كان يستحمُ وينسى شعرَه،

وكنتِ تحبين شعرَه فقط...

بذخٌ كاذبٌ في الميول الشاردة العنيفةِ المحلاّة بالخواتم المزيفة دائماً.

يا لدنياكِ التي أوهمت الدنيا

ويا للنار تخبو الآن في كفيكِ

أعيدي كرةَ النار إليّ

أرجوكِ أعيديها إليَّ

ودعيني مسدلاً قدّام أوهامي

أعيدي صولجان الغسقِ.. إيزيس تريدُ صلوجانها

أعيدي فضة الفجر.. إنانا تريدُ شهواتها

أعيدي أجنحة الضوء.. ليليث تريدُ فضتها

أعيدي تاجَ القلعة.. تايكي تريدُ تاجها

أعيدي خاتم الخيزلِ.. سدوري تريدُ خاتمها.

تحولتُ في المعابدِ والترايخ والمتاحفِ والساحاتِ

وانتزعتُ لكِ كل هذا. ولكن ماذا ستفعلين به الآن

وقد غابت شهواتكِ في الحديد؟

أعيدي الذهبَ المغشوش

سأعطيكِ الذهب الخالص مكانه

أما الذهب القشرة فأعيديه لي

لم يكن يوماً لنا ذاك الذهب

لم يكن يوماً علينا

كان موجاً هائلاً يفصله عنا

وكان الذهبُ الصافي هنا.. في دمنا

أعيدي الذهبَ المغشوش

دمعنا، أو دمنا.. لا فرقَ

آيات هوانا الغاربة

هل أُناديكِ؟

وهل من يسمعُ الآن جنوني وبكائي

غير أني كنتُ أبكي مثخناً بالحبِ

يا ليتكِ قد كنتِ معي.

تسخرينَ الآن من دمعي ومن لطمي

ومن ذبحي ومن موتي على كفيكِ !

يا الله...

كم أحتاجُ حتى أغسل هذا الماضي؟

وكم أحتاجُ كي أشفى؟

وكم أحتاج حتى أتمشى تحت شمسٍ لا تساوينا

ولا تغسلنا بالضوء في ذات الزمان.. والمكان؟

كم تُرى أحتج حتى أجمعَ المنسيّ، مجدّ القصص

الحرماء والنحلُ الذي يلسع في الصُنج؟

وكم أحتاجُ حتى أجمع القشرَ الذي خلّفه الثعبان

والأفعى؟

وكم أحتاجُ حتى أحمعَ التاريخ مفكوكاً وملثوغاً ومضني

كم ترى أحتاجُ حتى أجمع الماضي

بجبّ من ورق؟

ثم أمضي قبل نقرِ الديكِ

قبل فتح الأباجورِ

وألقيه إلى البحرِ

نعم.. تلك قمامات عذابي ونواحي.

تسخرينَ الآن من روحي!!

سأحتاج إلى ليفِ الزمانِ

كي أحكَّ النقش عن لوحي

وأرميه إلى النسيان.

أحتاجُ إلى فيضِ الزمانِ

كيف أصلي فوقَ ت ابوتِ الزمان

وأُدَلَّي قصة داميةً

فوق التي تغفو على بيرقها اليابس والمكسور

أيتها الخاتونُ

شيلي عن طريقي معطفَ الضوءِ

وشيلي ما تبقى من كؤوسٍ

شيلي الكتبَ.. الفنَ.. المشاريعَ.. المفاتيح..

دعيني أخرجُ الان إلى البحر طليقاً

(للبحر... للبحر)

كم يُناديني صوت رامبو وفوزي وطاهر والسماء

(أُخرجْ من محبسكَ)

كم ينادي صوت أحلام من الفردوس.. كم يضربُ

في أعماقي البكر وفي النبع القصيّ.

عارياً صدري من اللطم مدمّى

باكياً.. شَعري محنِّى بالفروج

واجماً.. سكران

خمري من طريقِ الحانِ

لا من سدّة الغيم وأسواق المطارات

رخيصَ الخمر من تعتيقة التمرِ

ومن دمعٍ وآلْ.

عارياً، غرَّاً، صغيراً

تحتَ أقادمي ثيابُ البهلوان

وقناني التيامارا والكنو كاندو والأوبان

عارياً، غرَّاً، صغيراً

قربَ أقدامي أنينُ امرأةٍ تشبه تلطيشاً من الصبغِ

وتهويماً من الأنثى – تيامت –

صُرَتي في المطلق

أعني

مطلقي في صُرة

أقطع تاريخي وأهذي

مطلقي في الوهج المهملِ

في هسهسة الوردِ

وفي سربٍ من الطيرِ على الهامش يحكي:

قصة الخلق

وتعليماتِ آدم

عائداً بالقصة الأولى

وتنسيمات حواء

واغواءات ليليثَ

بلا أفعى

جثةُ – تيامت – أرش في الأسفل الكونيّ تطوي بعضها

جثةُ تيامت تنتفخُ وتتضخمُ، ثم يقطعها سيفٌ من البرقِ

ليصنعَ من بطنها الأرضَ ومن ظهرها السماء

لن تنبتَ على الأرضِ البذور

قطعوا منها وعلّقوا النجوم السوداء

قطعوا منها وأسالوا نهرَ (خُبر)

قطعوا منها وحاولوا إدارة الأفلاكِ دون جدوى

تعطّل صُنعُ العالمِ لسنوات طويلة،

خرجتُ عارياً من بيتها

وكانت تيامت قد وقعت إلى الأبد

هناك... هناك في الدنى

في الأسافل.

عمّان

9/ 11/ 1997

حزيناً..عند عمود السماء

2002

لماذا هذه المعاناة؟

آه يا لهذا الكرب

إشفنا

المؤمنون محاطون بالأسى

إهدنا يا متراس

أرنا قوتكَ والوعد بالمساعدة.

من لوح أثري نادر

مكتوب بالكتابة الليبية القديمة

لموع

طول الخيط يضيّع الإبرة

من الأمثال الشعبية الليبية

لفّ جسده على قرص البندولِ بقوةٍ وتدلّى من ثقب السماء،
تحرك البندولُ بين (مساعد) و(غدامس)، هذه
أرض ليبيا تلمعُ، هذه سواحلها الخضراء تتموجُ مع بحرها
المضطرب، هذه صحراؤها الذهبية يركضُ فيها الودّان.
عكست مرآته المدنَ المهجورة القديمة ووقع ضوؤها على
عيون من كانوا يحدّقون إلى الأعلى ليروا قرص البندول،
بدأ لهم كأنه مركب الشمس أو كأنه الصقر الذي يحمل
الشمسَ من الشرقِ إلى الغرب.
تحركَ البندول بين (طبرق) و(طرابسل)، شاهد عمودَ
السماءِ بعيداً تتوّجه الغيومُ كأنه جبل قرون الأرضِ أو جبل
الحنان، كان الناسُ يحفرون الآبار ويبحثون عن الصدف،
خذلهم الماء وهامت مواشيهم على وجوهها مسَّت أصابعهُ
أصابعَ الرسومِ المحفورة على صخور جبّارين وتسيلي، كان
أشخاصُ الرسوم يريدون منه الهبوط لكن البندول دفعه
بعيداً، تحركت الفيلة والزرافات المرسومة ورفعت رأسها
إلى الأعالي تنظرُ إليه وهو يمسك بقرص البندول،
كان يريد الهبوط لكن البندول ما زال يتحرك بقوةٍ. هطلَ مطرٌ
كثيرٌ من ثقب السماس وبلَّل شعره وقميصه وسقطت منه

رموزٌ ومفاتيحٌ وألواحٌ كثيرة.

تحرك البندول بين (أم الرزم) و(بنغازي) ورأى الليبيين

يجمحون على ظهور خيولهم بثيابهم البيضاء، ورأى

التوارق ينحتون الحجر، رأى الليبيات يزرعن الندى في

الثغور ويجمعن العسلَ في الأواني، ورأى الغروب يقطر

حزناً ورأى الصيادين ينتظرون على السواحل غفلة َ المياه.

وقف قرصُ البندولِ فوق (درنة) ورأى مزارع الموز

والزهور، رأى أقواس أزقتها ومصابيح ثناياها، ورأى

أهلها يحملون مفاتيح الأندلس الحجرية على ظهورهم.،

رآها مثل قاربٍ أو تمساحٍ ينسدلُ على الساحل.

لم يستطع النزولَ لكنه شعر بجسده ينجذبُ إلى أرضها،

كاد يسقط على الأرض لكنه تحسس ريش أجنحةٍ ينبتُ

فوق ذراعيه فطار من القرص ودار دورة حولَ المدينة،

ضمّها بين جناحيه وعانقها وهبط في شلاّلها الحاني،

تساقط ريشُ أجنحتهِ حالما لامسَ الماءَ وانسابَ مع المياه

ودخل المدينة.

كانت تلمُّ الفراشات في سلّتها

أصابعها مثل ورداتٍ بيضٍ

تخفقُ حولها أعلامُ الملائكة دون أن تشعر بها

قلتُ: ما هذه الأعلامُ الخافقةُ حولكِ

قالت: كلماتي

قلتُ: ولكنكِ مخضبةً بدمٍ عاشقٍ

قالت: دمي !

قلتُ: دمُكِ ودمُ قتلاكِ

سقطت جعبةُ السهامُ من كتفها.. سقطَ درعها

النحاس، ورفعتُ منديلي وتراصفتُ عن طريقها

حيشٌ من الرغبات ينفرطُ مع عقدها

سحنت الزعفران بمسطاحِ يديها

راياتها تملأ الآفاقَ ولا تدري

أينَ طبلُ النارِ.. أينَ المزولة؟

كيف أتحدت هذه العناصرُ مع بعضها؟

كيف تراشقت الودادَ مع ضدّها؟

قلتُ: انظري إلى قتلاكِ ممدّدين على ساحل الزمان،

وانظري إلى معابدكِ العالية التي ما زالت مضيئة.

رفعت (لموع) نظارتها السوداء وصرخت:

يا إلهي.. كيفَ حصل هذا؟

قلتُ: دعيني أخبركِ إذن:

رصيعة المتاهة

في شيحا.. على طاولةٍ من الخشبِ جلسنا

كوبان من الشاهي الأخضر يبخّران وجهينا

أخرجتُ رصيعة المتاهة من جيبي ووضعتها على الطاولة

أشرتُ إلى حلزونها..

- من هنا الدخولُ.. من طبرق:

ركضت خيولٌ كميتٌ خلفَ عرباتي

وأسرني جنودٌ لم أرَ إلاّ عيونهم الصقرّية.

أصابعها من قيمر، لم أستطع الفكاك من أسرها

قرب باب طبرق الكبير وقعتُ من عربتي، وقربها

ضمّدتْ جراحي الأمطارُ، كانت السماءُ مثقوبة

وكانت الرياح تعبث بي.

تذكرينَ القصبَ المعقوف ف يكفيَّ

والنهرَ الذي مسَّ ذراعيكِ

وشمسَ اللذِّة السكرى بك

تذكرينَ الراهبَ المجنون

والغيمَ الذي في راحتيه

تذكرينَ الخادمات الحاملات المبخرة

تذكرينَ الجمرَ في عينيكِ يكوي من يراكِ

تذكرين الكتبَ الباردة الجلدِ وأيديكِ تطوفُ

كيفَ أدخلتِ مدى الشمسِ إلى مكتبةٍ هادئةٍ

يسكنُ فيها راهبٌ يبكي من الوحشةِ

يا شمعته..

يخفقُ من شوقٍ ومن حبٍّ ومن برد ويبكي

قلَّب التاريخَ في رفّ

فأصبحتِ على الرفَّ تنادينَ بعينيكِ رماده

قلَّب الأشواقَ في رفَّ.. فطرتِ

مثل عصفورة فجرٍ

ونقرتِ الرفَّ:

يا راهبُ إخلع خرقَك.

كيف أطلقتِ على (درنة) موسيقا من الوردِ

وزيِّنت يديها بالخواتم

كيف ألبستِ ذرى (درنة) تيجانكِ

فاجتاح سماها الزهوَ

وانشق بها نهرٌ أسميه: لمـــوع.

سكنَ البحرُ ولم يسكنْ لموع،

حرَّك المرسى

وساقَ السفنَ الغرقى ولم يسكن وناداني إليه.

أخذتْ الرصيعةَ ووضعتها في حقيبتها، قلتُ: هاتي خريطتي، قالت: هي خريطتي وسأدفعك ببوصلتي إلى جبالها ووهادها وسأوصلك إلى النقطة.

عمود السماء

مياه البحر الليبي خمرٌ قويةٌ

جبالُ الجنوب الليبيّ أعمدة السماء

الإلهة ذات القرنين.ز السيدة البيضاء المحفوفةُ براقصات المطر الخارجة من أوجار العطش.. الراسمةُ على الأفق خيوطاً.. تغويني، تدفع بي إلى البحرِ المالحِ كي لا أشرب ماءً.. كي أعطش مثل ملامحها.

العطشُ يكبّلني ويكبّلها

صفٌّ أشواقي يطيرُ

أمشي والمزاميرُ تخفقُ تحت رغباتي

طريقٌ كاملٌ من الأوهامِ أقطعه معكِ كلٍّ يوم

تهبطين أمامي كلّ صباح مثل الندى

كلَّ تاريخي منفرطٌ وحزينٌ بينَ يديكِ

ولا تفعلين شيئاً سوى البكاء

ما الذي يجعلني خائفاً هكذا؟

ما الذي ينبشُ سيرتي بهذا السيفِ؟

عيوني تتحلّى ببخارك

عيوني تغتسلُ، كلَّ يومٍ، بندى أصابعكِ

وأنتِ تمسحين عنهما الرماد

تتكلمينَ عن وردِ أيامكِ الذابل أمامي

وأتكلمُ عن رغباتي الصاعدة حتى العنق

أتسلقُ عمودَ السماء معك

فلا أجد سماءً ولا أجدُ أرضاً ولا أجدكِ

كلُّ شيء هنا أوهامٌ متناسلة

لا شيء سوى غرفتي التي أطحنُ بها رغباتي وأوهامي

لا شيء سوى غرفتكِ التي تسحنين بها

رغباتكِ وأوهامكِ

ألمسُكِ بعيوني فتتهيجين بأشواقٍ عارمةٍ

ألمسُكِ بإشارات يدي فتحلّقين في الآفاق

طائرةً مثل حماماتك الحزينة..

ثم تسقطين على سريركِ منهكةً باكيةً.

إسألي الشمعة

هل كان لها نبضٌ سوى نبضي

وهل كان لها نورٌ سوى شعلةِ روحي

إسألي الشمعة

هل فيها سوى شعري الذي يخفقُ بالنارِ

وهل فيها سواكِ

من تُرى يبقى إلى آخرةِ الليل ينوحُ

غير هذا العاشق الملتاع

غير الكلمات الصامتة

فَرحٌ.. لا، ساهمٌ.. لا، متعبٌ..لا

أنتِ في روحي تغنين وأُذني مُنصتةْ

إسألي الشمعة

حاكيها.. اشعلي الجذورة

روحي خافتةْ.

لماذا ؟

لماذا أنتِ بكلّ هذا الجمال؟

لماذا أنتِ مدونةٌ في قلبي بكلّ هذا الوضوح؟

يقيناً.. أنكِ كنتِ قطعةً مني

يقيناً.. أنني كنتُ قطعةً منكِ

يقيناً.. أني كنتُ منذوراً لكِ قبل أن أراكِ

يقيناً.ز أن السماء كانت تعدني بكِ

ويقيناً.. أن أعمدة السماء، كلِّها، تبعدك عني

ويقيناً.. أن أهل الأقواس يخبأونكِ دون جدوى

ولكن لماذا أنتِ بكل هذا الجمال؟

تعالي يا لموع

تعالي يا لموعُ انظري كوبي

الذي أ×ذتهُ من أرش مكسوراً واملأيه بخمركِ

تعالي اجبري جناحي المكسور

عندما ألقت بي أناهيت إلى الهاويةِ

تعالي اخرجيني من الحفراتِ السبع

التي رمتني بها سدوري

تعالي أوقفي عدوي كحصانٍ لا يتوقفُ

حيثُ سحرتني ليليث

تعالي روِّقي مائي المخلوطَ بالترابِ

تعالي أوقفي نحرَ جدائي ونثرَ طحيني

وما نذرته لمعبدِ بارات

تعالي أعيديني من الذئاب

حيث مسختني تايكي

تعالي وردِّيني من وسط الغابات

حتى أعيدَ مائدةً أُمي العامرة

تعالي يا لموع وانفضي هذه الشبكة

من النجوم السوداء الميتة في قلبي

تعالي وأعيدي اللمعة لعيوني.

ويلي

أحسبُ الماءَ خموراً

وأغني فرطَ عشقٍ فاتكٍ: ويلي و ويلي

أحسبُ الأشياءَ طيناً

فأسويها على هيئةِ تمثالكِ

أرمي لغتي في الماء

ترتدُّ إليَّك: جيش شمعٍ مشرقٍ

أصرخُ: ويلي.

أغمضتُ عيني وتأملتكِ

أغمضتُ عيني وتأملتُكِ

رأيتكِ تمسحين دموعكِ

رأيتُكِ تمشِّطين شعرك

رأيتُكِ تغسَّلين جسدكِ

رأيتكِ تتعطرينَ

رأيتكِ تتذكريني

رأيتكِ تنظرين حولكِ

كأنكِ كنتِ تشعرين أن هناكَ من يراكِ،

فتحتُ عينيّ.

برق

تخفقينَ الآن في روحي كطيرٍ

وتلمَّين زهوري فوق كفِّيك

تلمَّين الحصى والعشبَ

ما زال الندى فوق شفاهي

قطرُ ذاك البرق في الساحلِ

قطرُ الوردِ في ضحكتكِ الحلوة

قطرُ الشمسِ في أحلى مساء

تخفقينَ الآن في روحي

تلمَّين القواقع

وأنا أخفقُ كالموجةِ

في بحرِ يديكِ.

كم أخذتْ !!

أخذت من نهرها حفنةَ ماءٍ

ثم رشتّتْهُ على جُثّةِ تاريخي

فقمتُ

حيثُ قامَ الزرعُ طولي

ثم قامت قبّةٌ من رشقات الماسِ

قامت شهوةُ النارِ

وقامت في سيولي

أخذتْ من شعرها العطرَ ورشّتني به

قامت خيولي

أخذتْ من فمها الضحكة رشّتني بها

زالَ ضبابي

وتعرى عن جناحين من الدمعِ وطار

أخذتْ من وجهها اللمعةَ، لاحتني بها

ضاع ظلامي

أخذتْ من يدِها الخاتمَ ألقتهُ إليّ

قامت كنوزي

أخذتْ من عينها البرقَ وألقتني به

هزَّ جذوري

يا لها باعثةُ الفضةِ في الجمرةِ

والوردةِ في الصخرِ... وقلبي

قصاصات دموع

يا إلهي...
كنتِ تمضين إلى أقصى الينابيع

وكانَ الطيرُ يُلقي حكمةً خلفَ سراياكِ

لماذا أنتِ في أقصى جنوني؟

وأنا أشهقُ في أقصاكِ

وردي وشموعي والبراكين التي أحملها

كيف أسمِّي شفتيك

وأسمِّي خمرة الشمس على غصنكِ نهري

يا إلهي...

كلُّ يومٍ أتقي برقَكِ

برقَ الجسدِ الصاعقِ والباشقِ والناطقِ

برقَ الوردتين

كلَّ يومٍ أتقي فأسكِ

يا ربُّ أعنَّي:

أتقّي ماذا؟

أ عينيكِ **!!**

وفي شمسهما كنتُ أغوص

أتقِّي شعرك !

في منجمهِ ألقي سلاحي

أتقّي ماذا ؟

يديكِ البحرَ !

أم زورقَ أحلامكِ في روحي يهيمُ !

أتقِّي نهديك !

عصفكِ.. أسطولكِ.. معناكِ

إلهي...

كيف أعطيتَ لها قلباً من البلَّورِ منحوتاً؟

وأعطيت لقلبي برقَهُ

كيفَ ألقيتَ بروحي كلِّ هذي الفتنة المشتعلةْ؟

كيف أيقظت دمي؟

دُفتُ لساني باسمها؟

كيف قوّست سمائي؟

وهي لا تعرف، مثل القوس، ما معنى جهاتي

كيف أسدلتَ..؟

أسمَّي يدها تُلقي لكفيِّ قصاصات دموعِ الليل

والحسرةِ والشهوةِ والشوقِ وغيمي

وأنا أبكي وتبكي معي الأرضُ

وتبكي عشبةٌ في آخر الليلِ

وفجرٌ يلمسُ العينين من حمّى

وتبكي...

لهبُها فوق المياه

لم يكن، في معبدِ الضوءِ، سوى خاتمها

يسقي الشموعَ

لم يكن غيرُ صباها

راقصاً ملتهباً فوق المياهِ

شعلةٌ زرقاء أو بيضاء تعلو

وأنا أنظرُ هذا اللهبَ المشبوبَ

أنثى الساحل الممتدّ

تلهو بالمزامير وبالعشبِ وقلبي

ويهيمُ البحرُ في نيرانها

تعلو وتدنو.

طوقُ الحمام

مدّ كفيّه إلى سلّتها: منز نجومٍ.

يُدها تنبضُ بالحبّ

وعيناها سماءٌ صافيةْ

مدّ كفّيه إلى أعماقها : منجم ماسٍ.

ما الذي يفضحُ عينيها؟

وماذا في مساها؟

كانا يخلطان على الساحلِ يديهما، وكانا
يزرعان المحارَ والحصى، كيمياءُ البحرِ تعلو
وتشتدُّ زرقة المياه ويعلو زبَدَهُ، وكانت الطيورُ
تصفُّق والمرايا تتناسلُ.
ما هذه الفتنةُ التي يتوضأُ بها وأيٍّ عذاب هذا
الذي يصلّي به.

انطرحت على الساحلِ تغسلُ عيونها بهِ وتقرأُ السحرَ

والأعاجيب على الخليقةِ.. كيف خرجَ لها هذا

العاشقُ من بين الكتبِ ورشقَ النهارَ بالليل ورشقَ

قامتها با لوردِ؟ كيف خلَطَ معدنها بالكلمات؟

وكيفَ بخَّرَ عيونها بالخضاب؟

انطرحت على الساحلِ فصاحت الخلائقُ

كفى.. سنموت، أيِّ جمال هذا؟

تعرُّى الناس وركضوا هائمين باتجاه معابدِ أبولو

الغاطسةِ في البحرِ، وفي ثنايا المحاريب المحطمة فرطَ

جمالها الفريد، ما الذي يفعلهُ الناسُ سوى الركضِ

وهم عراةٌ يلهجون باسمها

باسمها كانت تلمَّ النار في البحر

وكانت تتعرى

ما الذي يفعله الناس سوى

الموتِ على ركبتها

أشهدَ أنَّ الناسَ ماتوا

وبقايا سفنِ الإغريق ظلِّت في العراء

باسمها أشهدُ أن الأرضَ حنّت يدّها

والكونُ صلّى

لجلال امرأةٍ تنبضُ بالضوء

وأن الناسَ قاموا

بعد تلويحةِ كفيها وطاروا

مدّ كفيه إلى جرٌتها: كأس من الغيمِ

وتأريخٌ من الشهد

وأطواقُ حمام – إسمُهُ –

تختار طوقاً واحداً يبرمهُ الخزعلُ

يحتارُ به الناس، اسمعوها !!

أوقدت شمعتها في البحر

رفُّ البحر والتفِّ على غصن يديها

هذه القورنيةُ البيضاء صاحت بالزمان

عُدْ إلى فيضكَ واتبعني

فهل يتبعها !!

شتلتْ معبدها في ساحلِ البحر ونادتها الطيورُ

أوقدتْ شمعتها

والناسُ من سُكرٍ يغنونَ: أَغَّنا يا إلهي.

عدْ إلى فيضكَ وابتعني هناك

حشدُ حورياتها يلقينَ للأرضِ النجوم

طلعُها يعمي العيون.

وأنا والناسُ، من سكرٍ، نغني:

ظهرتْ مريم

ظهرَ جيشٌ من الملائكةِ يُسبُّح

في شلالات درنه، ويهيم على الفتائح

ظهرت أعنابها وأرجوانها في (شارع البحر)

وظهرت علامات على شيحة من أطواقها

كانت نجومٌ تتحنى بلموع.

كانت الدنيا تصبُّ الآن في جذوتها

هذي المسرّات، وكانت،

موجةً في إثر موجة،

ترتوي من غسقِ البحر ومن شمسٍ نحيلهْ.

عندما غنَّت

صرخت بي: إنتظرْ حتى أغني.

جملةُ النارِ التي في فمها تُلقي على شمعي قناديلَ سماءٍ،

ومساءُ الهمسِ يكتظُّ بدمع وبموسيقا، أزيحي الغبش

الدريِّ عن صوتك، قُدَّي ثوبي الخافق من دُبرٍ ومن قُبلٍ

وغنّي في شفاهي.

جملةُ النار التي في فمها تعجبني

طيناً وفخاراً وأنجرُّ لبركانِ يديها

إنفخي في صورتي ثانيةً

علّيْ أكونُ

لمعةً من لمعاتِ الضوء فيكِ.

إنفخي في حَجَري

أهوى بأن أنبضَ في نهرِ يديكِ

إنفخي في طينتي

أهوى بأن أدخلَ آباراً من العشقِ إليكِ.

- إنتظرْ حتى أغني !

ومتى سوف تغنينَ

وقد جفّت لك الأنهارُ

مات الناسُ عطشى؟

- إنتظرْ بعضاً من الوقت !

متى سيدة الساحل؟

هل كان لنا نائٌ سواكِ

- حسناً.. سوف أغني.

حين غنت...

غابت الدنيا بنا

طاحَ من الشمسِ زجاجٌ

وطفا في البحرِ مرجانٌ غريبٌ

فجمعناه على راحتنا..

كان الغناءُ

يومَ حشرِ الكائنات،

ونحتنا صوَتَكِ الساهمَ في معبدنا

رشقةَ أمواجٍ، رموزاً من عذابٍ

ووضعنا تحته

بعضَ زجاجِ الشمسِ والمرجانِ

حنَّينا به قحط ليالينا وهِمنا.

افتحي بيوت النساء

كان جوادُها يعدو من ساحلِ درنةَ إلى ساحل سوسة

وهي تلمُّ في حقيبتها الجبالَ والرجالَ اللاهثين وراء

شموعها، وكانت تنفجرُ ضحكاً ومرحاً وتقطفُ

الطيورَ من السماء.. والعيون من الرجال اللاهثين.

كانت تهيُّج الطبيعة ببياضِ ساقها وتجعلُ النحلَ يدوخ

من رشقةِ نار كتفيها.

ما الذي يجري؟.. كانت تهدُّ أسوارَ المدنِ القديمة

وتبني من أنفاسها ستائرَ النورِ وتُشيعُ في الناس الرغبة

في الجنون.

تعالي ظبيةَ الساحلِ في قلبي

تعالي فتشي عن قصركِ المفقود في هدبي

تعالي با لموعَ الأرضِ والنفّي على دربي

وصُبَّي الماء في كأسي وانصبي:

عالي وافتحي بيوت النساء اللائي رحلنَ من

حياتي، غيمةُ الموسيقا تهبطُ في سلَّتها وتنام.

لماذا تتقاطع الأيدي في تصافحٍ وعراكٍ، تأملي

في صورهنَّ وحقائبهنَّ ومكحلاتهنَّ وقمصانهنَّ،

تأملي في ما رتكته من الخواتم والقلائد

وتأملي في عرباتهنَّ الواقفة حتى هذا اليوم مع

خيولٍ كبيرة، تعالي انظري إلى أمشاطهنَّ

وعلب العطور والميكاج.

رطانةُ الرعدِ ولغطَ الأمواجِ تحولُ دون فهم اللغة

السريُّة التي تحفل بها الطبيعة، لغةٌ تترك آثارها

على ظهرها وأفخاذها وأظافرها ولكننا لا ننتبه !

تعالي نفتحُ بيتَ أسرارِكِ بعد أن تجمعي آثارهنَّ

وتنثري رمادهنَّ على مياهِ بحركِ الكبير.

طوق و لموع

هي بعضي، وأنا منها ومن ماءِ يديها

تطلعُ الآن لموع

أجملُ الشمعاتِ في روحي

وأزكى وردةٍ في الأرض

ماذا بيميني؟ غير هذا الوجع القاتل

لا أعرفُ من أين؟

إلى أين يجلّيني؟

ولا أعرفُ هل يفتكُ بي؟

ليتُه يفتكَ بي

أنتِ من عذَّب تاريخ الجمال

أنتِ من لوّح للدنيا بعينين ترقّان بنور

وتغيبان همسٍ

ليتهُ يُشعلُ أو أُشعلُ

ماذا بيميني؟ غير عمثالكِ ألقيه إلى الماء

فيرتدُّ إليّ.

إسألي درنةَ.. آلافٌ من الأحجار ألقيتُ إلى ساحلها

كي تظهري في الغسقِ الأحمر.. تستلقي بمائي

إسألي درنةَ كم بخُّرت

كم رتُّلت

كم رَقُّيت

لكنكِ غبتِ

إسألي درنةَ كم ضاعَ بها غصنُ كلامي

حفنةٌ من حجرِ الفخُّار، نجوم، صدفٌ، ماسُ

وكان البحرُ محموماً

وكانت يدُنا تنسلُ أسماكاً ووردأ وغيوماً

تذكرين الآن !

كفي لامست كفّك في الماء

فطارت في دمي ألفُ فراشهْ

تذكرينَ الآن !

أقدامُكِ تبكي وتُغني

وهي في الرملِ تغوصُ

وأنا أحملُ تمثالكِ، من خوفٍ، وأعدو

أقلبُ الدنيا على سافلها.

افخاذكِ في الرملِ تغوصُ

أضربُ الريحَ برمحٍ

القرابينُ من الجنّ ومن قطعان تانيت

أحنّي دمها فيك وأبكي..

لا تغوصي

أرتفعَ البحرُ ولم تظهر لموع

ليتني أطعنُ ذاك البحرُ سكراناً بكفيَّ وأشهقْ

ليتني أدفع أسطولاً من الجندِ، غفى تحت يدينا،

نحو عينِ البحرِ

في خرزته، دمعُ يديه اندفعَ الآن إلى مريضنا.

أينَ قفلُ البحرِ أينَ كبدُه؟

أينَ تاريخُ هواي؟

كان تاريخُ مسلاتي يخبو

كانت الأشباحُ تعلو

ولموعُ استسلمت للرملِ

كنّا نتحلى بالشموع

ولموعُ تتحلى بالبراكين التي فيّ

وتُحييني كطوقٍ في يديها.. وتغوصُ

ويغوصُ الليلُ في الرملِ وفي الما ء

ولا شيء سوى كفي والرمل

ولا شيء سوى لمعةِ ضوءٍ.. وسكونْ

عربات كيلوباترا

لا ترم الطائر في السماء

بطائر في يدك

ستخسر الاثنين

مثل شعبي تارقي

السماءُ والنجومُ شيخٌ يغربلُ البرقوق

سقط البرقوق على الأرض وأنبتَ الناسَ، ظهرَ الناسُ
من صلبِ الأشجار وانحدروا في الوديان والجبال.
ماذا يتبع هذه القصة المؤلمة للخليقة سوى العطش،
كانت الغابات تجفَ والناس يزدادون نحافةً، جففت
الريحُ الجنوبية صهاريج المياه فجرّدوا رماحهم وقاتلوا
أشباحَ المطرِ لعلَّها تقطر دماً، تساقط (البسولي) في
طرق النسيان ولفَّتهم الرياح. كانت عربات الحديدِ
والخشبِ تسحبُ آخر ضحايا الغروب، تسلّقت
الأفاعي عمودَ السماءِ لكنها تساقطت واحدةً بعد
الأخرى، قرّبت الأم البسولية طفلها من الثعبان كي
يلدغه.. رمز الصداقة واختيار أصالة الجذور.

الدلو

طفلٌ لا يخاف الظلام

نزلتُ في ظلامِ أيامك وكنتُ خائفاً.. كيف أكون

مهندساً ماهراً في حلكةِ هذه الطبقات، من سيطرُّز

معنى رموز الكهانة والعشقِ على أحجار هذه البئر

العميقة . كيلوباترا ممدةً في قاعِ البئر تمسكُ صولجانها

وعصاها، ويداها متصالبتان والنورُ يخرجُ من عظامها.

فراشاتُكِ تلتصقُ على التماثيل وغيومكِ تبرعمُ الآفاق

وأنا أجففُ السواقي لكِ وأحرقُ أعواد الزعفران

تجتمعين في أطرافي

وأتفرقُ في أطرافكِ

معي كلِّ هذه الأقفال ولا أستطيع حبس يدك

معي كلِّ هذه الأقفال لكنك تصنعين أصابعي كلّ دقيقة

وتحركينها مثل الأفاعي. تتركين على قمصاني طلعَكِ

وتهربين بين الطالبات، تنثرين البذور هذه إماراتُ

خليقةٍ جديدة لكنكِ لا تعبأين.

نومٌ كاذبٌ لكلبٍ صغير

عيون المحبين ترى بعضها حتى بألفِ حارسٍ

كانت الأيامُ مثل أقواس السهام الضاربةِ، الأيام التي

مرت والتي لم تمر، ماذا أفعلُ بشوقي لكِ؟ ماذا أفعلُ

بحرارتي تندفعُ باتجاهكِ؟ ولكن أين أنتِ؟.. في المطبخِ

في السرير.. في نهارٍ مملٍّ.. في ليل ثقيلٍ.. أين أنتِ؟

فتحتْ غطاء البئر ورأت صورتها بعيدة على الماء

كيلوتاترا ما زالت ممدةً يشعُّ من عظامها الضوء

كانت تدير رأسها في أكثر من اتجاهٍ لكي ترى كيلوتاترا

جيداً.. سحرُ الخرافةِ وسحرُ الصحراءِ وسحرُ الآبارِ

الليبية.. ماذا هناك سوى عمود السماء الذي أدور

حوله بلا نهاية.

ألقتْ الزهورَ إلى قعرِ البشرِ لعلُّها تسمع شيئاً لكنها لم

تسمع. نزعت ملابسها ونزلت إلى البئرِ

كانت كيلوتاترا ممدَّدة تنتظرُ هبوطَ طائر الــ(با) إليها

وصلت إلى المياه وغطست فيها فخرجت امرأةً واحدةً

وتسلقت أحجار البئر كأفعى.

وصلتْ إلى حافةِ البئرِ وطلعتْ كيلوباترا تنفضُ الماءَ عن

جسدها.. مسحت نهودها وأردافها بثياب العبيرِ

ورفعت الثيابَ إلى الأعلى ولبستها وانحدرت نحو درنة.

هدية الغريب

مفتاحٌ من الحجر

أعرفُ أن هذا المفتاح ا لحجريُّ لا يفتح أبوابَ البيوت،

ولكن خذيه لعلَّه يفتح أبواب التاريخ.. بالأممس

صعدتُ إلى السماءِ، ورأيتكِ من هناك تتنشفين تحت

الشمس، وتعطِّرين مفاتنك، ورأيت الملائكة تغسلُ

جسدِ، وكانت عرباتكِ تنتظرُ لتحملكِ إلى مدينة

على البحر تفيضُ بالحسرات والألم.. كان أهلها

يُخطفون ولا يعودون.

أعرف أن هذا المفتاح الحجري لا يفتح إلاّ الزمان

القصيِّ ولكن خذيه لعلك تعرفين أطواري وأطواركِ.

لعلكِ كنتِ، في أيامي الماضية، مختبئةً خلف نافذةٍ

تنظرين إلى حياتي العاصفة وتضحكين.

واليوم سأصنع لكِ التماثيل في شعاب جسدي وفي

والمعابد وعلى ضفاف البحرِ، أنا الذي سأصنعها بيديّ،

وكلَّ ما عليكِ هو المرور قربها ولمسها بيديكِ

ملامحكِ تتضحُ.. وهيئتكِ تظهرُ

أعرفكِ عندما تمشين من بعيد

أعرفُ خطواتكِ الهادئة

أعرفُ قفازكِ الأسود

أعرفُ كلامكِ السريع

أعرفُ ارتباكَ عينيكِ

أعرفُ أساطيركِ التي تهطلُ فجأةً في عينيّ

أعرفُ الوردَ الذي يتساقطُ منكِ

أعرفُ الطيورَ التي تطيرُ منكِ

أعرفُ كل هذا

ولا أعرفُ لماذا أحبكِ.

أجسادهم مطليةٌ بالقرمزِ

وأرواحهم بالنور

لكن جسدكِ مطليٌّ بالعبير

صورتكِ على صلاَّية النسور تطعمينها السماء والذهبَ

أنتِ بُّراقة زجاجيةٌ ومثل قرص شمسي يلمع، لعلك

المحنّاة بالنبيذ العنبي الأحمر. لعلك المشرّبة بالدموع

العاشقة لعلكِ الشاردة القوام.

وشمٌ على يديكِ مثل سنبلةٍ

وشمٌ على بطنكِ مثل سلسلة من النجوم

وشمٌ على كتفكِ مثل خرز أزرق

وشمٌ على قدميكِ من حناء يأسر الطيور

تمشين مثل زرافةٍ وتجذبين إليكِ الندى،

أشكالُ وشمكِ تعيد ترتيب الطبيعة

كان الملائكة تبكي، كأن الخل في أغلالها تبكي

لا أستطيعُ الموت ولا أستطيعُ رفعَ فنجانِ قهوة

ولا أستطيعُ نسيانَ جسدكِ

تمشين وتهطلين

لماذا مطركِ بهذه الغزارة ؟

لماذا تختارين الثغورَ والمدنَ العتيقة ؟

لا حزن مثل شعركِ

لا حزن مثل أصابعكِ

مرة قذفتُ نفسي في الصهيل

ومرةً في بركانِ الوردِ

ومرةً في يديكِ

آهٍ منهما.. لم أستطع غسل حزنهما الطويل.

مهما كانت يقظتك

لا بد من الخسارة في البلاد الغريبة

خطفت أمامي عرباتكِ يا كيلوتاترا ولم يبقَ سوى الغبار

ماذا سأفعل بالغبار وبأشواقي.. أتراني على وهمٍ

ما معنى كلّ هذه الأيام

وأنا أدوّن تاريخ الآلهة

ما معنى أن أرى في المرآة نسلي القديم

ما معنى هذا الضوء يسمل عيوني

ما معنى أن أكون هنا.. وتكونين هناك.

خسارتي مضاعفةٌ وأنا أتصلُ بأشباحَ الماضي

لم يعد هناك ما يغري

حقيبة سوداء هي كلّ ما خرجت به من بلادي

بكت على آلامي الطيور

كنتُ أخيطُ جراحاتي وأتقلب وحيداً

ليس معي سوى أشباح التاريخ تلعب

ولا أستطيعُ ملاعبتها

لماذا تدفع بي خارج الأسوار؟

لماذا تغلق الباب بوجهي؟

لماذا يحترقُ الخشب في بيتي؟

شَغرغَمْ

شَغرغَمْ

أصابعنا من التراب

- طار الحمام

كلنا رفعنا الأيدي إلى الأعلى

- طار الجمل

رفعتُ يدي لوحدي

أخرجني الحكم من اللعبة وضحكوا عليَّ

لا بد أن أخرج لأني دائماً كنتُ أرى الجملَ يطيرَ

أين شاغال الذي يدركُ معنى أن يطيرَ الجمل

لا أحد معي سواي

كم مرة أبكي خيالي وأبكي مصيري !

كم مرة أضيع في بلاد الشغَرغَمْ !

لا بد من الخسارة في البلاد الغريبة

أدفع صندوقي إلى (سوق الظلام) كي أحملُ أطواق

وأثواب كيلوتاتترا التي تدخل عرباتها السوق قبل أن

يجيء الفجر، لا أحد سوى القطط، تهبط في خرافة

الزمان قبل أن يحترق الزمان

يدي التي تضيء السوق ترفعُ الوداعَ

كانت الأيام مثل شرقنات دودةِ القزُّ وكان الوقت

يغلبني فلا أزول.

ماذا دهاني أيتها البروق

هذه المرأة تقفُ وتسدُ قوسَ السماء على يديها

المرأةُ الباسلة مثل الريح ومثل الجبال

هذه المرأةٌ التي تتزينُ لأجلي كلّ يوم

والتي تلفُّ علبها ملاءة النورِ

والتي تعتني بإخفاء شوقها الجارف عند طرفي شفتيها

هذه المرأةُ التي توسَّع من حدقتها لتخفيني فيها

التي تطلُّ على مشهدِ عواطفها الذبيحة كلٍّ يوم

التي تسقيني المطرَ وهي تبكي

التي يتحطمُ القمرُ نهاية كل شهرٍ لأجلها

المرأةُ التي نثرت كلّ هذه البذور

هذه المرأة تنبضُ الآن في شتاء الأيام

وفي شوارع المدينة وفي أنفاسي

القدرُ يخمَّر

والموتُ يشربُ

أركضُ في الشوارع الخالية من الحبّ

أركضُ حول عمود السماء

دون أن اعثرَ على السماء أو الأرض

مائدتي ذَبُلت وثيابي فقدت أصباغها

شعري أصبحَ رمادياً ودوخاتي كثرت

ماذا جنيتُ سوى الحب؟

ماذا قلتُ سوى الشعرَ؟

سقطت كيلوباترا من عربتها بعد أن عضَّها الثعبان

المخبأُ في سلُّة التين، صرخت عبثاً في شوارع درنة

أنادي واحداً من (البسولي) كي ينقذها من السمّ

كانوا قد انقرضوا جميعاً

اغنحنيتُ على جسدِ كيلوباترا ألفّه بعباءتها

وأضعه على العربات التي ساطتها الرياح

بعيداً.. بعيداً.

قبل تلويحة الوداع

يبدو وعيدُكِ قبل وعدكْ   ويحولُ منعكَ دون رفدِكْ

ويزور طيفُكَ في الكرى   فبحمدِ طيفكَ لا بحمدِكْ

بدر التمام بنت محمد عبد الوهاب

أنتِ بحاجةٍ لألفِ شاعرٍ لرسم حضوركِ

أنتِ بحاجة لشاعر يكتبُ عن فَمِكِ فقط

ولشاعرٍ يكتبُ عن مشيتكِ

ولشاعرٍ يكتبُ عن النجوم التي تتطاير منكِ

ولشاعرٍ يكتبُ عن صوتكِ الناعم

ولشاعرٍ يكتبُ عن الوردِ الذي يسقطُ منكِ

حين تخطرين

ولشاعرٍ يكتبُ عن الشموع التي تشتعلُ حين تضحكين

ولشاعرٍ يكتبُ عن رغباتكِ الممدَّدة بهدوء في داخلك

ولشاعرٍ يكتبُ عن الخيولِ التي تحملك كلَّ يوم

وتُبعدكِ عني

ولشاعرٍ... ولشاعرٍ

أنتِ بحاجةٍ لدولةٍ من الشعراء

لا لشاعرٍ غريبٍ وحزينٍ مثلي.

2

أينَ ماءُ أصابعكِ

عندما سافحني آخر مرةٍ؟

كان يبلُّ قلبي

كان يبلُّ ليلي

وكان يفيضث على أوراقي

أينَ ماءُ أصابعكِ ؟

3

إنه نوعٌ من العذابِ

وذلك الذي بدأ يظهرُ بيننا

لكنه عذابٌ غيرُ مهلكٍ

بل هو عذابُ النارِ التي تصنعُ الطعام

وعذابُ الصبرِ الذي يدفعهُ الإيمان

وعذابُ السهرَ على تطريزٍ جميل

وعذابُ الألم الذي يورُّد الحواسَ

إنه العذابُ الجميل

العذابُ الذي نحنُ بحاجةٍ إليه دائماً

4

تهيمُ تانيت على وجهها

أقدامُها حافيةٌ في صحراءٍ لا نهاية لها

الرمالُ تمزقُ ثوبها

قِربَتها تقطرُ منها المياه

- أين أجدكَ يا أتلانت وسط بحارِ الرمالِ هذه

العطشُ فتكَ بجنودي

الطيور فرّت من صحبتي

أين أنتَ يا أتلانت ؟

5

أنفخي على جروحي القديمة.. وسأُشفى

إنفخي على جرحِ أناهيت

إنفخي على جرحِ سدوري

إنفخي على جرحِ تايكي

أما خدشُكِ فعمّقيه بسكّينك

وانفخي عليه وأجعليه يتفتحُ

6

مع أنكِ هادئةٌ

لكنَّ لمشيتكِ دويٌّ كالزلزال في داخلي

مع أنكِ مبتسمةٌ

لكن لحزنكِ ريحٌ عاتيةٌ

مع أنكِ حالمةٌ

لكن الشمسَ تمشي مثل كلبٍ عند قدميكِ

مع أنكِ وديعةٌ

لكنَّ لبوةً متجهمةٌ ترافقكِ

مع أنكِ عذبةٌ

لكن مرارةٌ تتركيها خلفك في دي.

7

يتساقط ورقي

يتساقط ورق أتلانت

وأتلانت يجرُّ شبكته الفارغة حول عمودِ السماء

تتساقط ثماره.. تتساقط جمراته

لحيته تطول

وجدائله تتجعّد على متونه

يده الآن في جيبٍ مثقوبٍ

أغنامه فرَّت منه

وقصبهُ تحطّم

ولم يعد في رأسه سوى الوجيج.

8

أحبُّ الأغاني الحزينة

تُذكرني بكِ

أحبُّ الألم الذي فيها

يجعلني أتحسس المسافة التي بيننا

المسافة التي صُنعت من فولاذٍ

أحبُّ الأغاني الحزينة

تجعلني أفكر بكِ

أحبُّ بكاءَ المغني

لأنه يشبه بكائي

أحبُّ يأسَ المغني

لأنه يجعلني استحضرُ بقوةٍ رحيلنا المحتوم

أحبُّ الناي الشاحبَ في الأغاني

لأنه يذكِّرني بشفتيك

أحبُّ الكمان المقطوعَ الأوتار

لأنه يذكِّرني بقلبك الموجوع

أحبُّ الأغاني الحزينة

لأنها تجعلني امتلأُ بكِ.

9

تصرخُ تانيت

ويسقطُ رطبٌ من أطرافها

إبنة القمرِ التي تقطرُ الضوءَ في الليل

تقطع من جسدها وتُطعمُ النساء

لا شيء سوى الرملِ وبوصلة تتحركُ في كلّ الاتجاهات

لا شيء سوى النارِ

تخضُّب أصابع تانيت

وعيونها التي تبحث في الآفاق.

10

أنا بحاجةٍ لمن يحبني مجدداً

أنا بحاجةٍ لروحٍ جديدة تسري في أغنياتي

أنا بحاجةٍ لمطرٍ جديدٍ يملُ عظامي

أنا بحاجةٍ ليدٍ ترفعني من بركةِ أحزاني

أنا بحاجةٍ لضوءٍ جديد يشرخُ حياتي

أنا بحاجة لنارٍ جديدةٍ تحرقُ الطحالب

التي علقت في قلبي

أنا بحاجةٍ لزهورٍ جديدة بين أصابعي

أنا بحاجةٍ

أنا بحاجةٍ لمن يحبني مجدداً.

11

لستُ بعيداً عنكِ

لماذا تبحثين في كل مكانٍ عني؟

أنا قربكِ..

بين يديكِ وتحت قميصكِ

وفي خاتمكِ

وفي أزراركِ

وعلى حافة كوب الشاهي الذي تشربين

وعلى أوراقكِ

لماذا لا تنتبهين إليّ وأنا ألوِّح لكِ؟

12

فضةُ جلدكِ حكرٌ على الفضّة

كيف أفصلها من عائلة المعادن

فضةُ جلدكِ حكرٌ على الهواء

متى أفتحُ نفقاً إليها

فضةُ جلدكِ حكرٌ على العيون

متى أراها بيدي

فضةُ جلدِ حكرٌ على الليل

متى يطلع الفجرُ يا تانيت

فضةُ جلدكِ حكرٌ على الماء

متى أستحمُ بها

فضةُ جلدكِ أقوى من رغباتي

لأنها فضةٌ فعلاً.

13

أنتِ لا تتقدمين خطوةً واضحة باتجاهي

أنتِ تدورين حولَ عمود السماء بعكس دوراتي

يا إلهي..

ما الذي جرى لكِ

عادات العمل والطعام والنوم تسحقكِ

وتجعلكِ تدورين

أينَ عادات الحب الجميلة المدهشة

أنتِ تنظرين إلى قفصي دون حراكِ

أنتِ تسمعين أنين العصفور وتحسبينه تغريداً

لقد اكتفيتِ بالصمتِ

وبالرضا أحياناً

وبالابتسام أحياناً أخرى

14

أصبحَ انتظاري لرؤيتكِ نوعاً من الوعدِ بالأملِ

أنبضُ بقوةٍ عندما أراكِ

أشعرُ أن الهواء ينشقُّ بسيفكِ

وأن السوادَ يلقي بظلاله على الآخرين من حولكِ

بينما أنتِ تزدادين ألقاً

أشعر أنكِ تمطرين

بينما يتصحرُ الآخرون

أشعرُ أنكِ تتدفقين

بينما يسكنُ الآخرون

أصبح انتظاري لكِ

انتظاراً للحياة.

15

ستصلين إلى إيراسا

ستذهب العرباتُ بكِ إلى شلالها الحاني

أما أنا فما زلت أدور حول عمود السماء

في (تارسو موسى)

كم من المسافات بيننا

كم من الهروج الأسود

كم من الواوات

كم من الحمّادات

لماذا دفنتِ أتلانت في البئر ومضيتِ؟

لماذا وضعتِ على حافة البئر النخلة علامةً؟

لماذا تركتني أدور في دولاب لا نهاية له؟

لماذا.. لماذا؟

16

هكذا بمهارة الصيّادة

انتشلتِ الكثي من لحظاتي العابرة ومضيتِ

هكذا حولتِها إلى زمن أبدي

هكذا انتشر طلعكِ عليها

هكذا شحنتِ غيومها ببرقكِ

هكذا بمهارة الصيّادة

اصطدتِ من حاول اصطيادكِ.

17

لسنواتٍ طويلةٍ

لم يهبطُ الندى على قلبي

لسنواتٍ طويلةٍ

لم تتشربُ عروقي بهذا الخدر اللذيذ

الجدران تخاطبني بكِ

الشوارعُ تهمسُ باسمكِ

ملابسي تتحدثُ عنكِ

لسنواتٍ طويلة ٍكنتُ ملقىً

بين الجدران والشوارع والملابس

دون هذا الندى

الندى الذي يلامسُ قلبي.

18

ابتسمي الآن

لطالما كانت ابتسامتكِ فجراً ليومي

ابتسمي الان

لطالما محت ابتسامتكِ أحزاني

ابتسمي الان

فلعلكِ عندما تبتسمين

تمسكُ شفاهكِ عيوني

وهكذا أكون قد لامستكِ.

19

ماذا يحصل لو أنكِ ألقيتِ شالكِ؟

ماذا يحصل لو أن خيولكِ مزقت الستار بيننا؟

ماذا يحصل لو أن ثمركِ سقط في فمي؟

ماذا يحصل لو أن طيوركِ حملت من أنهاركِ

سمكاً إلى أنهاري؟

ماذا يحصل لو كشفتِ عن آباركِ؟

قلبلٌ من الضوء

قليلٌ من المخبّا

فيه الكثير من السعادة لكِ.. ولي.

20

غيرُ ثملٍ كفايةٌ بكِ

غير مطوِّح تماماً بك

غيرُ متيِّم

ماذا تنتظرين

لكي أترعُ سكري وتطويحي وهيامي بكِ

ماذا تنتظرين؟

21

لعلّ درنة على وشك النعاس الآن

لعلها متعبةٌ

ما رأيكِ بأن تتسللي من بين أصابعها

وتأتين إليَّ

سأفرشُ لكِ الطريقَ بالزهور

وسأُحنّي الجدران بآهاتي

وسأملأ الدنيا بالغناء

وقبل ذلك

سأجعلُ درنة تنامُ بسلامٍ

22

منذُ زمنٍ

لم يصهل في جسدي حصانٌ

كما صهلَ

عندما عرفتكِ.

23

أخرج بشمعتي الطويلة في ليل ِدرنة

وأبحث عنكِ

لا أ حد يراني

لكنهم يرون شمعةً طويلةً تمشي في الهواء

لا أحد يستوقفني

لكنهم يرون شعلة الضوء تتراقص

هذه الشعلةُ هي قبسٌ من روحي المضاءَةُ بكِ

لا أحد يراني

لكنهم يرون ضوءاً يصعب تفسيره.

24

المرارة ليست في فمي

ولا في أصابعي

إنها هناك في أقصى روحي

مثل نقطةٍ سوداء بشعة

قد تنتفضُ عليَّ وتتحول إلى وحشٍ

وتفترسني.

25

يفتك بي العطشُ في كلّ مكان

الماءُ شحيحٌ

الماءُ يقطرُ من الجبال قليلاً

المطرُ لا يصل إلى الأرض

الينابيعُ تهربُ إلى الأعماق

الماءُ بعيد.. بعيد

الماءُ في أجساد النساء

النساء بعيدات

ليس في أيديهنٍّ كوب ماء

النساء في المغاور

وفي متاريس من الحديد.

26

أرجوكِ أن تؤجلي قصَّ النجومِ التي تضيءُ غرفتي

أرجوكِ أن تتريثي قليلاً قبلَ إغلاقِ النافذة

أرجوكِ أن تنسحبي قليلاً

وتتركيني أتخلص من بقايا الأوراق التي تحمل اسمكِ

أرجوكِ أن تشيلي خطواتكِ من الطريق إلى بيتي

وتضعيها في سلّة

أرجوكِ أن لا تحوّلي قصائدي إلى طيِّارات من الورقِ

وتتركيني استعيد سمائي

أرجوكِ.

27

مثل نخلةٍ عالةٍ تمشين في الممراتِ وفي الشارع

مثل صفصافةٍ تصرخُ وتفيضُ فضةً

مثل شمسٍ مكوٍّرة صغيرةٍ ملقيٍّة بين الناس

مثل هواءٍ ثيفٍ من الوردِ

مثل صلاةٍ مغلقةٍ من الطهرِ

مثل سحابةٍ بقدمين ويدين وابتسامةٍ

مثل زهرةٍ فخمةٍ تضحك وتبكيأما أنا..

فمثل أعزلٍ يراقبُ كلُّهذا ويزداد حزناً.

28

لم أمسِّك..

لم أشمَّ عبير جسدكِ

لم أتوضأُ بكِ

لم أكتو ببركاتكِ

لم تحمل يدي شيئاً من كنوزكِ

لم أتضرُّج بكِ

لم أتحنِّى بك

لم.. لم.. لم

لكن..

لماذا أشعرُ أني فعلتُ كل هذا معكِ لمئات المراتِ.

29

ستغيبين عني

وستجتاحُ غرفتي طيورٌ غريبةٌ

ستنمو على جدرانها نباتاتٌ سوداء

وستلتهم صوري ثولةٌ لا طعم ولا لون لها

سوف تجتاحني الرياح

وسيمزقُ البردُ أوصالي

لقد كنتِ تماسكين أجزائي

وقد كنتُ أتدفأُ بكِ

وقد كنتُ أشعرُ بحرارتكِ

لمجرد أن أسمكِ كان يخطرُ في بالي.

30

ألا ترين هذه الأيادي الكثيرة التي تخرجُ مني

يدٌ للمسِ الضوءِ على وجهكِ

يدٌ لزرعِ الندى في روحكِ

يدٌ لمداعبة فراشاتكِ

يدٌ لشمِّ عسلك

يدٌ لكي أُتبِّل قمرك

يدٌ لكي أغرفَ خمركِ

يدٌ لكي أخوضَ في حرائقكِ

يدٌ لكي أُغمض أصابعي فيكِ

يدٌ لكي أتنسَّك تحت قبابكِ

يدٌ لكي أطرَّز الفجرَ على جسدكِ

يدٌ لكي أحلِّ شعرك وأنام فيه

يدٌ لكي أتطوى.. يدٌ لكي أركضَ

يدٌ لكي أتجرَّح.. يد لكي أتدافع

يدٌ لكي أتنفس جسدكِ

يدٌ.. يدٌ.. يدٌ...

لكن كلّ هذه الأيدي

ما زالت في جيوبي.

31

لم استعمل من تلك الأيادي

سوى يدِ الوداعِ

لا أقوى على رفع يدي

ولا أقوى على النظر إليكِ

تبتعدين في الآفاق

ويظهر عمود السماء

وكأنه عود ثقاب مقلوب

سيشتعل العودُ ذات يوم

وستمطر السماء

وتصبح الأرضُ خضراء

لكنكِ لن ت جدي هذا الشاعر الغريب أمامكِ

ستكونين بحاجة لشاعرٍ واحدٍ لا لدولةٍ من الشعراء

لكنكِ لن تجدي أبداً وهذا وداعكِ.. لا وداعي.

لوبا

باسطةً يديّ الصغيرتين بكل وسعهما

لأجمعَ فيهما الفردوس

أميلي ديكنسون

هبطت وحيدة في شوارع درنةَ بقمصلتها الجلدية
السوداء وشعلة شعرها الأسود الملتهب تبحث عنه،
لكنه كان طريحاً قرب عمود السماءن كثر ما دار
ودارت به الأيام، تشبه ديانا الصيّادة لكنها استبدلت
جعبةَ السهامِ بشبكةٍ، لم تره، تأملت طويلاً منارات
درنة وتكاياها لكن رائحتهُ كانت قويةً فانشغلت
بالبحث عنه لكنها لم تره. دخلت إلى البريد.. كان
يصرخُ م هاتفاً سيدرا.. لكنها لم تره، مشت في شارع
حشيشهْ وكان يمشي فيه لكنها لم تره، عطفَ إلى
مكتبةٍ فدخلت وراء رائحته لكنها لم تره ولم يرها.

يجعلني الحبُّث وكأني قد خلعت حذائي
ومشيتُ حافيةُ على المياه

مشت حافية على المياه، رفعت يدها فوق حاجبها
وهي تفتشُ في الآفاق، كان منحنياً عل جراحهِ، نال
منه العطش وذوت عيناه وتهدَّل شعرهُ على كتفيه،
أصبح غريباً مثل ذئبٍ نازفٍ، كانت تنادي عليه لكنه
لا يجيب.

يجعلني الحب وكأنني أرتفعُ بمنطادٍ إلى الأعالي
يجعلني وكأنني لن أعود إلى الأرض

صعدت منطادَها فطار فوق درنة، وكانت تحمل
ناظوراً لتبحث عنه، لكنه كان طريحاً قرب عمود
السماء لا تقترب الطيورُ منه ولا يدلٌّ عليه دخان:
كانت (لوبا) عاليةً وكان هو متناثراً في جحيمه،
قررت أن تصرف النظرَ عنه ولا تعود إلى الأرض لكنّ
منطادَها هبط في باب طبرق وسدّ الشوارع والطرقات.

إذا وقعتَ في غرامي
فمن الأفضل أن تحتفظ باثنين من كلّ ش يء
حتى إذا نسيت أحدهما تذكرت الآخر

وضعتْ وتداً في باب طبرق ووتداً في شارع (وسّع بالك)
وربطت بينهما خيطها الرفيع وأحسنت توتره
فاتُّضح الخيط فوق درنة لامعاً وبدأت تمشي عليه،
لظمت إبرتها وبدأت تخيط.. خاطت له قميصاً ورمته
لكنه لم يسقط فوقه، خاطت له شرشفاً ورمته لكنه
حلَّق إلى البحر، خاطت له خاتما فلم يصل إلى يده،
خاطت له أزهاراً فلم تصله.

إذا وقعتَ في غرامي
فمن الطبيعي أن تعدد مرايا البيت
لكي تراقب ازدياد وسامتك

ما زال مغشياً عليه لا يفيقُ، مراياه مكسَّرة وكؤوسه
مفطَّرة، ملعقته صدئةٌ وصحوهه يغطيها الغبار. عيونها
تفيضُ بالشرار وأصابعها الصغيرة تحت خاصرتها وهي

تنظر تحطِّم القمر، كلٍّ شهر، إلى قطعٍ متناثرة دون أن
تجده، مرُّ رمضان ومرت الأعياد والإجازاتُ.. مرَّ
وقت طويل: أيها الأحمق.. أين أنت؟

إذا وقعتَ في غرامي فمن الأفضل

أن تحتفظٍّ بقنينة عطر صغيرةٍ جداً

لأن رائحة جسدكَ ستكون عطري المفضّل

جمر عليّ يتوقد تحت رماد السنين، ماذا أيها الغنوصيّ
القتيل، تنانيرها وشعرها وخواتمها تتطاير وهي تهبّ
مسرعةً تبحث عنه، أسماك دمها تلبط وبعضها يقفزُ إلى
الشارع لكنه مسمَّرٌ في صليب حرائقه، كتبت التاريخ
بماءٍ وقرأه على طينِ المساجد والصوامع والسوحل،
قالت لغتي قفلي وبوابتي، نَحلةُ بابل ونحلةُ مندا تقطعان
الشوارع دون أن يفيق.

وحدكَ تستطيع أن ترى أجنحتي

وحدك.

فتح عينيه ورأى أجنحتها تطوفُ فوق المدينةِ وتجمعُ
قطعه المبعثرة فرفع يدهُ نحوها، هبطت لوبا بسرعةٍ إليه
مثل رخمةٍ تخاف على نسرِها، فرشت شبكتها ووضعته
فيها وحملتهُ إلى كهفها ونزعت ثيابه وحمُّمته وغسلت
شعرهُ وصنعت له طعاماً وضمدّت جراحه، كان ذلك
مثيراً جداًن لمسةٌ من أصابعها على شفافه الحارّة أيقظته،
أتضحت معالمُ جسدها الساحرِ، وجهها الشهواني

ورقبتها المثارةُ وصدرها المحمومُ وأطرافها المكتنزة وركبتها الدريّة.. كانت تعلَّق عل جيدها عقدا بقرص شذري.

وحدك تميّز سحري من مكري

ووحدك تعرف جوهر أنوثتي

تحرك (جسر المسب) في داخله ورآها في صفحات صوره عندما كان صبياً في المحاويل. كانت تقفزُ كالغزالة قربَ برج بابل وقرب التلّ الذي يحتوي سفينة الذهب، كانت هناك خلفَ نقوش النساءِ والإلهات تجمع رموزها وأدواتها. شكلها يثير الشجر ويجعل الحيوانات تتناسلُ أما الرجالُ فتعمى عيونهم.

أريد أن أجّمد الهواء حولك

أريد أن أحوله إلى زجاج

لكي أنفردَ بكِ وحدي

عندما قطفتُ زهرةً كنتِ تتنفسين في قلبها، وعندما شهقتُ كنتِ في صدري، وعندما بكيتُ كنتِ في دموعي، وعندما صلَّيت كنتِ في دعائي، وعندما صرختُ كنتِ في حنجرتي، وعندما فكَّرت برحيلي عنكِ كنتُ على وشكِ الموتِ وكنتِ على وشك الجنون.

في الكلمات المحرمة

سعادتي

إسمعي: لستُ بعينين لكي أعرف هل جئت إليّ، أم
بعثتِ الطفلَ إيروسكِ نحوي؟ أكان الوقتُ فجراً
لتشيلي عتمة الكون؟ أكان الوقت ظهراً لتداوي زحمة
الشمس؟ أ كان الوقتُ ليلاً لأكون. لستُ بعينين
لكي أعرف تفاصيلكِ

يا طير الذهب

والناسُ من فضةْ

طمس جسدي في عسكلِ.. وكنتُ أحاول العوم فيكِ
لكنكِ دفعت بي إلى الأسفل حيث ذهبكِ يتلألأ، كان
صدعاً أو رتقاً في المنطق، كان الكلام يتدفقُ مني، أنا
الكلام كله. عسلهُ ومرِّه، ما فائدة الفم دوني، كنت
تمطرين أو كان الوقت غروباً، عندما خرجت إلى
شوارع درنة كنتُ أشاهد ماءكِ على جدران البيوت
وعلى واجهات السيارات.

لا تختبري هيامي بكِ

فهذا ما تعرفه الطيورُ عني

وما تعرفه الفراشات

يا لثدييكِ اللذين ينبضان في فمي، الكرز، القيمر،
العنبُ، الخمرُ الذي ينبضُ تحت جلدكِ، كم تأوهت
إلى مثلهما أحفرُ في طينهما جهاتي، كم تراشقتُ مع
النجم سهاماً وحصى.

أتنفسكِ

تعطرُ بعرقكِ

(المخابيل) كتابنا الوحيد الذي كتبناه بأصابع أقدامنا،

كتبناه على ساحل المتوسط وكتبناه على شوارع درنة،

وكتبناه على سجادة كهفكِ وكتبناه على كاميو لوبا،

وكتبناه على حصى المصيف، وكتبناه على الرمل

وكتبناه على مدافن الماء وكتبناه على الأغاني

هل ندع مخيلتهم تنسجُ ما تشاء

ونعيش أنا وأنت في ألذ وأحلى حلم

وليحدث ما يحدث.

خلعنا أحذيتنا ودخلنا إلى بحر درنة، يدي في يديك،

ودمعكِ كان غزيراً جمعته مثل عشّ على البحر،

وضحكك كان غزيراً جمعته مثل زهرٍ، كنتُ على

راحتيكِ أغني من وجعٍ وكان الموجُ بيننا يحصي الكلام

الماجن الجميل الذي يتساقطُ في البحر.

أخافُ عليكِ

كما لو أن طيراً سيسرقكِ مني

أريد النهود التي نثل فصّين من ذهب تعارك صدري

وظهري ويدي وفمي، وأشهقُ في طاستيكِ أغفو

وأصحو وأعلو وأدنو وأهوى العسل، وأنصحُ من فرحٍ

جُملاً لا تقال، فكم خبلٌ مثل هذا الخبلُ.

ما أشد براءة دموعي

وما أ لعن تلويحاتكِ للآخرين

النجوم في صدركِ والسماء في يديكِ، كلما أثرتُ فيكِ

كوكباً شهقتِ كانت الديوك تمرحُ في نهركِ وكنتُ

أشدَّ حبلي حول خصري ملأت كفوفي طيبا وملأتُ

سلالكِ ذهباً، مشيتُ إليكِ حافياً وطلعتِ من البحر

مالحةً شهيةً.

أريدكِ.. أريدكِ

وحق هوانا الذي رفرف مثل الطيور على الماءِ

وحق الشفاه التي تتوهج من عطشٍ

سأمضي إلى بغداد وأجمعُ في حقيبتي أبراجنا: العنكبوت،

الحصان، الفارس، الحمام، أبو الجنيب، ا لمخمل،

العقرب، الجمل، العسل، الكوكب، الكرسي،

وراعلا. سأدوّر دولاب أبراجي هناك عساك تضعيني

في الأعالي، سأنتظركِ وأشرب نخب مجيئكِ.

السومرية أحلام

في اتِّضاح جحيمها وفراديسها العالية

2002

لم أفز إلاّ بقبضة القصبِ، أكتبُ بها قصتي، أحكي بها

لليل ما مرَّ بي. راحت عيوني من بكاءٍ بعد عزٍّ معك،

قصّت عظامي هجرانات أيديك التي كانت تداويني..
شوية قطن.. شوية يود.. شوية ورد، ضمّت رأسي

إلى ثدييها الحارَّين فدبت الحياة فيّ، يا سبّاح روحي

يا بعد روحي، ما زلتُ أطرّزُ المنديل لكِ.

قصُّ لحائي خنجركِ، قصَّت سبيكاتي لمساتكِ، أمشي

والدفوفُ تصيحُ بي، أمشي والعنبُ هاطلٌ، أمشي

والورد ينشقُّ أمام عيوني، ورد اليد، وردُ الخدّ، ورد الساق

أمرحي.. أمرحي بأيامي. أحبكِ جامحةً نافرةً مستحمة

بالمطر.. أحبكِ كالطعنةِ يا ليليوت، حّنت عليَّ الحيّات

ولم تحنّي، حنَّ عليَّ الحارسُ، حنَّ عليَّ السكران آخر

الليل، حنَّ عليَّ الجيران..

متى تداوين جروحي.. أرسلتِ حيّاتك لي

حيّتك الملتفّة على أعمدة بيتي، حيّتك النائمةُ تحت

سريري، حيّتك الواقفة في نافذتي، حيّتك التي تُقمّطني.

جُرّي دلوي، جّري حبلي

قومي ودقي عظامي، إركبي وسوقي

تعالي يا صلاةَ الروحِ، تعالي وانفضي عني غيومي، بس

تعالي، تعالي ليلةً قمراء واجتاحي ظلامي، تعالي

واجرسيني وامسحي جسمي بزيت عطركِ، ولتكن

نيّرات جسدك في جسدي وشهواتكِ تملأُ دمي، لتكن

نهودِ منتشرة على الجرف مثل الأسماك وليخرج منكِ

ومني أبناءٌ مثل العشب.

يسيلُ تصويركِ فوقَ الأفق

تسيلُ الملائكة معه.. وتسيلُ الأمطارُ

وأنتِ مثل شجرةِ ذهبٍ تطلعين من أعماقي.. تعالي

لنصلي معاً، تعالي لنهدَّ الأطلالَ، تعالي لنقرعَ الطبولَ،

في النار ضاعت خيولي، في النار ماعت صحوني. اليوم

طلعتُ من النارِ، واليوم وجَّ مشعلي، واليوم فاض فراتي

واليوم يدي تنطرك، وكان فجرٌ وكان فمٌ.. شملٌ واحدٌ.

فركتْ السنابلَ على المياه وصعدتْ الجبلَ

حصانُها يثيرُ شهوة النبات

رمحها كان يخيطُ الأرضَ وهو يتدلى

حسدتها الآلهة، ضعتُ في شباكها لا أميِّز النورَ من

الظلام، أصابعي تبرها وعيوني نحلها، وكلّ وجهي

يغطيه بخارُ جسدها، ندىً في عيوني، ندىً في شفاهي،

ندىً يقطر من شعري، مطرُ أبواقها يصيحُ وخرافاتها

تفيضُ على الناس، نسران يتحطمان في الأعالي، أيتها

القاصِّة زجاجي بثبات ولكِ دخانٌ يملأُ جروحي، أيتها

الناهضةُ من أوجاري، بذرتُ القرمَ في هيكلكِ، بذرتُ

أمشاجَ السماءِ، بذرتُ أجنَّة النجوم وعجنت الغيومَ في

أعاليكِ، أرفعيني يا باذرة الأرض أرفعيني.

رفعتني.. كلُّ شيءٍ كان ورداً.ز وكان فجرٌ وكان فمٌ

شملٌ واحدٌ.

الله أكبر يا زماني

الله أكبر يا ناس

الله أكبر يا زماني.. الله أكبر يا ناس

الله أكبر والعيونُ موجّرات من الدمع والشهوة

مالي لون، مالي طعم، نارٌ في عظامي تشتعل

يا طيرَ الذهب

أريدكَ يا حبيبي ولا أريد اليوم غيرك

أنا أما أموت أو تعمى عيوني.

إنتظرتني على خشبةٍ

فأكلت الطيورُ من شهواتكِ

فضةُ النهر تغطي فضتكِ لكن النهرَ يتيه ويتطينُ، وأنتِ تتجّمعين وتشعُّين، جلد حصانكِ يلمعُ وأنا أغسلُ أقواسي في الليل، المراكبُ والصخورُ في سطح السماء وفي سطحِ كفيكِ، سترُ مقالعكِ تلوُّح بالمحبة وخيامكِ بالدفوف، يا ليل لولاكِ لما شاطت أصابعي باللذِّة، كنت ترمين إليّ دفِّك المخضب وكنتُ أقرعهُ حتى يفورُ دمي بالنهار، لم يقع ولهي بكِ على الأرضِ بل علا وأنتِ في مجامري تتحمِّرين مثل ياقوتة.

أنتِ هناك، أعني فوقَ قرّات العيون، انتظرتني على خشبةٍ فأكلت الطيورُ من شهواتكِ ولم تشبع، تمطرين صفاتكِ وتتراجعين نحو مخابئكِ فتجديني أستجيرُ بفمكِ.. وكانَ فجرٌ وكان فمٌ.. شملٌ واحدٌ.

يا مصباح إشهد أن جسدَها

أصفى من ضوءِ القمرِ

يا مصباح اشهد أن جسدها يبرقُ

اشهد يا مصباح أنها تشبه النخلة وتمرها النجوم

رائحتها الغبشُ ورفيفها ندى الفجر

إشهد يا مصباح، تقطرُ عسلاً يا مصباح، الريمُ السارقةُ

الوديان بقفزاتها، برجُ العاجُ المشتعل، الليلةُ ذات الشعر

التمري، انفصلت يدُها عن المياه.. انفصلت أكتافها

انفصلَ ساقها، ينبوعُ حمائلها انفجر وانفصلت ذُرّيتها

عن طلعٍ وسيوفٍ من وردِ.

تتعرقُ رقبتها، يتعرقُ الثديان، يتعرقُ ظهرها ومطرها

ينزلُ في كفوفي ويطليني.

أنتِ لمحتِ خضابَ عيوني ينتشرُ ولمحتِ نحاسي يتفطَّر

ولملمتِ ثيابكِ ودُثرتني بها، طينكِ صارَ خبزاً لي

وكان فجرٌ وكان ضمٌ.. شملٌ واحدٌ.

لونُ كبدِ الخروف

لونُ شفتيها

ومن جنونه عليها فسَّرَ هذا العاشقُ التفاتها إليه بالشروق

وانصرافها عنه بكسر الشمسِ، قال له العُراف لا تشبهها

امرأةٌ، لونُ يديها عالقٌ بالغيم، لونُ صدرها الأبيض

والأحمر من تبدَّل الدمع بعينيها بكاء، حرقةُ الدفوفِ في

ظلام جسمها، اشتعال وانطفاء بركان هواها، قالها

العّراف لون كبد الخروف لون شفتيها، انتبهْ اليومَ إلى

كلامها، قال هذا جلدُ توتٍ كلَّما مس ثمارها الهواء
فاضت، كان غارقاً في جرّة العسل وكان لا يقدر أن
يكون غير وردها فحّرك الكلام نهر ساقها، وشدّ حبل
جيده وطار، فخذاه بين القصبةِ ونعله الريحُ وشمعدان
عينيه يُضيء الليل.

امرأةٌ لا تموت أبداً بسبب الشعرةِ الفضية الوحيدة

في شعرها الأسورد الطويل

ثانيةً، رمى العرّاف قبضة البخور فوق الجمرِ، كان يريد
تفسيرَ تبدِّل أحوالها من رحيمةٍ إلى قاسيةٍ إلى واجمةٍ إلى
نافرةٍ، قرأ أشكالَ دخانِ البخورِ المتصاعد، حروفُ
اسمها تغرقُ في المياه، شكلُ يديها، شكلُ شعرِها، خيطٌ
من الذهبِ يصعدُ مع البخور.
إمرأة لا تموتُ أبداً بسبب الشعرة الفضيّة الوحيدة في
شعرها الأسود الطويل.

اقتربي ليلوث من عروقي وزلزليها

شفرة الذكورة والأنوثة ما زالت في حاشدتكِ

في هذه المقسوة ألمحُ النشيدَ يختفي
أنتِ هناك في جذوري وأنا في ثمارك
كنَّارتي تهتف لكِ
وتعيدُ شكل شعرك
أعزفُ.. أنتِ في طابقٍ وأنا في طابقٍ
أعيدُ عزفي لكنكِ تتصلبين

عيناك تمسكان وردتي والطبولُ في الحوشِ تدقُّ

أنتِ في الشرفةِ وأنا في الشارعِ

على المياه.. على مخملِ عطرها الوفير.. ضاعت أصابعي..

الطيورُ نهشتني وبلعَ البحرُ صوتي ورماه في قاعها

فتلقفتهُ وقال لها: إنمي واكثري به، فنمت وكثرت

ليلوث حتى أصبحت بزراً وتسلّطت على المياه.

تباركتِ تؤرقين جسدكِ بأوراق الزّبد

تباركتْ جهاتكِ ورُفعت إليكِ الطروسُ

تكتبين جسدي كأنكِ تشكّلينه وتطلقين فيه السماء

أقصدكِ وتضيع أقدامي في ثرثرة الطريق

ظلَّت الخراف معي طريقها إلى البيت فكوني المطر

وأنتِ ليلوث من عروقي وزلزليها

شفرة الذكورةِ والأنوثةِ ما زالت في حاشدتكِ

ابقي الدائرة والعصا وبرقَ الخضرةِ وصليبَ الحياة في

يديكِ

أبقيها حتى أصلَ إليكِ وأشهد لكِ

إبقيها حتى أُزنَّر الليلَ لكَ بالأدعية

وحتى أشبعَ منكِ.

الغاباتُ تبوقني وأنا ألمع

رنَّ فيكِ النورُ

رنَّ في لحمكِ فحمٌ وماسٌ

كواغدٌ تكسرت في بركةِ أقدامكِ وفَلاحُكِ لاحَ في كبدِ

الخروف

أخذ العَّراف المساريق ورماها وتأملَ خطوطَ الكبدِ

البرقُ ثمُّ الوضوء ثم الرحيقُ وورد الذهب، سيتضاعف

الزرعُ.

كوبُكِ من شغفٍ وأشواقكِ كالرنين

تبثّين الحمّى وتبثّين السنا وتدبّرين وقائع النباتِ والحجرِ

في ألمي.. في ألم المتعةِ ترقدين

وفيكِ كل ما تريدهُ الأمطارُ

مغاوري وأسطحي والعربات السود والخيول في الصهيل

أريدُ أن أشيلَ طرقي.. جمرُكِ يتجلُّد

تناثر عطرُكِ.. تشققَ السرورُ في يديكِ، ثغركِ ثغرُ

العسل، وكان نمل الشمسُ يدبي في جسدكِ الخرافي غير

المتناسق والأعشاب المتراصَّة، تسيل في محوركِ سيلِ

أطلس البروق.

ضرباتٌ عبديةٌ

وتصادم خيول في جسدكِ

أنتِ فرجالي الأشمّ

قلتُ للذخيرة التي تحكم هيكلي تعالي نمشي إليها

نكون كالكروم في تاريخها

راياتي مثقوبةٌ وميزاني معطّل وأنا مخطوفٌ بكِ كالرياحِ

الغابات تبوقني وأنا ألمع.

طائرثي يحملُ النهرَ بمنقاره

وأنتِ في مسلّةٍ تطرزين كبدي

قالت: أحوَّلك أولاً من مستبدٍّ إلى عاشق وأُزينّك برقياتي

وخرزي على أن تنفصل من البهايم والأسماك

والطيورِ وتكون في حضني، تكن هكذا وإلاّ

فدعني.

قلت: أنطريني فأنا أحبُّ أهوالكِ.. ولا سبيل سواكِ.

أتنوّع فيك ولا أكون إلاّ منوعا.. تضربينَ عقربي

وتضربين خاتمي وأنا أردُّ بسياطي وأضربُ الماء.

طائري يحملُ النهرَ بمنقاره

وأنتِ في مسلّةٍ تطرّزين كبدي.

كرزتُ عليكِ تعّطشاتي وكرزت عليَّ شروطكِ، أتشطى

في ممراتِ جسدكِ وأتقدمُ في بكرةِ وردي إلى ينابيعٍ ومياهٍ

من زجاجِ

عُسيلتي مدلهمةٌ

وعُسيلتكِ رغوةُ قمرٍ

مصدّاتك أقوى

أتفاوضُ مع الموزّيات التسع على جبل وخرافُ سيدي

أورفيوس تمرقُ أمامي.. أتفُّطر من حزنٍ وعمى، لكَ

التجلّة يا صديقي.

كيف أصلُ إلى فمكِ وكيفَ أعقدُ خنصري بخضابكِ

أوجكِ عميقٌ

يا نواحي.. يا نواحي بعيداً

راياتي منكّسة ومثقوبةٌ..

الجسدُ بعيدٌ عني.. عسله في المنفى وأنا في الثبات

خرائطُ الجسدِ في الأسلحةِ العاطلةِ

خرائطهُ في الماسِ المبعثر في الطين

خرائطهُ في المعاولِ المزنجرة

خرائطهُ في اليدين الصفراوين من عطشٍ وهتافٍ

خرائطهُ في دفائن الكحولِ وخزائنه.

مرماكِ.. يا مرماي.. أنتِ بعيدةٌ وأنا على نورِ بكائي

ألضمُ السماءَ بالسماءِ.. مَنْ هناك؟

ياقوتةٌ معتمةٌ وحارٌّة

النجومُ في لهاتي يا رجاء.. فلماذا تقطرين في جروحي

"أنتَ تتحصنُ.. يمَ ستتحصن من جانٍ ما اتقنتَ

عزائمَ تفريقهم، ألحُّ في تلبسَّك ولا تشعر سلطاني..
ويماً سيذهبُ بكَ" فماذا تقول أيها الناهضُ في تلبُّدِ

الجسدِ.. ماذا تقولُ وةالجمرُ على عينيكَ.. في يديكَ..

في شعرك يلسعُ الهواءَ.. أعودُ بالوردِ إذا ملكته.. أعودُ

بالشهقةِ إن شهقتها تصبّ ليليث على يديَّ غيمة

وتغسلُ رجاءُ الآفاقَ بمرشةِ عطورها

أطمعُ بالموتِ أو الهياج

النجومُ في لهاتي يا رجاء فلماذا تقطرين في جروحي

بعيدةٌ.. مشمومةٌ من خللِ الرياح والرمال والأشجار

يا عتمة روحي، كم أريد أن أبوس ياقوتكِ؟.. كم

أريد أن أرمي سلاحي تحت تطريز مناراتكِ؟

وكان أن صنعَ النايَ بعد قصَّ الشياه

فانفطرت رائحة البخورِ وربطتنا بالحبال

قالوا له تعذّب

قال ف يجحيمها

وقال لم أكفَّ يوما عن البكاء وأنا فوقَ تلالها أشوصُ

سلالتي كلِّها في بحرها المزبد.

وكان أن صنعَ الناي بعد قصُّ الشياه فانفطرت رائحة

البخورِ وربطتنا بالحبال، فأخذ الناي وربطه إلى عنقهِ

يبكي فجرين غابا عنه فجراً أبيض وفجراً أسود، فشمّ

زعفرانها في الليل، شمَّ وردها المقوعَ بالمطرِ وتسلّق مثل

الأعمى حجرها وتلمَّس نقوشها.ز يا للبراعةِ.. من

خيِّط هذي النار بالحجر وكيف رصُّت السماء سرّتها

بدنبوس على الحجر...

حجُرها يسمل العيونَ.. حُجرها يسبي الخلائق.

رمزُ يديها في الحجرِ.. رمزُ علاماتِ الصعود والهبوط

(سُلُّم الأنباط) رمز الجحيم في حجرها ورمز المندالا في

حجرها.

إسمه تحتَ الجدارِ وقد غفى طويلاً في يدي وجرّس الكلام

في دمي ولم أشل رمادي من محرقتي..

جسدكِ يجحَّد الظلام وهو العدسةُ

وترٌ هنا ووترٌ ه ناك وليرتفع مقامكِ.. مشى النهارُ فيكِ

وازدهرَ وغرَّد الليلُ، تقدمتُ في معمارِ جسدكِ وأُذِنَ

للقمرِ أن يرمِّ فيك مصلَه وأن يفور في حافاتكِ

منجمكِ النائمُ تحت كرسيِّك.. الشرارُ من عبوركِ الفاترِ،

الحيِّتان في مائك حين تهبطين.. المنارات ندى طولكِ

حين تسرعين في الشارع.

منحتِ النجومَ ضحكاتكِ

ما يدفعني للخطأ الأكيد.. ما يدفعني للضحك الصاعقِ..

ما يدلِّني على خطوط الأصلِ في البكاء.

أنتِ الت يضربتِ تيني وكرمتي.. وأنتِ في مرابضِ الوقعتِ

يدي وأنتِ في تلطُّفِ الأحزانِ سنبلي ورعشتي.

ذاتُ الخشلِ ذاتُ المعمعةِ وذاتُ تفريقِ يديّ عن مقامي

وأنتِ في منابتِ الليل على يدي تدبين كالنملِ وتكرعين

تكونُ في سريري وأنا في كفّها

تكونُ في نهري وأنا في سمكتها

تكونُ في طريقي وأنا مهودٌّج عليها

تلوحُ في كفوفها.. تلوحُ من ينبوعها

تلوحُ والهواءُ يغلي حولها.

فمكِ مباركٌ وفمي ملعونٌ

فكيف يقتربان من الحقيقةِ ومن بعضهما؟

ترابُ ناياتكِ في يدي

ترابُ أيامكِ في كتابي

نورُ خلاياكِ على يدي.. ترابُ ناياتكِ في يدي

حصانُ أيامكِ لا يهدأ في دمي

صهيلهُ يظهرُ في صراخي

شهواته تظهر في نواحي

كانَ النهار الأزرقُ الفاترُ على شفاهنا.. وكانت أيامنا

مرحةً أكثر ما يجب، طبولنا تتدحرجُ على الهاوية

ورغباتنا تصيدها الغيوم وأنا وأنت نقفُ على فم الغروبِ

مودَّعين الشمسَ في أعماقنا

تدخلُ الشمسُ إلى بحركِ.ز هل دفعتِ مركبي في التيه

أينَ تاريخ يديكِ

أين ما تقوله السماء في منارتي

فمُكِ مباركٌ وفمي ملعون

فكيفَ يقتربان من الحقيقةِ ومن بعضهما

أنتِ من عفافِ الوردِ والجمالِ

وأنا من عتمةِ العقائدِ السرِّية ومن الكهوف

كيف نلتقي..؟

تمثال افلاطون في غرفتها

متى تكفُّ عن استدراجي

وحين لامستُكِ كان أمري في عماءٍ فتحركتُ فكان

فوقي الهواءُ وتحتي الهواءُ وقلتُ فلتطوفي معي الأيام.

كيفَ وصلتِ لي

آثار دمي دلّت عليَّ أم لهاثي..

- تتبعتُ القطعَ الممزقة لكبدكِ ووصلتُ إليك.

تستغيثُ بي وتطلبُ الموسيقا، أنوارها بنيتها وكنتُ

استقبلُ سبطَ نورها على الصحفِ والأحجارِ هل هناك

امرأةٌ تُشبهها؟
تمثالُ أفلاطون في غرفتها
متى تكفُّ عن استدراجي.
دمعُ يدي على قرونِ الثورِ أو في المراوحِ التي تعصفُ بالمياه
قضت طفولتها مع الصيادين ورضعتُ من الأشجارِ
كلُّ زينتكِ في ساقيكِ.. تركضين مثل غزالةٍ وتتعصبين
بالتعاويذ، تصاويري على الجدران والمراعي، ثوبي لصيقٌ
بجلدي وطاقيتي بيضاء وبيدي الفالة.. حنُّاء بيزنطة على
أطراف أوراقي، راعي المياه يتأوه في دمي.. صرخاتُ
الشعوب المقهورة تخرجُ في كتاباتي ويخرجُ معها ولعي
برمادِ الحضارات، طبولُ الشرق تسكنها بنادق الغرب..
مشهدٌ صامتٌ يفضحُ الإنسان.

جسدكِ المدهونُ بالقمر

جسدكِ الذي يجذب الطيوب وينضحُ منه الذهب

طرحتُ يدي في تنّورها
طرحتُ جسدي في ضحكتها
النهارُ مصيبتي فيها أم الليل، تتلبسُ هاويتي وهي في
حجرها تحملُ الزخارف البالغة الترف، مجثمُ الطيرِ هذا
أم حريرك، تتخفّين في جذورك ويتدفقُ فيكِ ماءٌ، هذا
يراعكِ وهذه قافلةُ ودادكِ.

ركبتكِ حمراء.. يتلفتُ الوردُ، مزدهرٌ بكِ وأنت تغزليني
فأكون من خيوطكِ وتكونين من قماشي..

بيكار يفصلُ بيننا.. المشاعلُ الخجولةُ بيننا..

هذه إشاراتُ الوعيدِ

هل ستصفحين عني؟ هل سأتعلقُ في الكروم؟

لقد برحتْ هذه الأماني حتى اسودُّت لها الآفاق

ظفائري نزلتْ على رقتبي وأنتِ في محبسكِ لا تأبهين

خبلي طارَ بين النخيل وناحَ وأنتِ عاقلةٌ أكثر مما يجب.

صرتُ ساجعَ الليل وصار ترابُ الليل على أقدامي.

الذهب الذي تركتهِ في قلبي جمَّر دمي

البرقُ الذي في شجرة العنبِ ينجُّر وهجي، فجركِ يرقّي

البعيد وشهواتكِ تجنّس المسرِّات، تلدغني روائحك

وتقطِّعني شهقاتك

رفعتِ حجابَ جمالكِ وأسرتِ طيوري

لألأتِ المكانَ وسحنتِ الليل، انتبهت إلى كلٍّ فراشة فيَّ

ورنِّمت قسوتك.

أنتِ مدفونةٌ في جحرٍ قديمٍ وأنا أطوف في الماءِ أنتظركِ

وأهدُّأ حيدري راكعاً براياتي ومنوراً خاطري، ركُزت

وردكِ في عظامي.

باركي كؤوسَ العسلِ وانعمي بترياقِ الشمسِ وتجلّي لنا..

هتافنا ما زال على البركِ والسواقي أيتها الغدرانية،

أزيحي نقابكِ وشكّلي سجّادتك من أدعيتنا

انتبهي لرايتي وتنصّتي لنواحي.. جسدك يملأُ عيوني

ورفرفُ ناركِ يتعالى أتعثُّر وسطَ رعدكِ وتتساقط من

يدي النذور.

قشَّريني السنبل على مراحكِ

وتدافعي مع محراثي، أطاعنكِ بورودي وتطاعنيني

بالرماح، أنحدر إلى وهجي وتتحدرين إلى نجومكِ

معتقلٌ فيكِ وضاجٌّة فيٌّ. ممروج بفمكِ وفخورةٌ بأوصالي

أسمعُ جسِّ أصابعك

ذبتُ أسىً وتلبُّدت بغيومكِ

بلِّور صدرك حزّني

جسدك المدهونُ بالقمرِ.. جسدكِ الذي يجذبُ الطيوبَ

وينضجُ منه الذهب، جسدكش الذي هو الكونُ مجتمعاً

وهو الذرُّة هو الخلية.

جسدكِ الذي بخّر الشعائر وهيّج البذور في الظلام.

جسدكِ السيلُ الغامضُ الذي دفعَ الأبواب المغللقة.

مكحلتكِ ومرودي

سحن الزعفران

تبدأ طقوسها واحداً بعد الآخر:

طقوسُ العطرِ

طقوسُ الثياب

طقوسُ الشراب

طقوس الطعام

طقوسُ الغنج

مكحلتكِ ومرودي.. سحن الزعفران ولطفكِ الذي

يتعدّى الأنوثة

حضوركِ الذي يرجُّ القلاع العميقة في عظامي والمجرات

الآبقةِ في مدني السفلى

تجرِّني رائحتك وتخيطين ظلامي وحراشفي

لقد بذرتُ حدائقُ الآلهة نازعةً خوذتكِ وانتقلتِ من

الملامسة غلى الهياج

امجَّدُ أهوال تضاريسكِ لأنكِ تجعلينَ أرضي مفلوحةً فثمةَ

الوردةُ في بطنكِ وثمةَ القافلةُ في انطراحكِ وقد نهضت

اصابعي الغافية وتجولتُ فيكِ.

كانَ الجرحُ فاغراً وكانت الفناجينُ في يدي تسيل قهوةً

وعسلاً.

لوتسُكِ المقدس المدلُّى في فمي ينفتح

قافلتكِ التائهة تتجمعُ فيّ

مضرِّجة الخد وأسدٌ يتجول في دمكِ ولم يعضّني بعد

ألقي على بوابات جحيمكِ أحجاري وألقي بالكلمةِ على

أطلسكِ وأنتِ تدحرجين دموعَ البشرِ أمامكِ

كنتِ تحملين كأسي وتسحبين قماشتي السوداء من

جسدي.

الدساتيرُ والأدوية سقطت في غيهبكِ.. أسناني التمعت

وأنا وأنتِ في هذا التيه وعرهوني الفضاءُ ينسل خطواتنا

ونحنُ نزكُّ في مشيتنا خرزاً وتتساقطُ منّا الأجنحة.

أنتِ نرجس أم الكوكبِ الثاني عشر وأمي وأنت نوت

ماسكةُ السماء

شعرُكِ هو ايامي وفمُك هو حزني.

أضع يدي في لبنكِ وعروقي في فؤادكِ وأقبضُ زهرَ

كليتك وأشمِّ رصيعتك وأدع أسباط معادني تسيل إليكِ

وتعيطُ في بساتينكِ السنجابية.

لاقمط الحمام ولأدقُّ الزعفران وتكحيل البئر بل نار

التنانير المفتوحة على بدني.

رفُّ الماءُ على عيوني

وهشَّ ذيل الديكِ على فمي

ألفُ عينٍ للفراشات لمعت في عقلي

وطلعتِ من لُباب النار

إنفكَّ مربوطي ودخلت سيوفك في غُمامي

انفتحَ عشُّكِ

تاجُكِ على رأسي

تدخلين أظافري وتتحولين إلى طفلةٍ تبيعُ ماءَ الحياة وطعامَ

الحياة، شبابي تالفٌ فيكِ وشبابكِ يتراجع بكِ إلى طفلةٍ

وأسوارُكِ تحيطني.

الجدران ترجمتي

أحفرُ فأجد لعّابتي

أحفرُ فأجد بزّونتي

الطبول تتراشق وأصواتها تنفطرُ

ضحى الماس ودفيء شعركِ

الكوكبُ الذي يعجّ بالطيور

مائدةُ القرابين وأنا أغمر قوسَ ثدييكِ

لا تبخلي عليِّ بعافيتك

وعلّقي قلادتك في رقبتي

لقد تركَ البحرُ ماسته في عينيكِ ومضى

وأنت محروسةٌ بالكلمة.. محروسةٌ بما أجَّج الفانوسُ

وأنا اقاتل جنازتي

سلالتكِ شاردةٌ في رماحي وفضائي مرابطٌ تحت قدميكِ

كم من المسويقى تعزفها الأنسامُ، كلّ يوم، على

جسدكِ مطرُكِ يلامسُ عيوني ولا يبلّني

خلطت الأقدامُ أعمارنا بالترابِ ولم تتعب بعد من

التحديق في المطلق

كنتُ فلقتُ تلالكِ بفمي لينشقَ نرجسُ تحت لهاتي

وليتكوُّم الماس ا لأسودُ في الهاويةِ ولترجّ الشمس إيقونة

الفم، وكنتُ أرشقُ الفراشات المتطايرة من أعضائكِ

ببخاري هاشًّا على البعيد ليتكوَّم في طاعتكِ ولتتشاور

اقدامكِ، في الغابات، معَ جذورِ الشمسِ الضاربةِ في

العالم الأسفل

متى سأحرث بستانكِ الآجرَ ومتى سأتجولُ في أرخبيلك

وأردف بمحراثي مياهكِ

أنتِ سايتو بلازم الكون المترجرج في خلايانا وأنتِ شفرة

البرق التي تفلتين من عقولنا

أكحِّل أعضاءك في فمي وأُبهم رغباتكِ أمامي وأنا أغلي

في بتولة فمكِ وأُعرِّش في تالد أيامكِ وأنتِ تتوشحين بي

وتشجُّريني. سأجد بكِ أمام مصيري تختبئين وتظهرين في

انشغالي بك وحمدُكِ يعلو في نسقي، أرجوحتكِ في

ربوع شهوتي تترنحُ ويدي تهزِّ حبالك

تغِّيبين جسدي في جسدك وانغمدُ في جُبِّك فانشط فيكِ

ظهورَ النجوم وأحفرُ اللغة في دمكِ وأهيُّج هرموناتكِ.

يتقطعُ حريري وحريرك يرفرفُ

الكدك يمنحكِ قمراً في العينين

أتحصنُ بالنورِ.. النورُ الضاربُ حديد.. النورُ الذي

يلوِّن خدودي بومض السيفِ وأنتِ بلطمِ الخدودِوبوردٍ

فاترٍ في الرماد.

هذه حماماتي المطوّقة بأشرطتك

هذه غصوني المثقلةُ بثماركِ

يا صاحبة الغبطةِ.. لي من جسدكِ الذي هو مُخّي ما

أفيضُ به على المنارات وما يتشعل أعلامي.

يا ليليث.. المعارفُ التي تتوقد بك تجبرني على التراجعِ

عن أحوالي وترفعني إلى عشِّ العقاب وأرَّف بها خاشعا

لكِ

حسناً سأبوس الشتلةُ.. أبوسُ الغرسَ وأبوسُ مذراتكِ

أبوسُ حنطتكِ ومزاميركِ.

أحطُ على ظهركِ منارتي وأحطُّ على أقدامكِ نعاسي

وأحطُّ على فجركِ فجري وتصعدين في قوامي مثل سنبلةٍ

تنثرين مسككِ على ثغوري ومرشتكِ تهبط وتصعد

والسعفُ يهبطُ ويصعدُ.. ينزلُ ثمركِ في يدي وتنزلُ

دموعي في ممراتك، أنتِ فيِّ لا تشبعين من سهر ولا من

شرابٍ وطعام..

يتقطعُ حريري وحريركِ يرفرفُ

الكدك يمنحكِ فجراً في العينين

الربيعُ يزيّن جسدي

وأصواتنا تهدأ وأبواقنا تنام.

على دجلة الحزين بطيوره غنُّيت أغانيكِ

المقاماتُ التي تحبين والبستات التي ترددين

نشلني من المياه

ووضعني على كفِّه

حدَّثني بشريعته وأقام بيني وبينه المغفرة

الربِّ حافظك، الربُّ جالب الأنسام يدفعكِ إلى الحياةِ

ظهوركِ يدٌ لمعونتي وكلماتكِ معدنُ عظامي

أملأُ قدحي وأصلّي بين عمودين

معبدكِ يغسل آثامي وسراجكِ يضيء صدري

على نهرِ بغداد جلستُ ورنُّمت لكِ أشعاري

على دجلة الحزين بطيوره غنيتُ أغانيكِ.. المقامات التي

تحبين والبستات التي ترددين.

أمدَّ يدي إلى المياه فتخرجين سمكة عاريةً

أغطسُ في خمري فتخرجينَ

هو زهر أشتلي في رياحي الجنون وهو زهر انهضي من

مراقدكِ وباركي وهو زهر أذرعي الفردوس بتمتماتكِ

دخانكِ يملأُ جسدي

وفجركِ يملأ عيوني

لطعمكِ هديلُ الندى

أسرى جسدكِ يسجدون من أجل رحمةٍ، الرحمةُ تنادي

في الشوارع، يهزِّون عروتك ويطلبون شفاعتكِ. وأنتِ

تنشطرين إقبالات وتعددينهم.. تعددين خطاياهم

تعددين ضعفهم بكِ وترمينَ شباككِ لتتسلطين على

مياههم.. تسدين ثغر الطبيعة الذي ينفغرُ ناقصاً..

إن قبلتِ هيامي تصيرين أول إقبالٍ عليِّ وإن قبلت شغفي

تصيرين الوردةً، لا تنسي شريعتي في مخدعكِ.. ذهبكِ

في مخُّي |أيتها الوردة الغامضة.. الحكمةُ أساسُكِ وأساسُ

الأرض.

تنجلي طبقةُ الذهبِ في دماغي وفي عيوني

أوراقي تتناثرُ وعرقتي يفور

ديكي يعلنُ فجركِ، وفجركِ يعلن فتوحي

لأني دعوتُ تدبرتُ خارطة أعضائكِ ولأني ترصعتُ

بالنارِ.

جاءَ سلامكِ في تمام النهارِ..

دخلت عليّ بكواكبها العشر التي تدور حولها وعانقتني

ملأتُ جسدها سيديٌّ وشربت مني.. توغلت فيها

فملأت غيومي بالمطر.. اتصلت با لجنون واتصلتُ

بالصراخ أشبعُ من نذوركِ لي وتشبعين من ولهي.

رمى قوسه في المياه ورمى ضحكته في السواقي.. جمّد

نورَ العالم في عظامِ أبنته

- ملكةُ كابل..

الصفراءُ العينين

الواقفة على رقاب العبيد

هيأت عَرقي في زجاجةٍ وأ×فيتها بين الكتبِ.. ولبستُ

أخفُّ ملابسي وربطت عروقي بالشمس وسلالي سبّحت

لأجلكِ.

نزلتُ.. طرقت لبابَ.. حكمةُ الله في مجيئكِ فجراً

ربةُ الفجر أم طاردةُ الظلام..

تتجلي طبق الذهب في دماغي وفي عيوني

أوراقي تتناثر وغَرقي يفورُ

الشاعرُ العاشق في (سومر) الغفلةُ المباركةُ التي كانت تغطّي ظهيرة العالم الشاملة..

حسناً.. يا شجاعَ الملكِ سدَّد السهمَ وليهيء خدِّامك

القوسَ والخمرَ والطيلسان.. حقلٌ من الكاليوس يطلعُ..

حقلٌ تلبسه أناهيت وهي في رياحِ الشرودِ.. حقلٌ تلبسهُ

وهي في الأخضر البنفسجيِّ، حقل من الماس الذي

يلمضُ في عيونها.

خوفٌ دائمٌ من صدرِ المرأة.. خوف مشوبٌ بالإلتياع

إلهةٌ مجازيةٌ تعبرُ مع القوافل في الصحراء

أشعارهُ بهيئة رمادية تتسلل إلى ابواب الجحيم

كان أغاجان يترصدُ مع أقليةٍ طاغيةٍ، مشهد الذبائح

وهي تقدِّم إلى عرشه..

أخذَ هذه السنةَ من الصيادين ما يكفي، ملكةُ الرياح

تحولت إلى طائرين نادرين.

عبادة النورِ تنتشرُ

وأنتِ تسعين للمِّ الأشعة من البراري

تطرقُ البابَ بخفةٍ فتشتعلُ المصابيحُ.. وجهكِ مشرق

تدخلين يا نور العقلِ.. جسدكِ الهائم يحيطني والعالمُ

يسقطُ في ظهيرة شاملة. لن أنال راحتي معكِ إلاّ في

الضوء.. حيث تطلع الشمسً من بيتي.

يصبُّ فيه نهرُ الفراتِ وتنبتُ عليه نخلاتٌ وتزحمه الطيورُ

بالشهواتز. قَمطُ الحمامِ وهديلُ اللدّاتن أتنقّع في

عسل الوردِ الشهزادي واتطرِّى في حوض الشرق

كان الحوضُ لا يسعُ إلا إثنينزز وكان وهجُ الهمسِ يفتنُ

الماءَ.. تنتظرنا كؤوس ماِ النار وينتظرُ غتتاركِ الآس الذي

يتناسل بين أصابعنا ينفرطُ على النار ويبخرنا.

في غرّة تموز.. الدنيا تغلي وهي تجرُّ حبَّ شهواتها

وتقحمني. تحفر في الحصى عن اللذُّة.. وتحفر في

الجدران عن المنارات تبحثُ في جسدي عن جسدها..

ليليث عن المنارات، بغداد تحليها بالجمال وتأسر

كمانها بأطرافِ أصابعها.

ارتقاء الذوقِ يحوَّل أطراف البحيرات إلى مدنٍ

سلاسلُ من المعادنِ المتوسلة بكِ.

هجرةُ الشعوب القاسية وسلالةُ الرقيق.. ما الذي تعنين

بكلّ هذه المشاهدات.. مسلاًتك فوقَ الدخان..

كأسُ شرابٍ على هيئة القرن. المحاربون يصقلون

سيوفهم وأنتِ تضحكين.. احتمالاتُ انفصال مشيمةِ

الجمالِ عني قائمةٌ.. سأكوِّن ليدي سلالة من الحديد..

عبادة النور تنتشرُ وأنتِ تسعين للمّ الأشعة من البراري

كأسُ بخوركِ يضمحلُ وأثداؤكِ تزدادُ قوةً وعُلوًّا..

تضربين زورقكِ فيشقُّ ماءَ النهرِ.. من أجلِ نهارٍ يسطعُ

مثلكِ تكرعينَ ماء النار وتغنين بأغاني الفجر في (بونفرادا)

ايبيريا.. يا \ايبيريا أين أنت الآن عن سور بغداد؟

البروقُ المدوية في جسدي

الذهبُ الذي يموعُ على الجدران

من ساحةِ الأندلسِ تأتي.. من شارع حيفا تأتي..

ستعمر ليليث الشوارعَ وأمام البابِ ستعثرُ على تميمتها..

صليبٌ معقوفٌ مصنوعٌ من الرصاص سلسلة أشابكِ

تنفرطُ على العتبةِ.. وتسقطُ علبةُ السجائر.

أمزجتي غيرُّتها الأهواء.. القرونُ الوسطى تشجعني على

ممارسة الحب أكثر من الدخول في طبقات العقائد..

دخلَ حصانها معها إلى شقتي.. ربطت الحصان قرب

تمثال جورج صاند وتحلّت بعطر الكباريت.. تراجعت

المعابدُ القوطية.. أبراجها تكتسي بالذهبِ..

أنحنى الخمرُ لهبوبِ الضبابِ

وانحنى فخذيكِ تمسحني من الأرضِ

رائحةُ أصابعكِ تقلّيني..

رائحةُ ديكِ تفجّر فجري

النورُ الذي ينتشرُ فيكِ هو نورُ الدين على تلّته يقشّر

تفاحةً ويمسحُ خاتمهُ من غبار القرون.

هكذا أنفلقَ الصباحُ فيكِ وفيُّ يا أناهيت.. تقفل ا لطبيعةُ

مغازتها فيكِ وأتتبعُ فيكِ النجومَ.

شرِّ قبمصه على الحبل.. وطارَ من الشرفةِ معها نحو بيتها

كانت تثيرُ شهوةَ السماءِ فيه

كانَ طائراً من الزبدِ

البروقِ المدوية في جسدي

المطر فيّ

الذهب الذي يموعُ على الجدران

سوف تملكين عيوني

سوف تملكين عيوني

أدقّ في هاوني الجنَّ.. أدقُّ وأترنحُ

طعمُ يديكِ يثيرني..

طعمُ ارتقى في غسقي

طعمُ تلاقينا وأدمعنا العنب

طعمُ ارتجافِ الساقِ فوق الساقِ

طعمُ تودّين ابتلاع وردتي

طعمُ اكتوينا بلسانِ شمسنا

كنتِ تغنين إلى الأعالي وكانَ هاشمُ يسدد السهمَ على الغزالةِ كانت كؤوسه تتحطمُ ومطرزاته تختلط فلماذا كان تاريخُ رمادٍ فوق ظهرينا.

إيفا تسألك: هل هو جميل؟

البروقُ لا تهدأُ..

عَرافَةُ العيون

أقرأ عينيكِ فأعرف ما سيأتي:

بغدادُ تحتَ رحمتةِ البروقِ

دخانٌ ينتشرُ فوق بيوتها

دجلةُ ينشفُ ويتحول إلى ساقيةٍ

تتفكك أخشاب المراكبِ

من شرفةٍ في آخر التاريخ نطلُّ ونحن نقبل بعضنا.. هذه إمارات البهجة.. فكيف ستحترق بغداد؟

- لا أدري.. ولكن الموت قادم.

أشيلُ صايتي وأنظّف الناي وانفخُ به لحناً حزيناً

التاريخُ يتلوى.. مصلُ الظهيرة الشاملة يتقطر في عظامنا

تصطاد أناهيت العصافيرَ وتضعها في رأسي

كان الوردُ يطفرُ وغابات الكالبتوس تتسع

وكانَ معنى تلاقينا يتّضح في قراءة الطالعِ في الصحونِ

تاسوع فتحاتكِ هو تاسوع خليقتي: آدم الكامل في

فمك.. الكلمةُ وخلقها، وجب ونوت في عينيكِ

ينصبان فخًّا للشمسِ وللرعاةِ والفلاحين.. سرَّح نور الله

في وردهما الضوءَ ففاضَ. شو وتف في أنفك.. ما زال

الهواءُ والندى على الغصون، ست ونفتيس اللذان

يسمعان ما يدبَ في أذنيكِ. إيزا هي التلاّت والكرسي،

أوزر هو الفجر الذي يلفحُ بالسماءِ وهو ديك خمرِنا

وهرمس المجلّى.

شمسُ تباوسنا وشمسُ انفرطت من يدنا مجامرُ البخور

كان مكاني فارغاً حتى أتت عيونها

أطرُّز شملُ أناهيت وأطرَّز العالم حتى غيُّبني السكر بالكلامِ

وقامَ كمياب بيننا يسدُّد السهمَ فوضعتُ تحت قدميه

كأسَ خمري ونمتُ.

حاملُ ا لإيقونات يظهرُ

وحاملُ الكؤوس

أسكر وأنقش.. حسناً دعيني أفعل ذلك حتى ألغي

تجاعيد الأفقِ أمامي وحتى تترنمين بنشيد أفغاني قديم.

أشربي يا اناهيت معي ولتشرب تماثيلكِ.. لتشرب

رموزكِ وحاجاتُ الفضةِ في يديكِ.. اشربي من كاسي

من جسدي اشربي يا أناهيت وإني لأعدُكِ بنارٍ تحمُّر

جسدكِ.. أعدُكِ بالخمرِ يفورُ وأعدكِ بالماسِ ينفرطُ من

كلِّ لمسة أعدُكِ أيتها المرتفعةُ البرجية.. يا إقبالات

معادي وجنّتي.

حاملُ الإيقونات يظهرُ.. وحاملُ الكؤوس.. أتمدد

وسطَ الشارعِ وأبوحُ بما أحملُ.ز ضاقَ صدري وضاقَ

بيتي وضاقت المدينة عليِّ. ابو الهول برأس كبش..

المسافةُ تطولُ بين هرمكِ وهرمي.. تعاي أضمّك..

تعاي أُلبسك التاجين.. ماذا يا بنتَ كلمتي.. ثم ماذا يا

بنت نذوري.. ماذا يا بنتَ أدعيتي.. إعطني حيلكِ

واعطني قنديلك لُفِّي ببكرتك خيوطي.

ربما طعمكِ يضربُ الآن لساناً في آخر العالم لكنه معي،

أنتِ هابرة بين باصٍ وشارع وسيارات أجرة وسهام

تموز تضربكِ وأنا أحنِّي لك وأضعُ على عتبةِ الباب المنائر

والقبابَ وأطشُّ البخورَ، الجمالُ والشبقُ صفاتك

وأسرارُك مكنونةٌ في يديك.. ربِّة ممتدحةٌ.. أعطتكِ

جرأتكِ اسماً نادراً وأعطاكِ ترفكِ بريقاً..

يدخلُ كمباب في حانة يغني.. تدخل الكمنجاتُ معه

ويدخل الوردُ.

أتنصتُّ لأنين الزمانِ

وأتوسلُ بالعروةِ.. فكُي همّي

وتدخلينَ.. تمدين يدَ إلى المغزل وتغزلين خرافاتي..
قميصٌ يرفرفُ بشموعي.. بثمرِ كفيكِ تغرسينَ خمراً..

وتحتَ اقدامكِ تضطرب الأرضَ ولا تقدر على أحتمالكِ..

وزنكِ يفوقُ اللآلئ.. وشمسك أطغى من الحقيقة.

تتمددينَ على دغلي وتفتحين شمسياتكِ وتهبطين تلالك..

الماءُ يتدفقُ من ينابيعكِ والثمارُ تتساقطُ من أشجارك،

طعمُكِ طعمُ اللوزِ ورائحتكِ رائحة المسكِ والقمح.

تفتحين ابوابكِ وتشعلين مشاعلكِ وتدلّيني على الطريق.

الضبابُ والظلامُ والندى أردفي سوراً أناهيتاً.. تشطرينَ

شرطِ الخيوط وتتقدمين معي في جحيم المغاور.. سُكركِ

يعلو وسكري يدوخ.. تحتض ثعلبِ شعركِ أسوطُ أرانبي

- قبل أن أجيء لم أكن أريد.ز نصف راغبة ونصف

مكابرة. ولكني لكزتُ فرسي وأتيت. الطريق كله

كنت أريدُ أن أصلَ بسرعةٍ كأنما لأول مرةٍ أراكَ

وأختليكَ. كنت مضطربةً لا أعرف لماذا ولذلك دخّنت

وأنا عطشانةٌ.. كدتُ أنقطع.. عفيه لا تزعل مني..

انذبحت وورُّثت سيجارةً أخرى.. كان جسمي كلّه

يناديك.

لم تعد الكلمات تنفع.

رحلةٌ في الطريق الغامض.. شمُّ العنبر وشمُّ النهود وشمُّ

الفضةِ وأعلق في يدي سورة الرعد وأكتبُ على يدي
الأخرى (أجهرك) وترُ القزُّ يلمع ونورُ اليافوخ يغلي
والحديد يتفطر، ينقلبُ خاتمي إلى أسدٍ يعضُّني وينقلب
زغبها إلى حرير والحوتُ والقمرُ في ميزاني يصعدُ من هنا
وينزلُ من هناك.. رائحةُ الفرو تبطني وأنا افك
أزرار السماء وأفكك زناجيل الكواكب كوكباً بعد آخر
ونقاطُ جسدها تضيُّعني، أشيل صفحة النورِ من بشرتها
وأشيلُ صفحةُ الحضرة والحمد وأشيل الثلج وأشيل طبقةَ
الحمام وانفخُ في المسبر أنفخُ في كراسي الحروف وأحفرُ..
أرفع مصباحها لأدخلَ في ظلامها وأفكَ شفتين وأبوسُ..
أتنصتُ لأنين الزمان وأتوسلُ بالعروة.. فكّي همّي..
أتوسلُ بشبّاك إيك: فرُّج عني. أغمط أنعطُ أنمُ أهوي
وفمي حصاني.. فمي الذي أدرك به القمر وأذوق به
الظلام.

أفيضُ في دخانكِ

شاشة ظهركِ مسبوكةٌ ومشعٌّة

النورُ يحرسُ ثغورَ الأنهارِ، هناكَ حيث محاريبقُ الجسدِ
هناك حيث التعاويذُ المقفلة للفمِ، رمادُ الطيور وبيوضها،
السلالات الهاشمةُ للأسماك
كانت لها قواها النافذةُ التي تنبعُ من فصٍّ شمس في دماغها
كانت لها أيديها الضاربةُ في الينابيع
كانت عيونها الحزينةُ في كلّ المغاور
لا تخدعكِ سرابات الأشياء

يدِّك على صولجانكِ، ورياضتكِ في الشفاه
تحرقين الأخشابَ والعصيَّ وغرابك يروي غرامي
يترطَّب فمي ويتحلِّى بحمد اسمكِ، تاريخي على شكل
غزالٍ من الفخارِ يتفطر
التهبُ في عيوني وتلتهبُ معي مدائحكِ، بخوركِ يحرّك
دماغ الكون ويحرُّك أصابعي، وأنا من فرطِ سكري أطيرُ
في شغاف فضتكِ وأدوفَ طينك الفمَ والثدي والآس
والطيرَ وأعودُ إليك أضبط أوتاري من سرّتك حتى أعلى
رأسي وأسفل قدمي، مثلثُ إيروسي ظلُّ شكلِ الإنسان
كما هو أم تغير؟
أت ِحبيبتي أم أمي أم الكون !!
احتمالاتُ جسدك توحي بتغيرات كثيرة.. وضعَ استراليا
في جهةٍ ووضع كرين لاند في جهةٍ ورتب انشقاق
القارات وأمواجُ المد والجزر في جسدكِ، الهلب الأصفر
تحتَ الأذن وفوقَ الفخذين وعلى الذراع.. الغابات في
الدانوبِ.. الطيورُ في العينين.. الشهقات في الجبال..
المعدان على حافات الأهوار وعلى حافات الفم.. غبارُ
اللوغوس – ورغوةُ الكلماتِ، أنتِ هتاف اللغة وليتكِ
خطفت روحي.
سقطَ القوسُ من يد كمياب ولم يسقطُ السهمُ.. كان
يئنُّ كلٍّ ليلة وكان يدفنُ دموعه في الضباب والضبابُ
(شو) سرٌّ بهيجٌ وينتشرُ ولا يقدر أن يلحق بك.
أفيضُ في دخانك.. شاشةُ ظهرك مسبوكةٌ ومشعّة،
طبعكِ نهاري وسعدُكِ ممازج لمن معه وأنا نارك الدال
على عناصركِ أنفخُ في جسمكِ فتنبتين صنوبراً وكاليوس

وجوري، خلدِّك بيتي ودخلتُ فيكِ فوجدتكِ جسدي.

أفلحي أرضي

لعلكِ تزرعين الرعود فيها

لي بستانٌ هو وجهِّك ولي ملائكةٌ تركضُ وراء مسجدكِ

وكان أهلي ينحرون الشياةَ لمطابع أقدامكِ، بيتنا تهندسَ

على شكل جسدكِ وسواحلنا تعرّجت مثل حافاتك

كنتُ أباتُ في أحضانِ الأمازونات ولا أغفو.. وكنتُ

ألمُّ من إلهات الطب والزراعة خططي.. كانت سومر

تعرفني.. معابدها وكنهتها وأبراج أفلاكها..

صوفي من الشمس ومغزلي من رمالِ البحر..

الآن شدِّي حقويك وافلحي أرضي لعلكِ تزرعينَ الرعودَ

فيها اصطادُ سمكي بخُطافكِ وأنثرُ شلبي بمذراتكِ.. قال

الإله الصغير للمسامير تعال وعلّق عليَّ أغراضك قلت لا

أغلقُ أغراضي على مشجبها

من قبابكِ ستطيرُ الطيورُ

وتنشرُ جناحيها باتجاهي

سوف تعثرين عليّ بين القبور

أرثي أيامي معك.

لا أسكتُ عن فيضك فيَّ ولا أتحدث عن وهجِ سحرك في

عظامي، من يكشفُ وجّد ظلامي ومن يعرف على ماذا

أنطوى، كنزي ميزاني وفراتي فروتكِ، أفتحر بخواتمي

أمام البروقِ الواحدُ يمشي فيَّ وأنا أجفل من نفسي،

لامتني بيارقكِ على هولي وتلاطمت الصقورُ في سمائي.

فصوصي تتساقطُ فوق يديكِ

وفصوصكِ تلمعُ

قوسكِ مثل المطر يرشقُ

وقوسي انقطعَ وتره

هذا حجرٌ وهذا ججرٌ

وأنت ما بين الحجرين تعبانة ومصدّعة

افتريت ليليث من أحلام.. داهمتها في السرير وتصارعت

معها.. أحاطت مخدتها الأفعى ونثرت عليها خضاب

غددها.. كاثرت فوقها الكرومُ وأنضجت بيضَ الحمامِ

حولها.. رمت عليها أوفاقُ السحرِ وتعازيمَ الربط.

دخلت غيوم أناهيت وتمطّت أحلام داخلها ثم استيقظت

من الذي افزعكِ؟

صارت أحلام أقنوماً.. ثلاثٌ في واحدة.. أسطورةُ

العصر الحديدي.. الأقوامُ الناريةُ تتظافرُ على الماء..

مامو أبنة الشمس الملوثة بليليث وأناهيت.. في مقابل

خزائيل إنكي.. اتحدت البراكين ضد البحر

كان لهاثُ الغابات مقدساً وكانت الفخاريات تتكسر في

التاريخ وآلهة السماءِ يبكون.. وعدتني تلكَ الملتهبة

بالحنانِ.. سارياتي تتحطمُ وأنا في العراءِ.

أحبُّ نار الجسد وأكره نارَ المعاني، جاءت إليّ من

قاموسها الناري.. لم أ كن ماءً بل كنتُ أتنسُّم في غيمتي

إغواؤكِ سهلٌ وطريقك مفتتوحٌ

الودعُ يقولُ هنا حصاةٌ وهنا حصاتق وما بينهما نجمٌ،

خافي على رَجِلكِ الحلوُّ هذا.. تحيط به النساء وهو لا
يقوى يا عيني على مقاومتهن.. شدِّي يديه بثدييك
وشدِّي شفتيه بشفريك وشدِّي عقله برموزك..
هذا حجرٌ وهذا حجرٌ وأنتِ ما بين الحجرين تعبانةٌ
ومصدَّعة وخائفةٌ من دروبِ رَجِلكِ ومن حيلِهِ، السنبلةُ
معكِ والزهرةُ معكِ ودرب الريحان لكِ.
مخاصمٌ وسلطانه غريبٌ
لا ينالُ ما يريدُ.. أفصحَ عن رغباته في أحلامه لكنَّ شيئا
لم يتحقق منها (ث، ط، ك، خ، ن) إلى الأبد سِرُّهْ
عندها لكنها لا تأبه وهو لوحده يمارس رغباته يضعها في
فمه ويضع فمها فيه ويتمطرح في خيالاته حتى يهلك من
البكاء.

أحلام لي أنا

أرمي أسلحتي لكنكِ لا ترمين أسلحتكِ
تركت سيفها في طيني ومحها في جداري وشبكتها في
مياهي.. تركت خائتمها في نومي وتركت زهورها في
ضريحي، تركت النجومَ في قلبي وتركت ماسها في
عضلاتي
تركت إيقاعها في كلامي وتركت كلامها في لساني
وتركت لسانها في دفائني..
تفرحُ بمقابضها وأفرحُ بقيودي
تفرحُ بفرسها وأفرحُ بحماري
هاويتها قُممي وصواعقها أنواري

غرزاتُ المغزلِ في شفتي تخيطُ الأغنيةَ التي أرددها لكِ

تمثالكِ في دخاني ولم أنحت بعدُ تمثالي

أجمعُ ما يتساقطُ منكِ من النجومِ والبذورِ

ما أمجدكِ

ما أمجدَ رخامكِ وعنايتك

ورداتكِ في الطريق الطويل.. وبيدي إبريقُ الماء أسقيها

سيم حديقتكِ محكمٌ ورغباتي تنبضُ مثل قلبي

أقيسُ تهدُّم قلاعي وأقيس تهدُّم الظلام، وهجُ شذركِ

أقيسه ومشاعلُ عيوني في التيه، أعدُّ النسورَ التي اصطدتها

في سمائكِ وأعدُّ الجذورَ التي شتلتها في أرضكِ

كان الجهال حولي يصفقون

وكانت توابيتُ الأكراد تتجهُ بعيداً

وكان زورقكِ يشقّ الآفاق

أنثرُ العطورُ وراءكِ

وأضربُ غارَ الكلمةِ بأغصاني

أضربُ عقلي بوهجٍ منكِ

وأتوجعُ.. أتوجعُ حتى أموت

أحلام لي أنا.

فردوس أحلام

حسناً سأعرفُ ف سواقي الليل وردي

حسناً..

وأعرفُ جمرتي

لأرى جمالُ الفجرِ

- ذاك الفجرُ حينَ نجرجرُ ذيلهُ

ونغوصُ فيه ملطّخين ببعضنا –

لأرى عيون الشمس في عيني

وأعزفُ نوتتي

ورمادَ أوراقي وخمري.

من ذا يصدُّق أنني أمسكت،

من بين الفراشات، التي حملت

على أطرافها ذهبَ الزمان.

من ذا يصدقُ أن كأسيَ مترعٌ

حتى يشيخَ الخمرُ في الدنيا

وحتى تنتشي الغابات من لغتي،

وأحفرُ في الظلام

لتفيق من ولهٍ وتصرخُ..

لا تصدقُ، أو تصدقُ، أننا وسطَ الجنونِ

ولا جنونَ سوى ه وانا.

حنساً.. سأعزفُ حتى تذبلَ العينان من دمعٍ

وحتى ينطفي الكفان من عزفٍ

وأعزفُ.. أعزفُ

أعزفُ ما رأيت:

أموتنْ عليك

وأصبرُ يوماً ويومين حتى أراكِ

أموتّنْ

أموتنْ عليك

وأصبرُ يوماً ويومين حتى أراكِ

وحين أراكِ أذوبُ طويلاً بحضن يديكِ

وحين ا راكِ أبوسُ زماني على حاجبيكِ

وحين أراكِ أغطُّ وأطلعُ بين مياهكِ

مثل غريقٍ على ضفتيكِ

وحين أراكِ أشقُّ ثيابي وألطمُ حُباً

وأزحف فجراً وصبحاً وليلاً

لأغفو قليلاً على ركبتيكِ

وحين أراكِ ألفُّ كياني بجذعِ نخيلكِ

أبكي وأذوي وحتى أموتَّنْ

أموتَنْ عليكِ.

عيونها المثلثة

تصطدمُ خيولُ الضوءِ بخيولِ الظلام في عيونها

أسرابٌ من الطيورِ تفرُّ

الآفاقُ تتداعى

عيونها المثلثةُ التي تضحكُ دائماً وتجذبُ النجومَ إليها

عيونها التي تتراشقُ مع الناسِ الأسئلة

عيونها التي تفيضُ بالطبيعة العذراء

عيونها التي تفضحُ مغاورَ الأقاصي.

البذورُ تطقُّ لأن عيونها تتفتحُ

الطيورُ تطيرُ لأن عيونها تبتسمُ

البراكينُ تثور لأن عيونها تغضبُ

السماءُ تمطرُ لأن عيونها تدمعُ

الشمسُ تشعُّ لن عيونها تلمعُ

عيونها المثلثة

تُلقي علينا أشعة الشمسِ أكواماً من المثلثات

عيوهها المثلثة

شيَّدت الزقورات والأهرامات والجنائن على شكلها

عيونها كلُّ هذا

لأنها تسكنُ في هذه العيون

ولا تبارحها أبداً.

سحركِ المطلق

ذلكَ هو سحركِ المطلقُ

أن تبعثي الحياة في جذوري

أن تمطري حتى أفيضَ

أن تهزّي الشمس في عظامي

أن تحقني الجمالَ في أغواري البعيدة

ذلكَ هو سحركِ المطلقُ

أن ترفعي المنارات في روحي كلّما تذكرتك

أن تنشري الطيورَ تحت سمائي

أن يشعَّ دمي بكِ.

ذلك هو سحركِ المطلق

تمسكين بي وأنا على حافةِ الهاوية

تُزهرين في روحي وأنا أتعذبُ

تحوليني إلى ملاكٍ يغني

تحولينَ طريقي من حجارةٍ إلى وردٍ

تملأين ظلامي بالنجوم

تدعيني أتدفقُ بمجرد أن أنظرَ غليكِ

ذلكَ هو سِحركِ المطلق.

الشعرة البيضاء الوحيدة

بعد نصف قرن

الشعرةُ البيضاء الوحيدةُ في غابة شعركِ الأسود

تمنحني ضوءاً ينزلُ إلى أعماقي القصّية ويحرّكها

الشعرةُ البيضاء ليست وحيدةً إلى هذا الحدّ

معها ومضة قلبي

معها شهقةُ روحي

الشعرةُ البيضاء الوحيدةُ

تضيء شعركِ

مثلما تضيء ليلي

الشعرةُ البيضاء الوحيدة

علامةُ شبابكِ بعد نصف قرن.

عيني

عيني التي كحّلتها غلى الأبدْ

بوجحكِ

ما أغمضت يوماً على بُعدٍ

ولا تفّتحت على تلذْ

عيني التي كحّلتها

لم ترتجف يوماً

ولكن مسَّها الرمَدْ.

من سيغفر لي

من سيغفرُ لي

لو أنكِ ضعتِ

وأنكِ، مثل دموعي، في غربتي،

من عذابٍ، سرحتِ

لقد كنتِ وردي وروحي

وقد كنتِ غصنَ الجمالَ أجوبُ به الكونَ

أو أتقي به برصَ الآخرينْ

وقد كنتِ درعي أمامَ السنين

وقد كنتِ ذاك المدى والسفين.

من سيغفر لي

لو أني مزُّقت روحي وأني قطُّعت جسمي إلى قطعٍ

ورميتُ به مدناً من حجر

وأني ألقيتُ سلِّة حبك للبحرِ

أفسدتُ لونَ القمر

من سيغفر لي

لو أنكِ سرتِ بعيداً

إلى جهةٍ لستُ أعرفها وأختفيتِ

وحنّيت بابي بكفّ الوداع

فمن كان، غيرك، يعطي لقلبي نبضاً أعيشُ به

ومن كان يمنحُ كفي الشراع.

من سيغفرُ لي

لو أني أدميتُ قلبي بغيركِ

صرتُ أسيرَ العذاب

من سيغفرُ لي

لو أني كنتُ هناك

بتيهٍ من الخبطِ والخمرِ والغيمِ والغانيات

وماذا سأحصدُ غير يدين مجرّحتين

ماذا سوى الأغنيات؟

من سيغفرُ لي أو لكِ

لو أني كنتُ هناك !!

ماشةُ شعركِ

اليوم.. وجدتُ ماشةَ شعركِ على مخدّتي

لا أعرفُ من أين سقطت

أنتِ بعيدة عني في بغداد منذ سنين

إذن.ز من أين أتت هذه الماشةُ؟

متى حللتِ شعَرَكِ ونسيتها هنا؟

هل عندما ذهبتُ إلى العمل

تسللتِ غلى غرفتنا القديمة ونشرتِ شعركِ

ونمتِ قليلاً ثم رحلتِ قبل أن أجيء؟

هل عندما غفوتُ

ولم يكن حلماً ذلك الذي رايتكِ فيه

تفرشين شعركِ على سريري؟

متى إذن.. سقطت هذه الماشةُ؟

هل ألقتها الطيورُ من الأعالي أم أتت بها الغزلان؟

آه يا قلبي.. كم من الأوهام تصنع وكم من الحقائق؟

ينابيعنا يا أحلام

تعالي معي يا حبيبة روحي

لنذهبَ صوبَ الينابيع

حيث بدأنا

حيث بدأنا

لكم كانت الأرضُ ترعي صباكِ

وكم كانَ، قربَ مياه الجداول، سحركِ ينبضً

هناك، على ضفة الشطرة، درتِ مع الشمسِ

هناكَ بذرتِ النخيل

هناكَ رعيتِ الأوزَّ

هناك فتنتِ الحقولَ

وفي (البدعة) يا ما لمستِ المياه

وداخَ بها سمكٌ فرطَ طلعٍ عجيبٍ يُبعثرُ منكِ

تعالي معي صوبَ كركوك

نلمحُ ذاك الصبي الذي بانتظار القطار لينقله،

كلِّ يوم، غلى مدنٍ في الغيوم

إلى دفترٍ كان يجمعُ فيه الكلامَ الذي سيبرقهُ،

ذاتَ يومٍ، إليكِ

إلى سلِّة من ورودٍ يخبؤها في بطونِ الزمان

ليحملها، في خريفٍ، إليكِ

تعالي إلى وجهه الناحل عند مدارس (أربيل)

أو في ضواحي (المحاويل) يجمعُ، من شغفٍ، ورقاً من

صنوفِ النبات ويزرعه في النجوم الحزينة

تعالي لنربطَ تلكَ الجهاتِ بنقطتها الواحدة

ونجمعُ بين صباكِ الذي في الجنوبِ

وحزني الذي في الشمال

تعالي لنحيي عراقاً أضاء بنا

وهدهدنا في السهول وفوقَ الجبال

تعالي لنربطَ نهراً بنهرٍ

وشمساً بأرضٍ

وشالاً بشالْ.

أتدفأ بأسراري

معك فقط أتدفُّأ بأسراري

لا أبوح لكِ بها

ولكني استعملها خشباً لأوقد بها النارَ التي بيننا

لا أبوحُ لكِ بها

ولكني أتهيُّج بها لأجلكِ

لا ابوحُ لكِ بها

ولكني أعتصرُ خلاصتها في إنائكِ

أتدفَّا بأسراري

أضرمُ بها هلاللكِ لأحوله بدراً

أشعلُ بها جسدكِ لأجعله مضيئاً

أفتحُ بها الممرات السرية بيننا

وأتوغل بها إلى جحيمكِ وجحيمي

أطلُّ بها على فردوسكِ وفردوسي

وأرصدُ بها تحولاتكِ وتحولاتي

أتدفأُ بأسراري

أرتبها كلِّ يوم في قصائدي

وأنثرها على كتبي وعلى ثيابكِ

أتلذذُ بالرعشات ا لصغيرة ا لتي تُطلقها فيّ

أتلذذُ بلهبها الخفيف الذي يورُّد أيامي

أتلذذُ بدخانها الذي يلُّمس عيوني.

أتدفَّأ بأسراري

وأربُطكِ بها دونَ أن تشعري

لتنبتَ على رباطي معكِ زهورٌ وفراشاتٌ وأمطارُ

تسقطُ كلِّ يوم عل أرضي وأرضي

دون أن أشعرَ بها أو تشعرين بها

أتدفّأ بأسراري معكِ فقط

وقد لا أتذكرها مع غيركِ أبداً.

هذا فعلتيِه بي

هذا ما فعلتِه بي

موقدٌ من الجمرِ في داخلي يضيءُ وجهي

ظلامُ أيامي يذوبُ ويتفتت

كنوزي تتضّح.

هذا ما فعلتِه بي

نهرٌ من الذهبِ يتدفقُ بي

مراكبٌ لا توقفها الآفاق

الطيورُ التي في أعماقِ هاويتي تطيرُ

والأشجارُ التي في صحرائي تتكاثر

هذا ما فعلتِه بي

بذرتِ قمراً في مياهي

وحرّكت السمكَ الفضيّ في أعماقي

نقرتِ دفوفي فلم تتوقف عن القرعِ

ووضعتِ تاجاً على رأسي وأنحنيتِ لي

هذا ما فعلتِه بي

جرحتِ بأصابعكِ كيسَ خرائبي

ونفختِ بفمكِ رمادي

ومسحتِ بشالكِ جروحي

وجمعتِ الزهور المتساقطة من جسدي في قصائدي

هذا ما فعلتِه بي

حوّلتيني من جوّال إلى مغنٍ

وزرعتِ في فمي البذور

وجعلتيني أطوفُ البلدانَ

وأغني عن ما فعلتِه بي.

كان لا بدَ أن أتحركَ وأمدَّ يدا لكِ وأحييكِ

وكان لا بدَ أن أدلقَ شلالَ النورِ عليكِ

كان لا بدَ أن أنفخَ الطلعَ على جسدكِ

مشيمتي

يومَ عجنتني ووضعتني في القمر

يوم صنعتيني من كسرِ النجوم ووضعتيني في السماء

كان لا بد أن ارشحَ في اهدابكِ ليلاً

وأن أتدفقَ في عروقكِ

وهناكَ في أ عالي الليل

كنتُ أنتظرُ أصابعكِ تبلّني بالورد

وفمكِ يُشبعني قُبلاً

لا تسافري أرجوكِ

لا تحملي حقائبكِ وترحلي

كي لا أسقطَ من القمرِ

وكي لا تتفكك أوصالي من النجوم وأطيح

لا تغفلي عني

كي لا أغفل عن نفسي

وكي لا تنفصلَ جذوري من السماءِ

هناك دعيني هناك

امطرُ بكِ وتتشربين بي

ولا تنزعيني عن مشيمتي

المربوطة بكِ وبالسماء.

كأسنا الذي يفور

كأسنا الآن يفورُ

هل يفورُ الكأسُ من وردٍ؟

أمن دمعٍ؟

أمن قطرةِ ضحكٍ؟

ما الذي يحملهُ الليلُ الذي كنَّا به نمزج كأسينا

أزيحي الآن ستراً بيننا

كوني كما كنتِ خضابَ الأرضِ

كوني طفلةَ الماءِ وطوفي

وضعي صفِّ جناحيك وطيري

وضعي بحراً على بيتكِ

جمراً في التفاصيل

ونادي كلِّ من أحببت

نادي ضهوةَ التاريخ.. نادي النارَ

هل نارٌ سوى أحلام تسري

في عروقِ المعدنِ الغائصِ في روحي؟

وهل وردٌ سواها

يرشقُ الروح؟

وهل ماءٌ سواها أشتهيه؟

هل نبضٌ على مبسمها يرصعُ قلبي؟

ما الذي حرَّك في عقلي السماء

ما الذي أنبت في صحرائي المجذاف

من جاءَ بأور

وبجوديا ومن حرَّك تلوّ

وترى من شق في درعِ إنانا غيمةً؟

هل يفورُ الكأسُ من وهمٍ

ولا أحلى من الوهمِ إذا كان

ولا أرحم من قبضتهِ لو عصرَ الدنيا بنا

ريحُ مَنْ هذي التي أطلقتهِا في جُبّتي

تنفعً أوراقي

تكوي صحفي؟

ريحُ مَن تفتحُ في تاريخي الأعمى عيوناً

وتصلي بالملايين على الماءِ وتعلو؟

هل يفورُ الكأس من إصبعكِ بلّ جبيني؟

هل يفورُ الكأسُ من خردلةٍ

تسقط من غصنكِ؟

أحتاجُ إلى عينيكِ كي أعرف بيتي

ولكي أعرفَ أني في سراطٍ نحو قلبي

هل يفورُ الكأس من ضمٍ؟

أنا في الضيم

لا أعرف ليلي من نهاري

ولا أعرف هل كان يفورُ الكأسُ أم كنتُ افور؟

أم كلانا أنا والكأس، على جمر يديكِ نتحنُّى ونفور؟

هكذا خطفتِني

هكذا خطفتِني من البعيد

وجعلتِني قربَ لوعاتكِ وجمالكِ الغريب

أبرقتِ فيَّ شرارتكِ وجعلتِني احترقُ قربكِ

هكذا خطفتِني من الأعالي

وجعلتِني أسفلَ غيمتكِ

وقِّعت على نصوصكِ وهي في يدي

وجعلتِني أستعديها في قصائدي

هكذا جعلتِني تحتَ عطرِ يديكِ

أمطرُ ما تبقى من جسدي

هكذا خطفتِتني من الأعماقِ

ووضعتِني أعلى قبابكِ وربطتِني بالنجوم

هكذا تنسَّمتُ حريركِ في أمواج السماءِ

وتلألأتُ في أصابعكِ

هكذا خطفتِني من الغربِ

وجعلتِني أتصيُّد الفراشات في شرقكِ

أقطفُ من نخيلكِ العسلَ

وأنبضُ في إيقوناتكِ وأتحلّى بموسيقا سومرك

هكذا خطفتِني من الشمالِ

وجعلتِني أقطرُ جنوباً معكِ

وناولتِني الطينَ الحريّ

والسمكَ البنيّ

وجعلتِني ألطمُ حباً.. وجعلتِني أغرفُ سلالاتِ

الحزنِ والجمال

هكذا خطفتِني من الناس

وجعلتِني أحضنُ الناسَ كلّهم في أعماقي

وأُحبُ ألوانهم في أمواجي

وجعلتِني أذوقُ طعمهم وأتنشقُ جهاتهم

هكذا.. هكذا خطفتِني

وجعلتِني مخطوفاً إلى الأبد.

لقد وجدتُ طريقي إليكِ

ولن أتوقفَ عن المسير

أحفرُ الحفَرَ وأتشلقُ الجبالَ

وأنزلُ بالمناطيد وأغوصُ بعباءةِ الأسماكِ

ولكني وجدتُ طريقي إليكِ

لنْ أحيدَ

لن أحيدَ عنكِ أبداً

سأظلُّ أضبط بأجنحتي المناراتِ

وسأبقى مثل طيورِ الليلِ ارتطمُ بكِ

لكني لن أحيدَ عنكِ

لقد حفرتُ بالشِعرِ أنفاقاً إليكِ

وصنعتُ بالصبرِ السلالمَ لأصلَ إلى غرفكِ العالية

لقد أوصلتني أنفاسي العميقة إلى حافات جزركِ

وقد أمسكتُ بحبالي قوياً حتى أترنحَ بين غيومكِ

ولذا لن أحيد عنكِ

خطوةٌ واحدةٌ وأصلُ إليكِ

قفزةٌ واحدةٌ وأمسكُ بكِ

سطرٌ واحدٌ وأقبضُ عليكِ

ولذا.. أرجوكِ

أن لا تحيدي عني

لأني لن أحيدَ عنكِ أبداً.

الممدَّدةُ

تمددتِ كعمودٍ من الضوءِ أمامي

تمددتِ وكانت شُعُلكِ تطيحُ من السريرِ ع لى قدمي

تمددتِ كتمثالِ رخامٍ إغريقي

وكانت اللمساتُ الورديةُ على جلدكِ تنبضُ

تمددتِ ولم أكن أملكُ سوى عينين

أما يدياي وأذناي وفمي وأقدامي فقد تبخرت

كانت أقدامكِ تُشبهُ أسماكاً صغيرةً لامعةً

وكانت أياديكِ تُشبهُ زهوراً مخضبَّة، وكانت نهوكِ تُشبهُ

حماماً يكادُ يطير، وكنتِ مثلب فجرٍ من الشمعِ المحنّى

كنتِ ممدةً مثل ملاكِ الغرام

كنتِ متبَّلة بالضوء مثل ظهيرةِ الربيعِ

كنتِ مثل ساحلٍ يومضُ بمحارٍ لا حصر له

كنتِ ممدةٍ على السرير وكنتُ لا أفعل شيئاً سوى

التحديق بكِ، وكانت عيوني تزدادُ ضعفاً كلما مرَّ الوقت.

إله الحسرات

ما الذي يفعله العاشقُ إن ضاقت بزوُّادته شمس الحياةْ

ما الذي أفعله الآن وقد غابت شياهي

وطوى أغصانهم عني الرعاةْ

ما الذي أفعلهُ الآن بعيداً عن يدي أحلام

عن ضحكتها تصعقُ كالبرقِ

وعن ريشِ الحمامِ

في ثناياها

وعن شمسِ العراق

ترتوي بالطالعِ من قبلتها.. يغلي الفراتْ

يا إله الحسراتْ

كم نفختَ أليأسَ عن صدري

وكم أرحيتَ في نهري مشاحيفكَ

كم أفلقت بذراتي وجمَّعت ا لرُفاتْ

يا إله الحسراتْ

خفِّف الوطأ على روحي

فقد مَرت سنونٌ وسنون

وأنا أرشحُ حباً، وأنا أقطرُ دمعاً

ضمَّني فيك إله الحسرات

وأربط النهرَ الذي صارَ بعيداً بيديّ

اربط الشمسةً أحلام بروحي

اربط الأقمارَ

مروان.. ثريا.. مروه.. عليّ

بعيوني

اربط النهرَ الذي جفّ بقلبي

بذري دجلة يجتاحُ دمي الطوفانُ

ضمّ الضفتين

يا إله الحسراتْ

ولنكن في ضفةٍ واحدةٍ نحيا

فقد طال الشُتات.

زيلدا

فَعلنْ فَعْلنْ فَعلاتُنْ

شمسٌ تخرجُ من ليلٍ

قطعٌ زيلدا من صوتكِ

قطعٌ ماسٌ تغمرنا

نرقصُ ليلاً ونهاراً

نرقصُ نخبكِ يا زيلدا

حرَّكت أسلاكها موج خطانا

ليلةٌ يُشعلها ضوءُ القمر

ليلةٌ تحترق الآن بنيرانِ أغانيكِ

ليلةٌ تركيةٌ تُلبسنا حمرَ السراويل وتيجانَ الطنافس

ليلةٌ تركية ترشقُ سيقان المحبِّين وتلويحات أيديهم

أفقنا من دموع الليل

صار الليلُ فينا

خمرنا اسودَّ وطارت من رماد الكأسِ أشباحٌ

وشلخت يدنا

لم تعد زيلدا سوى بحّة ماضٍ

ثم قام الموتُ مخموراً يراقصنا

وتهنا في الغبار.

آمين

قالت: الآنَ اتخذْ مني شمعاتٍ لما يأتي من الأيامِ

وأزرعني على دربكَ ورداً وحماماً

قلتُ: ما تحمله الأيامُ أقسى

قالت: الغصنُ سلامي وتعاويذي طيورٌ

وجهها يشبه وجهي

قلتُ: ينبوعكِ من عين إنانا وثُرياك من الزُهرةِ

قالت: يا إلهي.. كم من العشقِ تريد؟

ضحكتْ أحلامُ.. في سلّتها تمثال ننسونا وفي سلُّتها سبع

حضاراتٍ وفي سلُّتها مفتاح دلمون وفي سلُّتها ضوء عيوني

قالت: الآن اتخذ مني فجراً

قبلَ أن يبقى ظلامُ الحربِ والموتِ طويلاً

قلت: ما ألطفَ أنوارك لن يبقى ظلامُ الموتِ ما دمتِ معي

فنختْ أحلامُ في الناي وغنت

نفختْ في ورقي روحاً وفي كفي زهراً

نفختْ أشرعةَ النهرِ وسارت فوقَ ماءِ البحرِ ليلاً

قالت: الآن اتخذ مني ماءً واسترحْ في قاعي الأبعد والتفّ

بروحي، فلعلَّ الماء يأويكَ ويعلو فيكَ نسغٌ

قلتُ: من مائكِ أطلقتُ إلى الدنيا يديّ

قالت: اشتدَ بي الوجدُ إلى الدنيا فزدني سَهراً زدني حريقاً

واتخذني فرساً اصهلُ في معبد إنانا وفي برجِ أريدو

جمحتْ أحلامُ في فردوسها تجمعُ تاريخَ الإلهات وتطوي

في خطاها شُعلَ الفردوسِ، هامت في ضبابِ العشقِ، لم

تسمعَ صوتي

قلت: من أنتِ؟.. أجيبي

قالت: الآن أزحْ عني حجابي

أنا حواءُ وعشتارُ وإيزيسُ ومريم

وأنا صاحبةُ الحمِّام في كركوك

أنا الأم التي ربَّتك طفلا

أنا جسمُ وأحلام ومروه

قلت: آ... مين..... نْ.

حرَّكي معي بداية المياه

حرّكي معي بداية المياه

حرِّكي موجك العميقَ في دمي

واربطي دجلةَ الحزين في يدي

اربطي الشفاهَ بماءِ الشفاه

حرِّكي جهات الرياح بغابةِ شعركِ فجراً

وانثري الخصبَ في الهواءِ، وامطري وابرقي

وارعدي واملئي الأرضَ بالسماء

حرّكي معي بداية الزمان

واجعليه غُباراً على يديكِ

حرِّكي معي بداية الطريق

ودعينا نحاصرُ الفُراقْ

ودعي بيتنا أرضَ فردوسنا

وليكن بيننا، إلى أبد الآبدين، العِناقْ

وليكن سهلّنا وسمانا العراق.

آخرُ صورةٍ لكِ

أنظرُ إلى آخرِ صورةٍ لكِ معي

أرى بريقَ الأملِ في عينيكِ

فيتبددُ أمامي دُخانُ الحروبِ والحصارِ

أشعرُ أنكِ قوية الجذورِ مثل نخلةٍ عراقيةٍ

واقفةٍ بوجه الريح.

انظرُ إلى آخر صورةٍ لك معي

أرى بسالة وجهكِ وجماله

مثل عشتار ومثل إيزيس ومثل فينوس

يقطرُ منه الوعدُ بقوةِ الحياةِ

أنظرُ إلى آخرِ صورةٍ لك معي

أرى شعركِ الأسودَ الفاحمَ

بعد نصف قرنٍ من أهوال الزمان

وأرى جذوره المشرِّبة بأرض السواد

ونهاياته القابضة بقوة على الجراحِ.

أنظرُ إلى آخر صورةٍ لك معي

أرى شفتيكِ الصاعقتين بابتسامةٍ واثقةٍ

واللينتين بحبٍ لا حدود له

أنظرُ إلى آخر صورةٍ لك معي

أرى يديكِ المشبوكتين على بعضهما

تفيضان بماءِ دجلة والفرات

وتسرَّحان المشاحيف والأسماكَ والبردي فيهما

أرى الماء نازلاً منهما إلى أطرافِ ثيابكِ الطويلة.

أنظرُ إلى آخر صورةٍ لك معي

أرى صورتي جنبكِ تتكأُ

على معماركِ المتعالي هذا

وأرى نفسي رهينةً

بصلابتكِ ورقِّتك مخلوطتين بحسبان.

أيام فاض الوردُ

أيام فاضَ الوردُ من قدميكِ، حافيةً على الزبدِ الطريّ

تُراقصين الفجرَ تمتحنين صبركِ في مصارعةِ الليالي

السود، صبركِ في الوداعا التي لا تنتهي، سفرٌ

إلى عمَّان ملتبسٌ، سفرٌ إلى ليبيا طويلٌ، سفرٌ إلى

غُرف المنافي واحتقانِ الدمعِ في العينين، والوردُ

الذي على مهلٍ يفيضُ من الشفاه.ز من المناحر..

من أسيلِ الساقِ.. من أنهارِ جسمكِ.. من

يديكِ تضلالان الضوءَ والرغبات.. من وجع

الفراق يطولُ ولا يلينْ.

أيام فاضَ الليلُ من شَعْرٍ يلفُّ شهابه ويطير من حزنٍ إلى

حزنٍ ويرشقُ رايتي، ماذا إذا عصفت رياحٌ.. ما

لشعركِ يستحيلُ منارةً ويسيرُ مستتراً بغيمٍ، أيُّ

معنى يستحمُ به الوجعُ الحنين.

أيام فاضَّ الدمعُ من أحلى العيون وبلَّ درب النارِ.. بلّ

مواكباً تمضي وترجعُ صوبَ بغداد الجريحة.. بلّ

الناسَ تخرجُ من مقابرها تودُّع آخر الأحباب

ينحدرون من ليل الحروب مطوّحين بصمتهم.

أيام فاض الدمعُ يرثي أهلنا وبيوتنا وحفائرَ المدن التي

رحلت بها الأيامُ يفضحها الأنين

أيام فاضَ الدمعُ.. كنتِ كسيرةً تقفين في أعلى البيوتِ

وتنحبين وكنتُ، من وجعٍ، على بعدٍ الملمُ ما

تساقطَ من دموعكِ أمسحُ وجهكِ الدريّ..

أمسحُ مقلتيكِ بطرفِ منديلي المبلّل بالدماء

وبالعيونْ.

أيام فاضَ الدمع

كنتُ لا أبكي

ولا أحكي

وكان الموتُ يحفرني

ويستبدُ بي الجنون.

مامو

كنتِ تخرجين من أصابعه

وتضفرين شعركِ تحتَ شجرةِ الخلود

وكنتُ أنظرُ إليكِ من خلال الأغصان

وأرى أصابعهُ تمرِّ عليك وتقدُّم لك الثمرة

حلالٌ عليه.. حرامٌ علينا

حين هبطّت إلى الأرض

دفع بكِ إليَّ.ز كي تدفعي بي إلى الجحيم

نهارُهُ فردوسٌ.. ونهارنا سخام

فتحت (مامو) اسطرلابها الطينيّ

وقرأت مصيري:

- كلما حصلتَ على فردوسٍ ستُطرُ منه.

يراني من بعيدٍ ولا أراه.

تتقدم (مامو) بعصاها المقوّسة في حقولي

وترى صاحباتي:

ماذا تفعلُ بكلّ هذا؟

ما دام يطردني من فردوسهِ أصنعُ لي فردوساً في كلِّ امرأة

معك حق

إلهة الأحلام (مامو) تفسُّر حُلمي:

- ستبكي طويلاً إذا وقفتَ هكذا في معبدي.

- كان بإمكانكِ أن تكوني معي منذُ هبطنا إلى الأرض

تفتحُ ب ابَ معبدها بالعصا وتطردني أيضاً.

- الجحيمُ هو غيرُكِ يا مامو

لماذا تدفعين بي إلى الهاوية

- خذ هذه التمائم وتطيّبْ

تميمةُ الوردِ لتنيرَ قلبكَ

تميمةُ الشمسِ لتطيل عمرك

تميمةُ سين لتجعلكَ أكثر رقّة

تميمةُ النجمة لتزيد ولعك بيّ

-حسناً أسمِّيك منذ اليوم (أحلام)

لم تعد مامو سوى ذاكرتي والأطياف الهاربة

لفردوسي وجحيمي

أسمِّيك منذ اليوم سيدّتي وبيتي الذي أسكنُ فيه.

أغنيات رأس السنة

بعدَ الرقصِ طويلاً ورفع الأنخاب في أول ساعاتِ رأس

السنة جاء دور التخت الشرقين هيا غنّي لنا يا مامو

في ذلك البيتِ الفسيحن في رابيات الكرومِ والوردِ

يجتمع الشعراءُ وحبيباتهمن يغنون ويرقصون، ما الذي

يفعله (حكمت) ذو الخاتم الأخضرِ في خنصره..

كان لوحدهِ، ما الذي يحملهُ (حميد) من أغاني يحيي

حمدي ورضا علي ومسعود العمارتلي، ما الذي يحملهُ

الليل الضبابيّ وكفخات النبيذ الفلْ، ماذا في يدِ النارِ

سوى مرمرِ أصواتٍ تغني وهي تقطف الكروم.

- (أحاول أنسى حبك)...

موجٌ من الحرير يخرجُ من صوتكِ، استفاقَ منجمُ

الجمال فيَّ، كان صوتكِ الحزينُ مثل رشقةٍ من

السهامِ نحو قلبي، كان حبي الذي يصعب نسيان

مراعيه يطيرُ عالياً.

في ذلك البيتِ الفسيحن كلما استفاق العاشقون ردّهم

خضاب عشقٍ راكزٍ صوبَ صلاةٍ، سجدَ المغنون

لصوتٍ قادمٍ من المجرّات، استفاقوا.. في كمنجات

يديهم زهرةٌ ونسمةٌ من النجوم.

- (سلّمْ.. سلّمْ.. بعيونك الحلوات)

كأسي يطيرُ، وردتي وخاتمي وصولجان شعري

كلما رميتِ بالحريرِ رنّت الأجراس في دمي،

كل يوم المحبة تزيد.

أقفلت (منى) عيونها ودمعها يجري على الظلام

لفّ بيتها القديم، وصاح (عادل) انتهت أيامنا

إلى الغناء أين شعرُنا الجميلُ لا ينساب في أنهارِ

صوتها.

في ذلك البيتِ الفسيح، كلما لكزنا فرسَ النجوم في

الصالةِ طاحت النيران فوقَ وردنا الخافقِ بالجنونِ،

كانت الأيامُ مثل معبرِ الشلاّل ترشقُ الجمالَ كان ليلنا

يفور في كفوفنا.

- (يا خشوف...)

التي تأتي من البصرة.. أو تأتي من الحلّة أبو بغداد

صاح (فاضل).. الله. وكانت السماءُ

تستجيب، إرفعي أحلام صوتكِ العجيب، يمّه

قتلني الحلو بهميانه، كانت (سعاد) ترفعُ الألواح

فوق متنها، والنائحون بين وردةٍ ووردةٍ يمشون

مثل مركبٍ فيه الخُشوف.

كان (علي) يحاول فكّ لغز هذه الخشوف،

لابس محابس ذهب...

في ذلك البيت الفسيح.. السلام على تلكَ الأيام

البريئة العذبة والظلامُ على من أوقفها وشتَّت شملنا،

كلٍّ واحد في بلدٍ وكلنا يقول:

يا إلهي متى نعود؟

مطر وجمر

بستان هذي النار مغموسٌ بماء

بستانها مطرٌ وجمرٌ

بستان أيديها دفوفٌ في دمي

تتبعي معي نقلات ليليث في بساتينكِ

تتبعي شيطانات الليل وهنَّ يعصبنَ

عيوني ويأخذنني أسيراً

تتبعي الشموعَ السوداء التي تطلعُ من

الزوايا وهي تنبحُ ضوءها الخافت

عيني تعذبني وطلعٌ طائرٌ يهذي بها

بستانها النيرانُ تأكل خرقتي

بسانها الأنهارُ تهدر في خرابي

مطرٌ وجمرٌ في عيوني يخلطان هزائمي وملامحي

أصغي لتراب رأسي يتساقط بين كفيّ

وأصغي لحروفي تتجمع حول الأسماكِ

ولخمرٍ يقطرُ من سرِّة السماءِ، اصغي

لعظامٍ تنبتُ في صحرائي ولهزائم تنبت

في ملامحي، أصغي لثيرانٍ تخرجُ من

جسدي ولنجومٍ تتقلبُ في كبدي

مطرٌ وجمرُ يخلطان أوائلي بأواخري

مطرٌ وجمرٌ يهطلان على سريري

ويدي على بستانها تبكي

ويبكيني حريري.

إغواءات مامو

هل كانت الأشجار بعضُ ترجمات فيضكِ العجيب؟

أم كانت النهار منكِ نبض ولوعةٍ ولمسةٍ تركتها هناكَ أو هنا.

أم كانت الأيام سطر ضحكةٍ، أم كنتِ ورداً في اليدين !

هل كنتِ ربِّة الفنون تظهرين في الكلام والعيون؟

يا قوقتي..

ما زلتِ

في بيتي

تسقين أيامي شباباً دائماً

ما زلتِ تزرعبين الوردَ في الشرفةِ من أ جلي

وما زال الحمام يلقيكِ التحايا كل يوم

يا قوقتي...

وين أنتِ

في درنهْ

وبكفي

من عندك

ها الجنّةْ

ثا قوقتي...

فهل تصحو الأصابعُ من تناسلها

وهل يضع الزمانْ

تأريخه قلقاً علينا

كي نفوز بوردةٍ تهبُ الأمان

هذه الأرض أُمُكِ دارت بك

ثم حللتِ بها.. ثم حلت بكِ

أعيدي لها ما أخذتِ:

المياه الجبال السهولْ

أرجعي نور من أضاءَ لك العرشَ

وخذي تاجكِ... رصّعيه

وردي إليّ القيل القليلْ.

حُلمنا

كم لوّحنا لبعضنا بالوداع؟

كم افترقنا؟

كم حملت حقيبة سفري وأنتِ تبكين

كم تسلقتُ طرقاً صعبةً

كم تعبت أقدامي من السير

ولكن حلمنا لم يفارقنا

حلمنا بالحب والحرية لم ينطفئ

كم تغربنا وكم شقينا

كم نمنا في الليالي السوداء ممزقين بألم الفراق

كم انحنت ظهورنا من العمل

ولكن قاماتنا ما زالت مستقيمة

وهي تعانق أملها

لأن حلمنا بالحب والحرية لم ينطفئ

كم بكينا في رسائلنا

وكم سمعنا دموع بعضنا في الهواتف

وكم تمزقت أكبادنا من القلق

لكن حلمنا بالحب والحرية لم ينطفئ

قد نتسلق الجبال من جيدد

وقد نقطع البحار.

وقد نكتب رسائل الفراق والألم

لكن حلمنا بالحب والحرية سيكبر.

الفهارس

الإشارات

فهرس المحتويات

الإشارات

يقظة دلمون

كُتبت قصائد هذه المجموعة في الفترة (1975- 1979) ونشرت في 1980 وهي أول مجموعة يصدرها الشاعر، وتتكون فنياً من خمسة أقسام (سُمّيت على شكل كتب) يتميز كلٌّ قسم منها بموضوعه أو شكله الخاص فكتاب بوبولينا موضوعه المرأة وكتاب النبلاء موضوعه البطولة الروحية وكتاب التجليات يضم قصائد مختلفة قصيرة وكتاب السيمياء موضوعه السحر وكتاب دلمون موضوعه الأسطورة.

كتاب بوبولينا

بوبولينا: واحدة من أبطال رواية (زوربا) لكازنتزاكي وهي امرأة جامحة العاطفة والجسد وأغلب الظن أنه اسم لآلهة رومانية، وهو يشير في القصيدة إلى حبيبة الشاعر.

أخاف عليكِ من لوركا: سافرت حبيبة الشاعر إلى إسبانيا فخاف عليها من شاعر إسبانيا القتيل لوركا.

غداً.. وغداً.. وغداً كلُّ شيء: هذا البيت في قصيدة ملقىً في رائحة غيابك كالقديس مأخوذ من مسرحية ماكبث لشكسبير.

كتاب النبلاء

في الشمس أكثر مما ينبغي: هذا العنوان هو نصّ عبارة هاملت لعمَّه عندما سأله عن أحواله وبعد أن عرف هاملت بأن أباه مات مقتولا، ولم تأخذ منها دلالتها في هذا السياق بل أخذت لجمالها وقوتها ولما تعنيه من زهوٍ وعناد.

كتاب التجليات

تجلي الأرض :في الأساس مقدمة اقتطعتها من قصيدة طويلة اسمها (هكذا علمني الحزن).

عين الدمع: في تجلي (النبي الاندلسي) يرد اسم مكان (عين الدمع) وهو المكان الذي أُقتيد له الشاعر لوركا وأُعدم فيه.

طاء سين: في (التجلي المقدس) يرد هذان الحرفان وهما أساس تسمية كتاب الحلاج (الطواسين) ويشيران إلى (طه وياسين) وهي من أسماء الرسول محمد (ص).

كاف نون: في المثولوجيا الإسلامية يشكّلان الجبل الأول والبحر الأول حيث خرجت الأرض منهما ومجموعهما يشكل كلمة (كن) التي هي كلمة مقدسة تخص قدرة وعظمة الله.

كتاب السيمياء

السيمياء: هو الفن العربي القديم الخاص بتحويل المعادن الرخيصة إلى ذهب، وهو جذر علم الخيمياء أو الكيمياء السحرية، وقد ورد السيمياء هنا للدلالة على السحر حيث يحفل هذا الكتاب بمحاولة الاستفادة من نصوص السحر ومن التعاويذ والأدعية والطلاسم السحرية شكلاً واسلوباً.

كتاب دلمون

دلمون: هي الأرض السومرية التي وردت في المثولوجيا السومرية على أنها الفردوس الخالي من الأمراض والشيخوخة والشرور فهي أرض الخلود ، ومكانها الحالي هو البحرين.

طسم: هي القبيلة العربية البائدة التي كانت في أرض الجزيرة (ويعتقد أن مكانها الصحيح هو أرض البحرين).

ذو الشرى، كثرى: من آلهة طسم.

لاهة، عثتر، إيل: الثالوث الكوكبي عند العرب القدامى والذي يتكون على التوالي من إلهة الشمس، إلهة الزهرة، إله القمر. وهي جزء من المثولوجيا العربية قبل الإسلام.

أناشيد إسرافيل

نشرت هذه المجموعة لأول مرة عام 1984، وهي مجموعة يلعب فيها السحر دوراً أساسياً، فقد حاولت في الكثير من قصائد هذه المجموعة الاستفادة من بنية ومضمون النصوص السحرية القديمة والعربية منها بشكل خاص. وتشي هذه القصائد ايضاً بمسحة حسية إيروسية واضحة وإيقاعات وزنية غريبة ومبتكرة.

الُرقى: مجموعة رُقية وهي نصٌ سحريٌ دفاعي يحاول إحاطة الشخص بما يحميه ويدفع عنه الأذى، ويرد تعريف علم الرُقى في كتاب مفتاح السعادة على أنه علم باحث عن مباشرة أفعال مخصوصة تترتب عليها بالخاصية ىثار مخصوصة كعقود الخيط والشعر وأمثالهما.. والرقية كثيراً ما تقع في الأمراض كوجع العين ووجع السن وكذا في إصابة العين وأمثالها.. وإنما سميت رقية لأنها كلمات رقيت من صدر الراقي بعضها فهلوية وبعضها قبطية وبعضها كالهذيانات (مفتاح السعادة ج 1، ص 303).

إسرافيل: أحد الملائكة الأربعة العظام الذين يحيطون بعرش الله وهم (إسرافيل، ميكائيل، جبرائيل، عزرائيل)، ووظيفة إسرافيل هي قيامه بنفخ الصور يوم القيامة حيث تقوم أرواح الموتى لكي تمثل أمام الباري ساعة الحساب. وفي القصيدة يمثل الشاعر معادلاً موضوعياً لإسرافيلن فوظيفة الشاعر على الأرض هي بعث الروح في النفوس الميتة وجعلها نفوساً حيّة فالشاعر هو إسرافيل الأرض.

طاووس مَلَك: أحد الرموز المقدسة في الديانة الأيزيدية.

التعاويذ: مجموع تعويذة وهي جزءٌ من التمائم السحرية حيث تحفل برسوم ونصوص تدفع الأذى عن الشخص، فهي نصوص حماية سحرية بالأساس تحاول منع وقوع الشر.

الوحا... الوحا: مفردة تتكرر على لسان السحرة وفي خاتمة التعاويذ السحرية من أجل إتمام إنجاز المهمة السحرية المقصودة.

النيرنجات: شكل من أشكال النصوص السحرية عند العرب.

أدوناي: هو أدونيس الذي ترسب من الديانة الكنعانية الفينيقية في الديانة العبرية فأصبح يعني السيد، ويرد كثيراً في نصوص السحر العربي

الأوفاق: هي اشكال هندسية مربعة أو مستطيلة أو مثلثة تقسم إلى أجزاء تملأ حروفاً او أعداداً وتمثل طقساً تعويذياً مكتوباً ومرسوماً.

الزايرجة: علم سحري قديم يعتمد على مقابلة الحروف والأعداد وعلى ضرب من الرياضيات المعقدة وذلك لكشف المستقبل ومعرفة مصائر الأفراد أو الجماعات أو الدول. ويرى مؤلف كتاب مفتاح السعادة أنه قسم من علم الكسر والبسط مع طرق مخصوصة وأحوال معينة حتى تخرج حروف تخرج منها

كلمات دالة على كيفية مرادك في الاستقبال. وهذا علم عجيب موضوع في جداول قلما رأيت من يعرفه وقلما رأيت من يعلمه ولا يبخل به (مفتاح السعادة ج 2، ص 420)

أزدهر.. أزدهر: عبارة باللغة المندائية الصابئية مكتوبة في كتاب صابئي قديم اسمه (قماها ذهيفل زيوا) وهو كتاب مكوّن من أكثر من ألف ومئتي سطر عبارة عن تعزيمات متنوعة وتعني الكلمة (ازدهر) تحفّظ أو إحذر.

علم الجفر والجامعة: وهو عبارة عن العلم الإجمالي بلوح القضاء والقدر والمحتوى على كل ما كان وما يكون كلياً وجزئياً. والجفر عبارة عن لوح القضاء الذي هو عقل الكل والجامعة لوح القدر الذي هو نفس الكل (مفتاح السعادة ج 2، ص 420- 421).

هرمس: هو إدريس الذي يسمى أيضاً هرمس الهرامسة أو هرمس مثلث العظمة وهو شخصية من شخصيات قبل الطوفان التي أحاط بها الغموض ويقال بأنه أول من خطّ بالقلم وعلّم الحساب والتنجيم وخاط الثياب، وقد اندمجت شخصيته بالكثير من الآلهة القديمة مثل إله الحكمة البابلي (توتو) ابن نبو والإله المصري تحوت (طوط) الذي تنسب له مجموعة كبيرة من المؤلفات الهرمسية الخاصة بالتنجيم والكيمياء السحرية وبعض المسائل الفلسفية والإلهية. ولا شك أن الفلسفة الهرمسية تمتد بجذورها إليه ومعها الغنوصية.

الغنوصية: كلمة يونانية الأصل (GNOSIS) ومعناها المعرفة وقد استعملت أيضاً بمعنى العلم والحكمة وتترجم إلى العربية بصيغة العرفان، والغنوصية مذاهب دينية ظهرت في الشرق القديم وبرزت بوضوح في العصـــــــــــــــــــر الهيلنســـــــــــــــــــتي وتد
ّ
عي أنها مشيدة على نوع من المعرفة فوق المعرفة العقلية وأسمى منها، معرفة باطنية، ليس في أمور الدين فحسب، بل أيضاً بكل ما هو سريّ وخفيّ كالسحر والتنجيم والكيمياء.

وترتكز الغنوصية على أسطورة الخلاص من الخطيئة عن طريق المعرفة، حيث يمتلك الغنوصي تلك القدرة المعرفية الاستثنائية طريقاً للوصول إلى الخلاص، وتمثل الهرمسية العمود الفقري للغنوصية.

أصباؤوث: جند السماء وهي ملائكة يستنجد بها السحرة، لاستحضار القوى الغيبية

ميمر: نوع من الخطابات الدينية الأدبية الفنية.

أيقونات: مفردها أيقونة وهي قطعة مرسومة من الخشب او المعدن ومحفورة ومحلاّة بالشمع الملون، وقد سادت في العصور الوسطى كنمط فني شعبي.

هامش الياقوتات

اطلق اسم الياقوتات على هذه القصائد الخمسة بسبب طبيعتها الوزنية الخاصة فهي مبنية على بحر خليط هو (البند) وتغوص مضامينها في عتمات خاصة، والياقوتة أو الياقوتات عموماً يحملُ غموض الأعماق

والبريق الثقيل الخاص به. ومن الجدير بالذكر أن طريقة كتابة هذه القصائد لا تتكرر عند الشاعر إلا نادراً، كذلك فهي غير واردة في الشعر العربي الحديث حسب علمنا.

متوشالحك أحد أنبياء ما قبل الطوفان

الهيدراك نبات بدائي بحري له أذرع عديدة.

النطرون: حجر الكلس.

غطريف: ذو شأن

أسطقس: أحوال المادة الأولى (الماء، الهواء، التراب، النار).

عشتار: إلهة الحب والجمال البابلية.

دنا: DNA وهو الحامض النووي الموجود في نواة الخلية والمسؤول عن الوراثة.

موسيقا لهدم البحر

أغلبُ قصائد هذه المجموعة كُتبت في ثمانينات القرن العشرين ، وبعضها الأخيركُتب في تسعينياته .

كتبت المجموعة على شكل أربع حركات موسيقية (الغضب ، المطر ، الخراب، الأفول).

إشارات :

برنابا: كاتب أحد الأناجيل التي تعتبره الكنيسة منشقاً عليها وهو يرمز لتحدي السلطة الدينية دون النظر إلى مضمون إنجيله.

شيث: ابن آدم وهو النبي الذي استقامت به سلالة البشر بعد أن قتل قابيل هابيلاً وفرَّ قابيل وأصبحت سلالته رمزا للأشرار.

السمندل: حيوان خرافي يشبه شكله شكل العضاءة.

الجام : الخمر بالفارسية، والزجاج باللهجة الشعبية العراقية.

في النهر الصافي يا عذراء اغتسلي: هذه الجملة مأخوذة من مطلع الأسطورة السومرية (إنليل وننليل).

الكُلل: جمع كُلَّه وهي قماشة خفيفة على شكل خيمة تنصب على الأسرة في صيف بغداد ليلا قبل عقود من الزمن.

اليخضور: المادة الخضراء في النبات وهي الكلوروفيل.

العامرية: منطقة في بغداد سقط في ملجئها مئات القتلى من النساء والأطفال بعد قصفه من قبل قوات التحالف في حرب الخليج الثانية 1991.

شاعر سرقته الخيول: عنوان قصيدة للشاعر فوزي كريم كتبت ونشرت في السبعينات وكانت سبباً للتعارف بين الشاعرين والقصيدة الحالية هي استذكار لتلك الأيام ولما آلت إليه الأمور في العراق بعد حروبه وحصاره.

الجمل المقوّسة في النص: هي من رسائل فوزي كريم الموجهة للشاعر.

نخلة الإتحاد: نخلة طويلة في وسط حديقة مقر اتحاد الأدباء في العراق.

لوسيفر: إله الضوء في الأساطير الإغريقية وهو أب (الشعر والحرية).

دموزي ونكشزيدا: صديقان ربطتهما أخوّة عميقة في الأساطير السومرية.

إدريس والخضر: نبيّان يرى بعض الباحثين أن لهما علاقة ببعضهما رغم الزمن المتباعد لظهورهما.

الروح مقابل الغداء: تحوير لمعادلة النفط مقابل الغذاء التي فرضت على العراق في الحصار بعد حرب الخليج الثانية.

الفخذ محروقة: عبارة ترد في قصيدة قارات الأوبئة للشاعر فوزي كريم وتصف ما حصل صبيحة 14 تموز 1958 وحرق جثة نوري السعيد.

عبد الأمير: سيد الشعراء الصعاليك في العراق المعاصر، الشاعر عبد الأمير الحصيري.

فانتازيا شومان: مقطوعة موسيقية لشومان بآلتي التشيلو والبيانو.

مندليف : العالم الذي رتّب عناصر الطبيعة (الفلزات واللافلزات) في جدول متسلسل دقيق على أساس العدد الذي لكل عنصر.

خواتم الأفعى

الرومانسكية والقوطية: آخر مرحلتين في فنون العصور الوسطى وهما متناقضتان حيث تلجأ الرومانسكية لاستعادة الفن الكلاسيكي (الإغريقي الروماني) بينما تسعى القوطية لبعث الفن القوطي الذي يرمز لبقية شعوب أوروبا المتخلفة نسبياً عن الإغريق والرومان.

كيوبيد: إله الحبّ واللذّة عند الرومان يقابله إيروس عند الإغريق

سادنات الأقدار: استعارة جزئية من المثولوجيا الرومانية لربات الأقدار الثلاثة، مع تصرف في وظائفهن في القصيدة

أرش: هي أرشكيجال إلهة العالم الأسفل وربّة الموت والمرتبطة بالأمراض والشرور في المثولوجيا السومرية والبابلية.

عدن: جنة عدن.

نونا: إلهة القدر الرومانية وهي تملك دولاب الغزل وعلى رأسها ريشات تدل على عمر الإنسان.

تايكي: إلهة الحظ الإغريقية التي انتشرت عبادتها في المرحلة الهلينستية في الشرق خصوصاً بسبب التعلق بالصدفة والأقدار، ولعلّ أشهر تايكي في الشرق هي تايكي عمّون التي تضع سور القلعة كتاج على رأسها.

الصاية الحمراء: صاية الإله دموزي (تموز) ثم أصبحت صاية الأرجوان أو القرمز الكنعانية رمزاً للفينيقيين ثم استخدمها الأباطرة البيزنطيين كأحد رموز الملوكية.

نهر الدموع: هذه القصيدة كتبت خلال ساعة واحدة بين إقلاع الطائرة من مطار بيروت وهبوطها في مطار عمّان في 29/ 3/ 1997.

الأنيموس: رمز الذكر ا لقابع في أعماق الأنثى، وفي القصيدة يظهر أن هذا النيموس عندها هو الثعبان.

ليليث: شيطانة الليل والمغوية لآدم ولذلك يسمونها حواء الباطنية، فهي رمز العشيقة في حياة الرجل المتزوج.

عزيزو: إله سامي قديم.

البطل توتو: فيلم لسادية مولعة بقتل الآخرين

هرش: هو المرض في اللهجة العراقية ولعله مأخوذ عن (أرش) إله الأمراض في الأساطير العراقية القديمة وهي أرشكيجال.

إيرين: الإمبراطورية إيرين التي حكمت في عصر الأسرة ا لإيسورية البيزنطية والتي عملت المستحيل لكي تصبح إمبراطورية فقد عزلت ولدها بعد أن سملت عينيه لكي تحكم هي.

كيلوباتراثيا: الملكة السلوقية القوية التي لعبت دوراً كبيراً في حياة عدة ملوك سلوقيين منهم (بالاس، دمتيروس الثاني، أنطيوخيوس السادس والسابع والثامن) وقتلت ولدها من أجل الملك والطمع.

سنحاريب: الملك الآشوري الذي أمتاز بالقسوة في الحروب.

كاليغولا: الإمبراطور الروماني (معنى أسمه حذاء الجنود) الذي امتاز بدكتاتوريته وطغيانه الشديد وبنزعاته الشاذة.

سردنبال: آخر ملك آشوري ويعتقد أنه (سن شار أشكون) الذي يلقب نفسه بـ(آشور بانيبال الثاني) ولـذلك جاءت تسمية الغرب له بـ(السردنبال) وهو الذي كان موغلاً في اللذّة على حساب سيادة إمبراطوريته وقد أحرق قصره وسقطت الإمبراطورية الآشوربة بعد انتحاره.

سفرطاس: تسمية شعبية عراقية لثلاثة قدور صغيرة مركّبة فوق بعضها تحتوي أنواع الأطعمة.

الجاندر: علم العلاقة بين الأنوثة والذكورة (المرأة والرجل).

بارات: الإلهة بيروت وهي إلهة كنعانية.

كتبى: إلهة الكتابة عند الأنباط.

إينوما أرش: عبارة بابلية مركبة من (إينوما) أي (حينما) و (أرش) أي (الأسفل) ومجموعهما هو (حينما في الأسفل) وهي عبـارة تنـاظر اسـم أسـطورة الخلـق البابليـة (إينومـا أليش) (حينمـا في العلى). والغايـة واضحة من خلق تناظر بين الأعالي والأسافل لوصف أسطورة معاصرة كانت تدور في الأسافل.

دموزي: الإله الراعي العاشق عند السومريي، يقابله (تموز) عند البابليين.

أورفيوس: الإله العارف المغني الذي كان يسحر الحيوانات والآلهة بعزفه والذي اشتهر بأغانيـه العاشـقة الساحرة وهو يبحث عن حبيبته في العالم الأسفل.

سايمون: أحد سحرة القرون الوسطى.

دالي: سلفادور دالي المصوّر السريالي المعروف.

جورج صاند: الكاتبة الرومانتيكية التي اشتهرت بعلاقتها مع أدباء عصرها.

بلاتافسكي: امرأة أدَّعت النبوة وتوغلت في العقائد الباطنية وأصدرت كتبا في هذا المجـال منهـا (إيـزيس بلا قناع) (المذاهب الباطنية) وأصبح لها من الأتباع ما يقرب الخمسة ملايين في أوروبا مع مطلع القـرن العشرين.

الفالنتاين: عيد الحب المصادف في 14/ 2 من كل عام.

خفّة الكائن التي لا تحتمل: رواية ميلان كونديرا

إيزيس: إلهة الحب والأمومة عند المصريين القدماء.

أترغاتس: الإلهة الهيلنستية ذات الجذر الآرامي وهي إلهة الأنباط وتمثل بنصفٍ سمكيٍّ ونصف طائر.

سدوري: صاحبة الحانة في ملحمة جلجامش، وهي عند الشاعر صانعةُ خاتم الخيزل.

التيامارا والكنو كاندو والأوبان: أسماء لأنواع من الويسكي

تيـامت: إلهـة الميـاه الأولى البحريـة المالحـة في أسـطورة الخليقـة والـتي أصـبحت تمثـل الآلهـة العتيقـة الشريرة.

خبر: نهر العالم الأسفل في الأساطير العراقية القديمة.

حزينا عند عمود السماء

هناك مجموعة إشارات لم تدون هنا

السومرية أحلام
في اتّضاح جحيمها وفراديسها العالية

في ظهور ليليث

سلمّ الأنباط: ثلاث درجات صاعدة وثلاث درجات هابطة تدل على الصعود إلى الفردوس والهبوط إلى الجحيم. ويظهر هذا السلّم في حافات المباني النبطية وهو من أصول بابلية.

المندالا: دائرة يرتبط محيطها بمركزها.

الكدك: لحظة الذروة في المضاجعة عند المرأة

بونفرادا: مدينة في إسبانيا

إيبيريا: إسبانيا القديمة.

الكاليوس: نبات له زهرة جميلة.

حب، نوت، شو، تف: أسماء آلهة في أسطورة الخليقة المصرية

إيزا و أوزر: إيزيس وأوزوريس. إلها الحب والخصوبة في الأساطير المصرية.

إجهرط: كلمة تستعمل في رقيات السحر

أح: مختصر (أحلام).

لي: مختصر (ليليث)

أنا: مختصر (أناهيت).

فروس أحلام

أموتن: أصلها أموتُ، تُلفظُ في جنوب العراق أموتن.

الشطرة: مدينة في الناصرية حيث ولدت أحلام.

البدعة: نهر وترعة على أطراف الشطرة.

كركوك: مدينة في شمال العراق حيث ولد الشاعر

المحاويل: مدينة في الحلة (بابل).

زيلدا: مغنية تركية اشتهرت في سبعينات وثمانينات القرن العشرين.

مروان وثريا ومروه وعلي: أبناء الشاعر

مامو: إلهة الأحلام السومرية والبابلية وهي ابنة الشمس.

حكمت، حميد، منى، عادل، فاضل، سعاد، علي: أصدقاء الشاعر

أحاول أنسى حبك، سلّم، يا خشوف: أغاني عراقية.

فهرس المحتويات

يقظة دلمون

6. تجلي الحقول

7. تجلي سيدة العربة

8. تجلي الراعي

9. التجلي الثاني للغريب

10. تجلي القلب

11. تجلي الرحيل

12. تجلي فروسي

13. تجلي الجنون

14. تجلي الظهيرة البهية

15. تجلي الشواطيء

16. تجلي مطر الشاعر

17. تجلي العصافير

18. تجلي وردة السهد

19. تجلي أنتِ المراد

20. تجلي الزمرة المقدسة

21. التجلي النبيل

22. تجلي النجوم

23. تجلي الوحيد

24. تجلي في ترحيل البحر

25. تجلي ما في العيون

26. تجلي السنونوة

27. تجلي لاستنزال العطف

28. تجلي النبي الأندلسي

29. التجلي المقدس

30. تجلي في اتباع السحابة

31. تجلي السنين

32. تجلي إلى البحر

33. تجلي آخر الليل

34. تجلي في تاريخ الروح

35. تجلي المصلوب

كتاب السيمياء

1. ابواب

2. الأغصان المدهشة

3. أمير الفلوات

كتاب دلمون

1. الحقول

2. شموس طسم

3. يقظة دلمون

4. خروج إلهة الصحراء

أناشيد إسرافيل

الباب الأول: اغواءات شمس اللذّة

الباب الثاني: الرُقى- في المحبة والتهييج

1. رُقية العاشق
2. رُقية لجلب المحبوب
3. رُقية الراعي
4. رُقية عاشقة في الأربعين
5. رُقية تحت جرارك
6. رُقية سبحان راعيك
7. رُقية تسخير منزلة الزهرة
8. رُقية الساخنة
9. رُقية لولاك
10. رُقية لإخراج نار العشق

الباب الثالث: أناشيد إسرافيل

الياقوتات

موسيقا لهدم البحر

المحتويات

الحركة الرابعة : الأفول (تصدّع الموسيقا)

وطنٌ في عين طفلٍ ينام

شاعرٌ سرقتهُ الخيول

خواتم الأفعى

سادنات الأقدار

جحيم إرش

مضيق عشتاريا

أوف

هذه التي أراها

نهر الأحزان

عرشها يبكي

نونا

ظنّ أنك البتول

أسمال تايكي

لاشمس في بريدي

صايتك الحمراء

نهر الدموع

هل تسمحين ؟

في قلبكِ ثعبان

لاتدور الأرض حولكِ

خرق اليوسفيين

كنتُ مخبولاً

أجنحتي وأجنحتكِ

تحت التفاصيل

أنـهار الشهقات

منذ أناهيت

تمغة العنكبوت

هكذا ببساطةٍ ؟

كان لمّا أطحت به

أيتها الطاووسة

هرش

خواتم الأفعى

خريف الأفعى

حينما في الأسافل (إينوما إرش)

حزيناً عند عمود السماء

لموع

عربات كيلوباترا

قبل تلويحة الوداع

لوبا

السومرية أحلام

في اتّضاح جحيمها وفراديسها العالية

في ظهور ليليث

فردوس أحلام

الفهارس